

الأخلاق النبوية

للعارف بالله

سیدی عبد الوہاب الشعرانی

تقديم وتحقيق وتعليق

دكتور منيع عبد السلام محمود

الجزء الثالث

دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع
ميدان الشهيد الحسيني ت ٩٨١٥



ربنا اتنا من لديك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً

الباب الثامن

في جملة أخرى من الأخلاق

ومن أخلاقهم : عدم حكايتهم للناس أعمالهم الصالحة التي
وقعت منهم في أزمان مضت ولم يشعر بها أحد إلا لغرض
شرعى .

فإن حكايتها بغير غرض شرعى تردّها إلى صورة الرياء بها حال عملها
وهذا من دسائس إبليس على المتعبدين الذين لم يسلكوا على يد شيخ ،
فيعملون الأعمال الصالحة سرّاً ، فلا يزال إبليس يزين في عيנם ذكرها
للناس ، حتى يخرجها من عمل السر الذي يضاعف على عمل العلانية بسبعين
ضعفاً ، ويردّها إلى حكم الرياء بها ، ويصير كأنه رائياً بها .

ومن وصية سيدى على الخواص لأصحابه : إحدروا من التسميع بأعمالكم
فإياه يظلمها كالرياء على حد سواء ، ولهذا أتت هذه الكلمة مقرونة بالرياء
في نحو قوله صلى الله عليه وسلم ، ويبقى الذي كان يسجد رياءاً وسمعة ، إذا الرياء
له اشتقاق من الرويه والتسميع من السمع ، ومن المعلوم أن التسميع الآجل
كالرياء العاجل حيث أراد نظر المخلوقين وتعظيم نفسه عندهم بأعماله ،
والإخلاص مغاير لهذا كله .

وقد سمعته رضى الله عنه ينهى عبداً عن صلاته بحجب أمير في صلاة الجمعة
حين قال له :

يا سيدي مقصودى أصلي بحجب الأمير لأسأله عن حاجة
كذا وكذا .

فقال له : يا ولدى أخاف عليك الرياء بخلطك أعمال الدنيا مع أعمال
الآخرة ، ولكن صل حيث شئت ، فإذا فرغ الأمير فسله في أى
مكان كان .

وسمعتة أيضاً يقول : قد يخلص العبد في أعماله ، ويرفع ذلك العمل

خالصاً مخلصاً من شوائب الرياء ، فلا تزال النفس تضطرب بطبعها ، والشيطان يوسوس لها ، ويحتال على إفساد ذلك العمل الصالح على عادته مع العبد ، وإبطاله بالكلفة إلى أن يتحدث به العبد ، ويخبر به الناس وحينئذ تسكن نفسه عن ذلك الاضطراب لأنها وصلت إلى حظها من الرياء ، وقنعت بثناء الناس عليها ، حتى أنها لم تخف من سخط الله تعالى عليها . حيث أخرجت عبادتها عنه تعالى إلى عبد من عبده لا يضر ولا ينفع في دين ، ولا دنيا ، وذلك هو الخسران المبين .

وكثيراً ما يخبر الغفل بأعماله الصالحة من لا يحتفل بالثناء عليه بسبب تلك العبادة ، ولا يرفع قدره بها ، فهذا خسر حظه العاجل أيضاً ، فنعود بالله من ذلك .

فإذا قلنا : إذا من الله تعالى على عبد بأعمال صالحة من عدة سنين ، وطويت صحايفها على ذلك ، ثم إنه ستمع بها الناس . حتى حبطت كما صرح بذلك في الحديث ، فهل لذلك من دواء ، فالجواب نعم لذلك دواء ، وهو أن يندم العبد على ذلك ، ويتوب من مثله توبة صادقة جازمة بأنه لا يعود يسمع أحداً من الناس . بعمل من أعماله إذ التوبة الصادقة تمحو تلك الزلة فإذا تاب كذلك رجع العمل صحيحاً بمشيئة الله تعالى وحسن توفيقه .

ومثل ذلك ، كمثّل رجل كان صحيحاً ، ثم طرأ عليه مرض أفسد صحته . فاستعمل دواء نافعاً ، فأزال الله به ذلك المرض ، وعاد المريض بفضل الله ورحمته إلى حال صحته . فلم أن التسميع له دواء بخلاف الرياء لأنه يفسد العمل من أصله ، فاعلم ذلك يا أخى واعمل على تحصيل الإخلاص في أعمالك الظاهرة والباطنة .

وقد دخلت مرة على سيدى الشيخ عبد القادر الدشوطى رحمه الله فقلت له : أوصنى .

فقال : عليك بإخلاص القصد لله عز وجل ، ولا تنهون في ذلك ،
وترضى بتليس نفسك تهلك .

فقلت له : ما مثل ذلك ؟

فقال : أن يكون الباعث لك على فعل العبادة أمران فاني أو باقي .

فقلت له : فإن غلب الباقي على الفاني ؟

فقال : هو رياء .

فقلت : إن بعضهم يقول : إذا غلب الباعث الباقي كان الحكم له .

فقال : هذا في حق العوام الذين لا يقدرّون على سلوك طريق العلماء
العاملين أما من يقدر على سلوك الطريق فلا يسامح بمثل ذلك .

ثم قال لي : إن العلم من أصعب طرق الرياء على المبتدئين في الطريق أن
يكون عمل أحدهم لله تعالى ، ولشيء آخر ، فإن مثل هذا يشبهه على المرئيين ،
ويسر عليهم الخلاص منه بخلاف الرياء المجرد . فإنه قد يفهم بأدنى تأمل .

وأطال في بيان طرق الرياء بما لم يحظر علي باله قبل ذلك .

ثم قال : ومن غريب ما يقع لبعض الناس أن يكون لأحد منهم حاجة
عند حاكم أو أمير أو كبير ، وذلك المعظم يصلي الجمعة أو غيرها في الضيف
الأول أو في مكان معروف به ، فهو مجتهد في الصلاة إلى جانبه ، ليحصل
مراده منه لا ليردّي فريضة الحق تعالى في ذلك المكان على تلك الصفة ، ومن
المعلوم أن الباعث على ذلك العمل هو ذاك القصد الأول لا قصد إتيان أمور
الصلاة .

قال : وهذه علة دقيقة يجب التفطن لها خوفاً من ضياع الأجور وظلمة
القلب لأجل فساد المقصود ، فإن تلبى العبد بمثل هذه الأمور ، ولا بد كان له
في التخلّص منها عدة طرق منها :

أن يعقد تلك الصلاة فعلاً ، ثم يجهد على أداء الغرض بطريقه الشرعي .

في مكان آخر أو جماعة أخرى . وقصدته مخلص ، واجتهاده على الخير كامل .
ومما يستأنفه مؤمنان آخران . ثم ينصرف مؤمنان لتجديد الوضوء .
ثم يصلي في مكان به فيه شاة . يا ويعود إلى الأمير يحدثه من أمر دنياه
تو يرمي فلا يخجل منه ويسته شيء ولو فعل غير ذلك إذا قسم له منها لا يتهباله
حسبه ولو صبح في تحصيله أمور دينه . والغفلة في هذا الباب شاملة جداً
الكثير من . فيقسمون حسب تحصيل الدنيا على طلب الأجور في الآخرة .

ومن حرق أحداً : أن يحاسب نفسه بصدق إن خشي خروج
الوقت أو هوان الجماعة . ونحو ذلك من الأمور المعارضة ، فيفكر في نفسه ،
فإن أمكنه الإنصراف إنصرف بحيث لا يؤرم نفسه ما ليس له حقيقة من
دعائ . ونحوه وإن أمكنه أن يعقدها نافله فعل ، فيجدد النية بطريقة الشرعي
ويصلي في ذلك الموضع على وجه شديد ، هذا كله في الأمور المقطوع بها
من التواقل .

أما كون العبد يجعل الفريضة التي هي أفضل عبادات البدن ترسا بين
يديه حظوظه ، ووسيلة إلى تحصيل مقاصد دنياه القانية ، فإن ضرر ذلك
لا ينجي على أدنى أهل الإسلام ، وإن وقع أن أحد ألبس على نفسه ، ورضي
بديار التبدليس فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولما حضرت الوفاة
الإمام ابن عمر رضي الله عنه أثنى الصحابة عليه وقالوا : أبشر بخير فقد سهلت
طريق مكة . وبقيت المصانع ، وفعلت ، وفعلت ، وعبد الله بن عمر ساكت
فقالوا له : ماذا تقول ؟

فقال : أقول كما قلتم ، ولكن إذا صحت النية ، وطابت النفقة انتهى .
ثم قال سيدي عبد القادر : هكذا سمعت ذلك من لفظ سيدي إبراهيم المتبولي .
فقلت له : وسمعت نحو ذلك من سيدي علي الخواص .

فقال : كان حاضراً معي في ذلك المجلس ، فقويت الرواية بذلك فالحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : في كل عصر الحذر من الاغترار بأعمال
أهل عصرهم والاكتفاء بالعمل على صورتها من غير
تفتيش فيها

فإن الغالب عليهم قلة التحنن والإخلاص وعدم التخليص من دقائق
الرياء .

وقد كان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول : إقتد بالأموات من
السلف الصالح ، وإياكم ، والاقندا بأهل زمانكم ، ثم يقول : وما أشدها من
خصلة في العيش مع الأحياء والإقتداء بالأموات .

وسمعت سيدى محمد بن عنان رحمه الله يقول : عليك بحسن الاتباع
للسنة الثابتة ، فإن ذلك ثمرة عظيمة لا تحيط العقول بفضلها وبعظمة درجتها
فالعقل من وزن أفعاله وأقواله وأحواله فإذا سار على هذا المنوال فهو
المقبول ، وما خالفها ، فهو المردود .

قال : وقد دخل على بعض من يدعى السلوك دواخل عظيمة من اتباع
البدع : ذهب توحيد بعضهم ، فأوجب لهم الشرك ، والإلحاد والخروج
عن حقائق دين الإسلام بالنكالية .

فإياك يا أخى ، ومعاشره هؤلاء وعليك بمطالعة كتب الحديث ، كالبخارى
ومسلم ، والسيرة النبوية ، والآثار السلفية تخلص من الضلال ، وإن كنت
قاصر الفهم عن استخراج الأحكام من الأحاديث فجالس الفقهاء ، ولو كانوا
غير عاملين بعلمهم ، لتستفيد منهم الآداب ، والأخلاق ، والسنة مستمرة
الوجود في الوجود إلى مقدمات الساعة ، فاطلب ذلك ، وعلق قلبك بمعاني
النصوص الشرعية المتعلقة بالتوحيد الصحيح الخالص عن الشوب ، فإن
فروع التوحيد الغالية والحالية حقيقة هي المستندة إلى طريق السلف من
الصحابة ، والتابعين ، وتابعيهم . والأئمة المشهورين ، كالإمام أبى حنيفة ،
ومفيان ، ومالك ، والشافعى ، وأحمد ، ومن تبعهم من المشايخ كالفضيل

بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وذو النون المصري ، وأبي سليمان الداراني .
ومعروف والجنيدي ونحوهم من أهل الاهتداء والاعتقاد

وسمعت سيدي محمد المنير رحمه الله يقول : إنزموا طريق السلف
الصالحين ، واحذروا من طريق المتأخرين . فإنهم قلبوا كثيرا من القواعد
للشرعية . وغيروا كثيرا من المقاصد الصحابة ، واكتفى أحدهم بالقال عن
الحال ، وتركوا المجاهدات لنفوسهم بالكلية ، وصارت لهم مسالك ،
وعيارات . ورياضات ، وعبادات كثيرة التعب قليلة المنفعة جعلوها بجهلهم .
نهاية التحقق ، وغاية التدقيق ، فهي في نفس الأمر ، كسراب بقيعه يحسبه
الظئان ماء .. الآية ومن تصفح السنة عرف صدق ما أقول انتهى .

وسمعت سيدي عليا الخواص رضي الله عنه يقول : قد أعرض أهل
هذا الزمان عن اتباع سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ في أكثر الأعمال ،
والأقوال ، والأحوال ، واشتغلوا بعلم القال ، والخوض في علم الكلام .
وقد ذم جمهور الأئمة علم الكلام ، فإن بعضه ينقض بعضا ، وكل طائفة
تدعي أن الحجج القطعية العقلية معمدون جميع المخلوقات .

وقد كان الامام مالك رضي الله عنه يقول : ليت شعري بأي عقل
ترك اتباع السنة كلما جاءنا رجل اجدل من رجل تبعناه نتركه العمل بما
أتى به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد ألف بعض السلف كتابا في هذا الموضع يبين فيه أن العقل لا يعارض
النص الصريح أبدا ، وأنه إن فرض دليلين قطعيين متعارضين ، فهو من
فرض المحال .

وربما يقول بعضهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يبين .

لأصحابه حقائق التوحيد، وذلك كذب به وافتراء، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

ما تركت شيئا يقر بكم إلى الجنة الا وقد حدثتكم به ، ولا من شيء يبعدكم عن النار الا وقد حدثتكم به .

وقال أبوذر رضى الله عنه : لقد ترفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طأير في الجو يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علما .

وكان الامام الشافعى ، وغيره يقولون : الصحابة رضى الله تعالى عنهم فوقنا في كل شيء ، وكيف يصح قول من قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ولم يبين لأصحابه حقائق التوحيد الذى عليه أساس الدين ، مع أنه يبين لهم الحرة ، وكيفية الاستنجاء هذا كالمحال .

وسعد أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول : إنما ترك بعض الخلف هدى السلف حين عجزوا عن اتباعهم في حقائق الورع ، والزهد والعبرة ، فصاروا يطعمون في سلفهم ترويجا لأحوالهم ، ولو عرفوا مقدار علم سلفهم ودقته لرؤوا أن أحوالهم أشرف الأحوال ، وعلمهم أشرف العلوم .

وكان الامام عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبرأ الناس قلوبا وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا

وكان محمد بن سيرين يقول : والله لو أردنا فقه الصحابة لما أطاقته عقولنا .

فاعلم ذلك يا أخى ، واقتد بالسلف الصالح في الأقوال ، والأفعال ، والعقائد تفز بخير الدنيا ، والآخرة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يرشدوا إخوانهم أن لا يبادروا إلى
الإنكار على من يرويه قليل الاعمال الصالحة من النوافل

بل يترصد أحدهم ، حتى يخالطه ، وينظر حاله ، فإن رأى لسانه مكفوفاً
عن أعراض الخلق ، ويده ، وفمه مكفوفان عن الحرام والإساءة ، فلا حرج
عليه في ترك النوافل ، لعدم تبعات الخلايق عليهم ولكن إن رآه مطلق
اللسان واليد والفم في أعراض الناس ومكثراً من النوافل فإن هذه النوافل
ليعطى منها أصحاب التبعات يوم أقيامه ولكن إن لم يكن عليه شيء من تبعات
الخلايق من الاعمال الصالحة ، فذلك خير على خير .

فأعلم ذلك . وعليك بنفسك أولاً فإذا رأيتها نجحت ، فمالك بالإقبال
على غيرك ، وإن كان كل منهما واجبا في الأصل والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا رأوا فقيها قد برع في علم الفقه

ونفع الناس بافتائه وتدريسه أن يرغبوه فيما هو فيه

ولا يفتحوا له باب علاج الامراض الباطنية التي فيه خوفاً أن تفر همته عن الاشتغال بعلم الشريعة لاسيما إن كان قد انفرد في اقليم بالعلم ، وصار مرجع أهله كلهم إليه ، فإن الخير المتعدي نفعه إلى الامة مقدم على الامور القاصرة على نفس العبد شرعا مع أن في ضمن علاج الأخلاق الباطنة ، ورياضة النفوس نفع الناس أيضا فتأمل .

اللهم إلا أن يعلم من ذلك العالم ثبوت قدمه في الاعمال الصالحة بحيث لا تقتصر همته عن الإشتغال بالشريعة إذا اشتغل بعلاج أمراضه الباطنة ، فهذا لا بأس بفتح باب العلاج للنفس ، ورياضتها له ليجمع بين طريق الشريعة ، والحقيقة كما كان عليه الأئمة المجتهدون ، والوارثون لهم في أحوالهم .

وكذلك إذا علمنا من فقير براعته في أحوال الطريق ، ومعرفته بدسايسها أن نرغبه في ذلك ما دام العلماء قائمون بأمور علم الشريعة - حفظاً وتديساً ، والامة مستغنون عن مثل هذا الفقه ، فإن رأينا الشريعة قد مات علماءها ، واحتاج الناس إلى العلماء ، فن المعروف أن نرغب للفقيه في الاشتغال بعلم الشريعة حفظاً ، وتديساً ، وافتاء وبترك كل ما هو فيه .

وقد كان الساف الصالح لا يشتغلون بالطريق إلا بعد تبخرهم في علوم الشريعة كما مر بيانه أوائل السكتاب ، فلما تقاصرت الهمة قل الجامع بين الشريعة والحقيقة ، وكثر المنفرد بعلم أحدهما دون الآخر .

ولما خفت على أخى العبد الصالح سيدى على بن الشيخ محمد المنير أن تفر همته عن علم الشريعة ، ويقل نفع أهل بلاده به إذا اشتغل بعلم الحقيقة لم

أكشف له عن قناع شيء من علم الحقائق لأن نفع الناس بالشرعية أعظم من
نفعهم بعلم الحقيقة لقلة من يعرف علم الحقيقة فضلاً عن حاجة الأمة إليه ،
ولكن سألت الله تعالى أن ينور قلبه ، حتى يعرف جميع أمور الحقيقة
 بالرياضة لأن المجاهدة والرياضة والعبادة مع الاشتغال بالفقه أنور قلباً من
متصرفه هذا الرمان الذين هم طول عمرهم في الاشتغال بالرياضة فاعلم ذلك
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يبادر أحدهم إلى جواب من سألته
عن شيء من أحوال الطريق من الفقهاء والمتكلمين
والأصوليين

بل يتربص ، أحدهم وينظر في أمر ذلك السائل . فإن رآه مسترشداً
قاصداً بعلمه وجه الله تعالى أجابه بجملة يقبلها عقله ، وإن رآه متعنتاً في سؤاله
غير مخلص فيه سكنت عنه ، ولم يجبه سواء أعلم تعنته بطريق الكشف أو
بالقرائن كأن يعرف من ثقته به أن نفسه لا تطيب بأن يتلذذ للقوم ، ولا يراهم
أعلم منه .

وقد كان سيدى على بن وفا يقول لأصحابه : إذا سألكم فقيه عن مسألة
تتعلق بطريق القوم ، فخذوا عليه العهد بأنه يعتقد فيكم أنكم أعلم منه ، ثم
أجيبوه عن تلك المسألة ، ثم إذا خالفكم بعد ذلك ، فقد خان العهد ، واستحق
التأديب ، فاعرضوا عنه ، أو لا تطلبوا رجوعه إليكم بإقامة الأدلة ، والبراهين
عليه ، فإنكم في طريق ، وهو في طريق .

وكان يقول : إذا جادلكم أهل الطروس ، فأجيبوهم بالنقول الصحيحة
المعزوة إلى أصحابها ، وإياكم أن تجيبوهم بالأمور الذوقية من وجدانياتكم ،
فإنهم يردون ذلك عليكم ، فإن بين علم الذوق ، والعلم المنجرد عن الذوق في
العهد كما بين السماء والأرض انتهى .

ولما ورد ملا أفضل العجمي مصر في سنة أربع وستين وتسعمائة أرسل
إلى علماء مصر عدة أسئلة يسألهم فيها عن قول الشيخ محيي الدين في أول
الفتوحات الملكية وعلمت بقرائن أحواله الحمد لله الذي خلق العالم من عدم
وعدمه ما معنى ذلك ، وعلمت بقرائن أحواله : أنه متعنت ، فلم أجبه عن ذلك .

وقلت له : إن أردت علم ذلك ذوقاً فتلذذ لأحد من أهل الطريق بخليك
خلوة صالحة ، فيطلعك على أحوال القوم ، فإن من خصائص الصادق في
طلب الطريق أنه يصير يطلب شيخاً يضعه في طريقهم من غير أن يقف على
اصطلاحهم أولاً ثم بعد ذلك يطلعه على مصطلحهم ، فلم يرد على جواباً ، ثم
إنه أخذ ينقص كلام جميع من كتب على ذلك من العلماء على ما بلغني ،
فما أخطأت فراستي بحمد الله فيه .

فأعلموا ذلك أيها الإخوان وأعزوا الطريق يعزكم الله والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم؛ إذا كانوا من مشايخ الخرق التي لا ينضبط
أهلها على القانون الشرعي .

أن يأمر الشيخ بجميع الفقراء في كل ثلاثة أيام أو أسبوع مثلاً وينادي
فيهم من له حق على أخيه فليأت هو وإياه ، فيقومان بين يدي الشيخ كما يقفان
بين يدي القاضي ، فإما يطلب أحدهما أو كلاهما حقه وإما يقع الصفح ،
والمساحة .

وكان على هذا القدم سيدي محمد العمري بالمحلة الكبرى ، ومشايخ السادة
الأحمدية والبرهانية والقادرية والرفاعية إلى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ،
فأت الأشياخ الذين كانوا يحكمون بالعدل ، ومات المريدون الصادقون الذين
كانوا يرضون بحكم الشيخ فيهم .

وكان خليفة سيدي أحمد البدوي يجمع الفقراء في زاوية سيدي مبارك
خارج باب النصر ، ويجلس خلف ستارة بحيث لا يرى أحد وجهه ، وانتقيب
يحكي له ، ويلغهم ما قضى به من صلح ، أو هجر أو قصاص ، وكان الحصان
يجلسان منكسين الرأس لا يشير أحدهما بيد ، ولا رأس ، ومتى أشار أحدهما
بيده ، صار تحت الطريق ، وسبق في هذا الكتاب ذكر أدلة الفقراء في كشف
رأسهم ، ووقوفهم عند النعال ورضاهم بحكم شيخهم فراجعوا الحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : اتباع أخلاق شيخهم في أقواله وأفعاله
وجميع أحواله

وإن كان له رسالة فليطالعوها ويتفهموا ما فيها ، ويشاورونه على كيفية
العمل بذلك ، وإن كتبوها أو استكتبوها ، فهو أولى لأنه ربما احتاج
الناس إلى سؤالهم عن معنى كلمة منها : أو ربما دس الأعداء في كلام شيخهم
ما يخالف الشريعة ، لينفروا أتباعه عنه كما وقع لي ذلك في كتاب العمود
الوسطى ، وغيره ، ولا يتعلل الفقير بعدم قدرته على أجره الكتابة وله
جوخه أو صوف أو ملبوس غالي فإن بيع ذلك ، وصرفه في أجره كتابة
الرسالة أولى عند أهل الطريق . ومن قدم ثوبه الصوف مثلاً على تربيته
ونصحه فما عرف طريق ربه ، فهو بمن باع آخرته بديار ، فلا يرجى له
فلاح وهذا واقع في مريدى مشايخ هذا الزمان ، فليحذر الناصح لنفسه
من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : توطئ نفوسهم على كثرة التعب
والعلاج في المريد الذي تقدمت له صحبة بالفقراء الذين
لا قدم لهم في الطريق .

كالذين جلسوا بأنفسهم من غير إذن من شيخ صادق ، وكشايخ الأحمدية
والرفاعية والبرهانية عن اعتمادهم في طريقهم على لبس الزى ، والمراسم
الظاهرة ، وأحدهم جاهل بالكتاب والسنة وآداب أهل الطريق ، فإن
الحكم غالباً للداع الأول والداع الثاني طارئ ، فهو كالعارض الذي
لا نبات له .

وقد صحبت من مريدي هؤلاء الأشياخ جماعة بعد جماعه ، فذاب قلبي
من التعب فيهم لاسيما من رباه فقراء المضاعفة ، فإن عداوة الفقهاء والصوفية
قد تشربت قلبه على حكم ما وسوس به إليهم إبليس ، وقال لهم : أنتم الفقراء
حقا والفقهاء والصوفية وما هم على حق ، ولذلك أنكروا عليكم . وهذه من
أكبر ماضلهم به إبليس ، فالتقى بينهم وبين حملة الشريعة العداوة ، حتى
لا يسمعون منهم ما ينصحونهم به ، فلا هم يسمعون من علماء الشريعة ، ولا معهم
شرع يستضيئون بنوره فضلو ، وأضلوا ، فاعلموا ذلك أيها الإخوان وانصحوا
المضاعفة برحمة وشفقة إن أردتم هدايتهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا كان أحدهم ناظر على وقف زاوية

ولم يجد أحدا يصلح لإستاد النظر إليه بعده بأن خاف منه بأن يخص نفسه وأولاده بشيء من وقف الفقراء بأنيد العاديه ، فمن المأمور أن يوصى الذى أسند إليه النظر من ولد أو تلميذ بأن يتقى الله تعالى فى ذلك ، ويحذر حياة الوقف الذين يخاف البالوعات والكاتومات وألا يمكنوا ولدهم أو تلميذهم من أخذ شيء لا يخصهم من وقف الفقراء فإن الدنيا حلوة خضرة وربما وسوس الشيطان وعظم لأحد أبناء الشيخ أو خليفته كل التعظيم ويقول له : كل ما يأكله من مالى الوقف يكون إله حلال لأنه لولا جباهه ما وصل الفقراء إلى خراجهم ولا حصلوا على أى حق لهم فى الاوقاف ، فإذا مهد للشيطان لهم هذه الأكاذيب سرت فى الشيخ أو خليفته العداوة فى أسرع من لمح البصر ، وتصير الجباة يأكلون مال الوقف جهارا ، وإن تكلم ولد شيخ أو خليفته قالوا له أخرج أنت الآخر بما أخذته منا بغير حق لترده على الفقراء فلا يقدر على إعطائه ، لعجزه عنه ، فلا يسعه إلا السكوت ، فتخرب الزاوية ، ويضيق رزقها ، وترتفع البركة من الزاوية ، ويسكت خراجها فى صحيف الحياة والناظر ، ويصفق إبليس ، ويفرح لذلك .

فإنكم أيها الإخوان من مطاوعة إبليس فى مثل ذلك فإنه عدو مبين ، وقد نصحتكم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة اعتنائهم بأمر الصلاة أكثر من سائر أعمالهم .

وذلك لأنها جامعة ، لسائر المعارج المتفرقة في عبادة أهل السموات وأهل الأرض في الأجر والثواب (١) .

فمن صلى الصلاة كاملة بحضور شرك أهل السموات وأهل الأرض في الأجر والثواب .

فهو في حال طهارته موافق للملائكة والاصفياء المتطهرين من الذنوب .

وفي حال قراءته أذكار الرضوء التي فيه ، والتي بعد الفراغ منه موافقا لأهل تلك الأذكار من الملائكة المستشهدين ، والداعين والمسبحين ، والحمدين والموحدين ، والمستغفرين ، والتواابين .

وفي حال الصلاة موافقا للملائكة القائمين القانتين النافرين للخيرات المكبرين لله تعالى الحمد لله المسبحين له بكرة وأصيلا الذاكرين لله باسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الحمد لله المخلصين له العبادة السائلين الله تعالى الاستعانة في جميع أحوالهم ، والهداية للصراط الذي عليه الانبياء والاصفياء كما أوضحنا ذلك مرارا والحمد لله رب العالمين .

(١) وذلك لأن الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد ترك الدين ، وهم في ذلك يحاولون التماسي برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت الصلاة أهمية كبرى عنده يوضحها بقوله . .

« إن بين الرجل وبين الشرك والكفر : ترك الصلاة » .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يتوضأ لكل صلاة .

عن أنس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل

صلاة ، قبل له : كيف كنتم تصنعون ؟ قال : يجزى أحدنا الوضوء ما لم يحدث . .
وعن السيدة عائشة رضوان الله عليها : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم
من الليل حتى تنفطر قدماه .
فقلت له : لماذا تصنع هذا يا رسول الله ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر ؟ »

قال : أفلا أحب أن أكون عبد اشكورا !
ويحدثنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن صلواته مع الرسول صلوات الله
وسلامه عليه يقول : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فأطال القيام حتى
صممت بأمر سوء .
قيل : وما صممت به ؟
قال أبطس . وأدته .

ولعل السبب الذي يعذر فيه ابن مسعود ، أن رسول الله صلوات الله
وسلامه عليه كان يقرأ في الركعة الأولى مثلاً : سورة البقرة وفي الثانية آل عمران ،
وفي الثالثة سورة النساء ، وكان يطيل القيام والركوع والسجود ، وكل ذلك عندما
يكون منفرد أمام الناس فإنه يخفف .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الليل إحدى
عشرة ركعة ، فإذا أطلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ، ثم اضطجع على شقه الأيمن
حتى يحى المؤذن فيؤذنه ، ؟

ويقص مطرف بن عبد الله عن أبيه قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ،
وهو يصلي ولجوفه أزر كأزير الرجل يعني يمشي .
والاحاديث التالية تبين بعض أحوال الرسول صلوات الله وسلامه عليه
في الصلاة :

: كان عند الإقامة يقول : « أقامها الله وأدامها . .

وكان صلى الله عليه وسلم : « إذا قام إلى الصلاة طأماً رأسه . .

قالت السيدة عائشة رضوان الله عليها : (لم يكن صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر) .

عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة أ كنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم كثيرا ، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي منه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام .

(وكان صلى الله عليه وسلم يدخل في الصلاة ، فيريد إطالتها فيسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته مخافة أن يشقى على أمه)

(وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ بسورة والجمعة ، في الركعة الأولى ؛ وردد إذا جاءك المنافقون ، في الثانية) .

عن جبير بن مطعم قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بسورة الطور » .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يقرأ في المغرب بسورة والمرسلات عرفا ، وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : (ما أخذت دق والقرآن المجيد إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس) .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يقرأ في صبح الجمعة . دالم . تمريل السجدة و دهل أبي علي الإنسان حين من الدهر ، رواه الشيخان .

من حديث أبي هريرة ، وإنما كان يقرأها كاملتين ، وقراءة بعضهم خلافا للسنه .

« كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة . بسورة « سبح اسم ربك الأعلى » وسورة « هل أتاك حديث الغاشية » .

وكان يكثر في ركوعه وسجوده من قول . « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم أغفر لي » .

« وكان صلوات الله وسلامه عليه ، يقول بين التشهد والتسليم . اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به في أنت المقدم وأنت المؤمن ، لا إله إلا أنت » .

وفي السجود يقول صلوات الله وسلامه عليه اللهم إني أعوذ برضاك من

سخطك ؛ وبمغافاتك من عقوبتك . وأعوذ بك منك لا أحمى .
ثناء عليك أنت كما أمتنع على نفسك .

« وعن حذيفة ، كان يقول صلى الله عليه وسلم في ركوعه . سبحان ربى
العظيم ، « وفي سجوده ، سبحان ربى الأعلى » .

« وعن السيدة عائشة رضوان الله عليها : كان صلى الله عليه وسلم يكثر أن
يقول . في ركوعه وسجوده : (سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لي)
يتأول القرآن ، رواه مسلم . ومعنى يتأول القرآن : يعمل بما أمر به كما في
قوله تعالى : « فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » .

ومن أخلاقهم : إذا دخل أحدهم محفلا فيه أحد من
رؤوس العلماء والصوفية

كالاجتماع في وليمة أو انتظار جنازة أن لا يدخل أحدهم ذلك المحفل إلا
إذا علم أن أهل ذلك المحفل لا يرفعون رتبته في التعظيم والاجلال فوق
من كان حاضرا هناك من العلماء والصالحين .

فتى علموا ذلك أو غلب على ظنهم فمن الأدب عدم الدخول لما قد
يترتب على ذلك مفسدة أعظم من مفسدة الدخول ولا يجوز للمتنع من
الدخول بشرطه أن يظن بذلك العالم أنه قد يتأثر من ترجيح غيره عليه في
تقريب اليد والاجلال ، ويقول : أنه فعل ذلك مراعاة لحاظه فإن ذلك
سوء ظن به ، فإنما يفعل ذلك قياما بواجب حقه ، وإيثاره على نفسه ، ولو
رضى هو بذلك .

وربما ظن بعض الناس بالممتنع أنه ما امتنع من الدخول إلا لغلبة ظنه
أنه لا يقوم له ناموس مع وجود ذلك العالم أو الصالح الذي هناك وهو
ظن فاسد .

فليكن الفقير في هذا الزمان يلحق باللاحق يخلص نفسه أول ،
وأخاه ثانيا ، والحاضرين في ذلك المحفل ثالثا ولا أراه ناجيا والحمد لله
رب العالمين .

ومن اخلاقهم : أن لا يشتغلوا بسبب من وقع في شيء .
مما أخبر به الشارع صلى الله عليه وسلم أنه سيكون بين
يدي الساعة .

بل يشتغلوا بالصلاة والتسليم على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم انصديق المصدق ، ويزدادوا بذلك محبة له ، وإيماناً به .

ثم يشكرون الله عز وجل الذي لم يجعل تلك المعصية مثلاً على يدهم .
ثم يدعون لمن وقعت على يديه ويستغفرون له .
هذا أدب الفقراء الصادقين في هذا الزمان .

فليحذر الشيخ الجاهل في أواخر القرن العاشر من أن يشتغل بأزدياء من
وقع في شيء من علامات الساعة ، أو احتقاره ، ويترك ما أمرناه به من
الصلاة والتسليم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها .

ولو أمعن النظر في حال نفسه لوجد نفسه أسوأ حالاً من
أزدياءه ، وأكثر معاصي ، فأعلم ذلك يا أخي وأعمل به واجتهد
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يتمثل أحدهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو قوله صلى الله عليه وسلم أرحنا بها يا بلال وكرأيم أمراهم أو زادك الله حرصا ولا تعد ونحو ذلك إلا بالحضور والتعظيم

مع ملاحظة المعنى الذى أراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصده من مراعاة امتثال أمر الحق والقيام بواجب حقه ، ويكون ذلك لله تعالى خالصا مخلصا لا رياء فيه ولا سمعة فلا ينبغي لعبده أن يقول ذلك وهو غافل عما ذكرناه فيكون كالمثلاعب بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قلت مرة للشيخ حسن الطربى : لما تمثلت مرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أرحنا بها يا بلال) ، فتوديت فى سرى أما تستحى من الله تعالى . وأنت تقول مثل ذلك ، فإنه لا يرتاح بالصلاة وبمناجاتنا فيها إلا حضر فيها محمد صلى الله عليه وسلم ، فبالله عليك هل أنت كذلك ؟ . فكدت أن يغشى على ومن ذلك اليوم ما قلت مثل ذلك إلا بإذن ونية صالحة ، وإن لم أجدهما سكنت .

فعلم أن من كان صادقا فى قوله أرحنا بها يا بلال ، فهو مأجور وله ثواب من أثنى على الله تعالى ، ومدحه بين عباده ، فإن حصول الراحة بالصلاة نعمة عظيمة أعظم من حدوث ولد أو زوجة صالحة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يمد أحدهم رجله في ساعة من ليل
أو نهار مع قوله دستور يا الله إلا بعد أن يضمها تعظيم
جناب الحق جل وعلا ولم يزل منه التعب

وقد وقع لي أنني مددت رجلي في مجلس الصلاة على سيدتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرة مع قولي : دستور يا الله فرأيت تلك الليلة شيخى
الشيخ نور الدين الشافعى رحمه الله وهو يقول لي : إذا أحسست بوجع في
رجليك إذا اضمتها ؛ فانو بذلك انضم تعظيم جناب الحق تعالى ؛ فإن لم
يزل التعب ؛ فاستأذن حينئذ ربك ؛ ومد رجلك فإن الأدب مع الله تعالى
شفاء من كل داء ؛ فإن ضمت رجلك على نية التعظيم والإجلال لله تعالى ؛
ولا يزل التعب ؛ فذلك من خلل في الإخلاص ، أو عدم صدق في الكلال
أو شروط الرخصة انتهى ؛ فشكرت الشيخ على ذلك . وقلت : رحم الله الشيخ
يؤدبنا ، ويرينا حيا وميتا ؛ وذلك بعد موت الشيخ بنحو عشرين سنة .
فاعلم ذلك واعمل به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يخادعوا من خادعهم بحيث لا يشعروا
بذلك خادعهم

وذلك من كمال الرجل .

وقد كان الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : من خدعنا في الله
انخدعنا له انتهى .

مثال ذلك : أن يقول لك عدوك : أنا أحبك ، فمن كمال العبد أن يقبل
ذلك منه ظاهراً بحيث لا يلحق بك أنك تظن كذبه في ذلك بل تظن في نفسك
أنه ما نصحك إلا خوفاً عليك وتقول له جزاك الله خيراً وتعامله معاملة
المناصح الأمين الذى يخاف على دينك .

وإن توفرت القرابين على ضد ذلك من شدة عداوته (١)
أحداً من أهل عصرى إلا القليل كالأمير جاثم ، والأمير محمد الدفتردار ،
والأمير محيى الدين بن أبى أصبح ، وتقول الناس فى حق صاحب هذا المقام
فلان يقتل القتيل ، ويمشى فى جنازته ، وليس ذلك من قسم اللوم ، والخيانة
وإنما ذلك من وسع دائرة العقل .

فاعلم ذلك واعمل به فإنه لا بد من ذلك لكل من خالط الناس فى
هذا الزمان .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول : من كمال عقل الرجل
إذا رأى من يخدعه فى الله تعالى أن ينخدع له ، ولا يعرفه بفهمه أنه عرف
خداعه بل يقبّله له ؛ حتى يغلب على ظنه أن خداعه قد أثر فيه ، ويسمى

(١) مطبوس من الأصل .

ذلك معاملة الصفات التي ظهر بها أخوك ؛ ومعلوم أن الإنسان لا يعامل
الناس إلا من حيث صفاتهم لا من حيث أفعالهم .

فلا تفضح يا أخى من خدعك في خداعه ، وتجاهل ، وانصبغ له ،
كاللون الذي أراد منك أن تنصبغ له به . وادع له ، وارحمه عسى الله أن
يتوب الله عليه من تفاقه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : الإستقامة في التوبة لأنها أسهل لكل مقام
يرقى إليه العبد حتى يموت (١) .

ومتى كان في التوبة اعوجاج انسحب حكمه إلى الإعوجاج في كل مقام
بعده ، فيصير بناؤه متهدداً كمن يبنى حائطه من اللبن اليابس بغير طين .
وقد أمرنا الله تعالى بالتوبة النصوح ، وهي المراد بالاستقامة في التوبة ،
وذلك ليتوفد منها نتائجها من الزهد في الدنيا ، والإقبال على الأعمال الصالحة
ليلاً ونهاراً .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من استقام في توبته
وزهد في الدنيا ، فقد انطوى فيه سائر المقامات ، والأحوال الصالحة .
فقلت له : وما علامة الاستقامة في التوبة .

فقال : ألا يجد كاتب انشغال شيئاً يكتبه أربعين سنة ، ولا يكون في باطنه
شيء يكرهه الله أبداً مدة حياته .
فقلت له : وما علامة الزهد في الدنيا .

فقال : أن لا يلقي بالآ إلى الدنيا من مؤمن وكافر وعدو وحاسد وكلما
حقره أحد من الناس يزداد فرحاً وسروراً .

وسمعت رحمه الله يقول : إذا ظن المريد أن ترك الدنيا والزهد فيها شيئاً
كبيراً عند القوم فإن غايته أن العبد يزهد فيما لا يزيد عند الله عن أقل من
جناح بعوضة .

وسمعت سيدي محمد المنير رحمه الله يقول : من علامة الاستقامة في التوبة

(١) ولعلمهم في ذلك يحاولون التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه دلائل النبوة ومعجزات الرسول صلوات الله
وسلامه عليه .

وتبدأ قصة الإسراء والمراج — في بعض روايات البخارى ، وفي بعض روايات غيره — بشق الصدر .

من ذلك ما يرويه الامام أحمد — بسنده — عن أنس بن مالك قال :
« كان أنى بن كعب يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : فرج
سقف بيتى وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففزع صدرى . ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء
بطست من ذهب مختلى . حكمة وإيماناً فأفرغها فى صدرى ، ثم أخفيها . . . »

هذا الحادث هو — بالنسبة لنا — التوبة ، فإن تطهير القاب الذى حدث
لرسول الله صلى الله عليه وسلم — عدة مرات فى حياته ؛ إنما هو بالنسبة
لأتباعه بمثابة التوبة . . .

والواقع أن حياة المسلم — فى طريقه إلى الله — إنما تبدأ بالتوبة . وليس
قبل التوبة من درجة تسبقها . والتوبة التى نتحدث عنها ، إنما هى التوبة الخالصة
النصوح . فإن الله تعالى يقول :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ توبة نصوحاً ، سورة التحريم آية : ٨ فأرشد
— سبحانه — إلى أن التوبة المطلوبة ، إنما هى التوبة النصوح . . . ولاجل أن تكون
توبة خالصة نصوحاً ، فإنه لا بد من توفر شروط . . . »

ويتحدث الإمام النووي عن شروطها — فى كتابه المبارك — « رياض
الصالحين » . فيقول : توبة واجبة من كل ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين
الله تعالى ، لا تتعلق بحق آدمى ، فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقطع عن المعصية .

والثانى : أن يتوب على قلبها .

والثالث : أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً .

فإن فقد أحد الثلاثة ، فلا تصح التوبة . . .

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة ، هذه ، الثلاثة ؛

وأن يبرأ من حق صاحبها . . . فإن كانت مالا أو نحوه ، رده إليه .

وإن كان حد قذف ، أو نحوه ، مكنته منه ، أو طالب عفوهُ . . .

وإن كانت ضيئة ، استحلها منها . .

ولأن التوبة أول سلم في معراج السالكين إلى الله ؛ ولأنها واجبة من ذنب ،
ولأنها تحجب ما قبلها ، ولأنها تضيئ الإنسان - فور تحققها في مرتبة البراءة
والطهارة والنقاء - فإن الإسلام حث عليها كثيراً .

يقول الله تعالى آمراً بها : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »
وقد فتح الله بابها - خالصة تصوحاً - على مصراعيه . . فقال في كتابه العزيز
يسيل رحمة ورأفة :

« قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله
يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم » . .

إنه سبحانه - يغفرها بالتوبة ؛ لأنه سبحانه - يقول بعد ذلك موجهاً
المسلمين إلى الطريق ؛

« وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون .
وأتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغته
وأأنتم لاتشعرون » . .

ويتابع القرآن في التوجيه إلى التوبة - في أسلوب كله رحمة ورأفة - ما جاء
في حديث قدسي طويل رائع . يقول الله تعالى فيه :

« يا عبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ،
فاستغفروني أغفر لكم » . .

ويتابع ذلك كله الأحاديث النبوية :

« إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب
مسيء الليل » . .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم يعترف بالخطيئة كأمر واقع لا ينأى إنكاره ،
فيقول :

• • • • •
• كل ابن آدم خطاء • •

ولكنه يرشد إلى الوسيلة التي تفضل بعض الخطائين ، وتجعل لهم منزلة في
الخير فيقول :

• وخير الخطائين التوابون • • •

يقول الإمام القشيري :

ومن لطائف المعراج : ما خص به أول حالة في تلك الليلة بالظهارة على ما ذكرنا ،
وقد شق قاب النبي — صلى الله عليه وسلم — مرتين : مرة في حالة صباه ، وهو
بعد في حجر حليمة ، والمرة الثانية ليلة المعراج • •

وفي تخصيص قلبه بالغسل دون غيره من البدن — إشارات :

منها : أن القلب محل العرفان ، وهو المنقطة التي يصلحها صلاح البدن ، وهو
محل المشاهدة • • ومركز الشعور ، ومصدر الإشعاع .

ولكن لا يكون لغير الحق نصيب في قلبه .

وتسميه الامة على طهارة القلب .

وإذا كان شق مصدر الذي سبق هذا الحادث الخطير — حادث الامراء
والمعراج — هو بالنسبة لنا — التوبة • • فإنه أيضاً : توجيه واضح لنار إلى أن
أن الحج إلى الله تعالى تأييد ، عند الشروع في أي أمر له قيمته • •

لأنه توجيه لنا أن الحج إلى الله تعالى ، تأييد : عند الشروع في شراء وفي
بيع • • في ارتياض بزواج في بناء بيت ، في الشروع في سفر • •

وليست التوبة في مثل هذا توبة من ذنب ، وإنما هي التجاء إلى الله . وتشفع
إليه — سبحانه — بما كيد صفاء النفس ، وطهارة القلب : من أجل أن يسد
الخطأ ، ويمنح التوفيق ، ويحفظه من الأخطاء • •

لأنها توصل إلى الله بعمل صالح ، هو التوبة .

كثرة المراقبة لله عز وجل فإن كل توبه لا مراقبة فيها للحق جل وعلي ، فهي خداع .
وسمعت سيدي محمد بن عنان رحمه الله يقول : من استقام في توبته عن
المعاصي أرتقى إلى التوبة من كل والايحى ومن لم يستقم فيها لا يشم من التوبة
عن الفضول رائحة ، ولا يقدر على رعاية خاطره أبداً بل يغلب عليه خواطر
المعاصي ، حتى في صلاته ، وتأمل قوله تعالى للمصوم الأكبر صلى الله عليه
وسلم (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) ، فأمره الله تعالى بالاستقامة في
التوبة ، ومن تاب معه من جميع أتباعه وأمته .

وسألت سيدي عليا المرصفي رحمه الله تعالى : عن معنى قولهم لا يكون
المريد صادقا ، حتى لا يكتب عليه ملك الشمال ذنبا عشرين سنة هل المراد
أنه لا يقع في معصية أصلا أم المراد أنه لا يصير على الذنب بل يتوب ،
ويستغفر على الفور ؟

فقال : المراد الثاني فإن المريد الصادق إذا وقع في ذنب بادر إلى التوبة ،
وندم ، فأنمى عنه ذلك الذنب على الأثر ، فلا يحس الملك شيئا يكتبه لأنه
يمكن ساعة وساعتين ينتظر لعل العبد يتوب ، ويستغفر ، فإذا ندم العبد ،
واستغفر ترك كتابة الذنب انتهى .

وقد قررنا مرارا أن الملكين لا يكتبان إلا المعاصي لقوله أو الفعلية
إذا تلفظ بها صاحبها وقال : فعلت كذا وكذا لقوله تعالى : يعلمون ما تفعلون
ولم يقل يكتبون فافهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : صدق التوبة

وهو أن يتوب من رؤية نفسه صدق فيها .

وهو معنى قول رابعة : استغفر الله تعالى من قلة صدقي في استغفاري .

وقد كان رويم رضى الله عنه يقول : حقيقة التوبة هو التوبة من رؤية التوبة .

وكان سهر بن عبد الله رضى الله عنه يقول : لا ينبغي للفقير أن يقف في مقام توبه على ما دون المقام الأعلى انتهى هو مقام الاستجابة وذلك بأن يتوب من كل خاطر يخطر له في غير مرضاة الله تعالى سواء أكان (١) في غيرها كما هو شأن أهل القرب من حضرة الله تعالى فهم يتوبون من كل خاطر خطر لهم مع الفعلة عن الله وسبيله رضى الله تعالى عن الشخص يتوب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء بقلبه أو يراه أو يسمع به ، فيجد حلاوة في نفسه هل يندح ذلك في كمال توبته ؟

فقال رضى الله عنه : وجود الحلاوة لازم لطبع البشرية ، ولا بد من الطبع ، وليس للعبد حيلة إلا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى ، ويلزم نفسه الأذكار ، ويسأل الله أن ينسيه ذلك ، ويشغله بذكره ، وطاعته قال : ومتى غفل عن الأذكار خيف عليه العطب أن تسكن الحلاوة قلبه ، وأعظم دوائه إذا وجد الحلاوة أن يلزم قلبه الأذكار ، والجزء فإذا فعل ذلك لم يضره وجود تلك الحلاوة إن شاء الله تعالى .

وسمعت سيدي عليا المرصني رحمه الله يقول : إذا تمكن العارف لم يسكن في قلبه حلاوة شيء قاب عنه بل نزول منه الحلاوة بمجرد التوبة ، وإنما كلام سهل

في حق المریدین ، فإن حب الله تعالى في قلب العارف يمنع أن يسكن فيه محبة
آخريه تعالى ، وكل من وجد في نفسه حلاوة الذنب الذي تاب منه ، فهو لم
يتمكن من قلبه حب الحق ، فليترك على نفسه إنتهى .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من كمال التوبة أن لا يكون
في جوارحك الظاهرة ، والباطنة شيء يكرهه الله أبدا إنتهى والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم: العمل على تحصيل مقام الورع الكامل والزهد الكامل .
وذلك بأن يتورع أحدهم عن كل شيء يشتت قلبه عن ربه تعالى طرفه
عين ، ويزهّد كذلك في كل ما يشغله عن ربه عز وجل .

وقد توضأ صلى الله عليه وسلم من إناء على طرف نهر ثم صب ماء الإناء
في النهر ، وقال : ينفع الله تعالى به قوماً آخرين ، فكان صبه صلى الله عليه
وسلم ما في الإناء في النهر من الورع .

وكان الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : من ادعى الورع ،
ومال بقله إلى أحد من أبناء الدنيا فقد خرج عن الحد .

وكان الإمام سهل رضي الله عنه يقول : من لم يحفظ لسانه من في حق
عباد الله من الإنم فليس له في مقام الورع نصيب .

وسئل الشبلي عن الزهد فقال : لازهد في الحقيقة لأنه إما أن يزهّد
فيما ليس له ، وليس ذلك بزهد ، وإما أن يزهّد فيما هو له ، فكيف يصح
الزهد فيما هو فيه ، وعنده انتهى .

قلت : وفيه نظر لأن ذلك لو اطرّد لهدم قاعدة الاجتهاد ، والكسب
ولعل مراد الشبلي أن يقلل الزهد في عين الزاهد لأن لا ينتز بالزهد ، وفي
الحديث : إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا ، ومنطقاً ، فاقربوا
منه ، فإنه يلقى الحكمة ، وقد سمي الله تعالى الزهد علماً في قصه قارون
في قوله :

وقال الذين أو توالوا العلم ويلكم ثواب الله خير قليل : هم الزاهدون :
وفي الحديث : العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ، فإذا دخلوا في
فاحذروهم على دينكم ،

وسئل الشبلي أيضاً عن الزهد ، فقال : الزهد غفلة لأن الدنيا لا شيء ،
والزهد في لا شيء غفلة -

وقال بعضهم لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا لحواسها عندهم .

وسمعت سيدي عليا الخواص يقول : ثم مقام في زهد الزاهد اعلا من هذا ، وهو أن يأخذ العبد الدنيا بإذن من الله تعالى كما تركها بإذن ، فيستريح عنده الأخذ والترك لفناء اختياره مع الله تعالى ، وثم مقام اعلا من هذا ايضه وهو من اختار أن لا يكون له اختيار ، فرد الحق تعالى عليه اختياره لطهارة نفسه ، وسعة علمه ، فيزهد زهدا بالغاء ويترك الدنيا بعد أن تمكن من أخذها ، وأعبدت له موهبه من الله تعالى ، فيكون ترك هذا المقام باختياره ، واختياره من اختيار الحق تعالى ، فقد يختار تركها حسنا تأسيسا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وبالسلف الصالح ، ويرى أخذها في هذا المقام الذي هو مقام الزهد في الزهد رفقا أدخل عليه من الله تعالى لموضع ضمه عن درك مقام الأقوياء من الأنبياء ، والصديقين ، فدرك من بالحق للحق وقد تناوله باختياره رفقا بتفهمه على وجه تديير يسوسه فيه صريح العلم ، ولا يمكنك فيه الا الأقوياء العارفين والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : كثرة محبتهم لمن أحسوا فيهم زوال
وعوناتهم واغزاضهم النفسانية

ومن أدركته على هذا الخلق سيدى محمد بن عثمان والشيخ محمد المنير ،
والشيخ أبو بكر الحديدى ، والشيخ عبد الحليم ابن مصلح وسيدى محمد
الشناوى ، فكان كل واحد منهم يبجل أخاه ، ويرفع مقامه غيبة وحضورا ،
فلا تكاد تسمع من أحدهم فى حق أخيه كلمة يستحى أن يواجهه أخاه بها
عكس ما الناس عليه اليوم ، وذلك من أعظم دلائل على بقاء رعونات نفوسهم ،
وعدم زهدهم فى الدنيا ، ومناصبها ، وشهواتها ولو صدقوا فى محبة الله
لا حبرا كل عبد لله تعالى

وقد اظفرت من العلماء والصالحين طول عمرى بمشرفة أنفس على
أخلاق السلف الصالح فلا تكاد تسمع من أحدهم كلمة فيها تعريض
بنقص لأحد من أقرانهم ، وهم الشيخ سليمان الخضيرى والشيخ إبراهيم الذاكر
والشيخ شهاب الدين خليفه الشيخ شاهين والشيخ بهائى الدين الرفاء والشيخ
صالح خليفه سيدى إبراهيم الدسوقي ، والشيخ شمس الدين الخطيب الشربى ،
والشيخ مراح الدين الحانرقى الشيخ نور الدين الطندتاى ، والشيخ أحمد
الهندى رضى الله عنهم أجمعين ، هؤلاء الذين رأيتهم محفوظين من الرعونات
من أصحابى وأما من لم يقع بيننا ، وبينهم صحبة فلا كلام لنا فيهم :

بابحث يا أخى على مثل هؤلاء ، واصحبهم ولا تصحب من كان بالضد
ومن ذلك ، فإن صحبته تغم وتكدر فى الغالب ، وتصير أنت ، وإياهم فى
علاج ونفاق وملتق فى إلى الإثم أقرب والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا رأوا فقيرا يتكرم على الناس
بمائه وثيابه وطعامه وكل شيء دخل يده أن يمدحوه على
ذلك

ولا يأخذوا في معارضة الناس في مدحه ورد خصوصيته عليهم ،
ويقولون : إن فلانا يفعل ذلك يحظ نفسه لا لله تعالى كانوا على الضد من
صفاته وكان على هذا القديم سبدي محمد بن عثمان والشيخ عبد الحلیم بن
مصلح كانوا يتكرمون بكل شيء دخل في بيوتهم وجيوبهم على الفقراء
والأغنياء ، وإذا سمعوا بأحد من إخوانهم يذم فيه الناس جعلوا درجته
فوق درجتهم . ويقولون : إن تكرمنا لا يحى عشر ما يحصل من كرم فلان ،
ولكنه يعطى الناس سرا ، ويقصدون بذلك ستر أهل الخرقه : ومن تزيأ
بزيهم .

وقد ذكروني بالكرم عند بعض مشايخ العصر نحن ليس هو مشهور
بالكرم فقال : هذا كله لحظ نفس فيقال : فقال له قائل في المجلس هذا أمر
لا يطلع عليه إلا الله تعالى ، ونحن مأمورون بحسن الظن بالمسلمين ، ورضينا
منك أن تتبعه في مثلي فعله ، فإدري ما يقول ، وافتضح : وكان الأولى به أن
يحسن ظن بي ، فإن هذا هو الذي كافئناه ، وأما المواطن ، فهي إلى الله تعالى
قال صلى عليه وسلم :

أمرت أن أقاتل الناس الحديث إلى أن قال وحسابهم على الله تعالى

فياياك يا أخى أن تسلك مسلك هذا الشيخ فتقع في الإثم بل اتبعه في
الكرم ، وكثر سواد القوم الذين تزعم أنك منهم ، وعلى طريقهم والحمد
لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : محبة القرب من العلماء العاملين ولو وقع
منهم بعض إنكار عليهم

إذ لا بد للمتشرع من من بعض إنكار على أهل الطريق لقلة علم الحقيقة
عندهم على علم الشريعة ، فلايز الون كذلك ، حتى يحصل للفقراء الكمال ،
فهنالك ، يكتم علوم الحقيقة لأن سلطانها إنما هو في الدار الآخرة ، وأما
دار الدنيا ، فهي محل سلطان الشريعة أو كل من تعداها أخطأ ، وربما ضربت
عنقه ، وتتخلف الحقيقة عن نصرته ، وعن كف الولاية عنه ، وإن وقع أن
أن وليا خرق سور الشريعة ، وحفظ من القتل ، والحبس ، والتعزير ،
فذلك نادر .

وقد روى ابن حبان ، والبيهقي مرفوعا : خمس من العبادة : قلة
الطعمة ، والقعود في المساجد ، والنظر إلى الكعبة ، والنظر إلى المصحف ،
والنظر إلى وجه العالم انتهى .

وبلغنا أن أمراء وقفت تجاه وجه يشر الخافي تنظر إليه فقال لها :
ما حاجتك .

فقالت : حديث بلغني .

فقال لها : وما هو .

فقالت : النظر إلى وجه العالم عبادة ، فشر بشر مغشيا عليه ،

وقال : أولئك العلماء الذين درجوا في محبة الله عز وجل اذهبي إلى
مقبرة بغداد فانظري إلى ألواح الموتى خير لك من رؤية وجه بشر انتهى
والحمد لله رب العالمين

ومن اخلاقهم : المزاظية على صلاة الجماعة

فربما مكث أحدهم أربعين سنة - لم يصل صلاة واحدة منفرداً^(١) والسر في ذلك صدق اليقين لديهم في صلاة الجماعة ، فقد اجمع أهل الكشف أنه ما اجتمع ثلاث قط إلا ومنهم ولى الله تعالى يجب الله ويسعفه في رفقته في الدارين وفي الحديث : الواحد شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب ، يعنى في السفر ، فانظر كيف جعل الإثنين شيطانين أى مبعودين عن حضرة مجالسة الله عز وجل .

فعلم أنه من كشف الله عن بصيرته لا يقيده عن حضور الجماعة مفند من شياطين الإنس والجن ولذلك قالوا :

إذا رأيتم المرید يتهاون في الحضور لصلاة الجماعة حتى تفوته تكبيرة الإحرام فأعلموا أنه لا يجي منه شيء في الطريق أى فإن من لم ينهض للحضور مجالسة الله عز وجل التي هي اعز ما يطلب في الدارين ، فما بقي شيء ينهضه الا لعل النفوس وحظوظها ، وتلك عادة لاعبادة .

فأعلموا ذلك أيها الإخوان وإياكم والصلاة فرادى ، فإنه الخسران العظيم في الدارين والحمد لله وب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يمدحوا كل من أحسن
إلى غيرهم مع حرمانهم من إحسانه

عكس ما عليه غالب الناس اليوم ، فلا يكاد أحدهم يشكر إلا من أحسن
إليه هو ولو أحسن إلى غيره دونه لا يقدر ينطق بمدحه ،

وقد جاء في شخص من طلبة العلم بشكر في شخص يبيع الورق ؛
ويطلب في مدحه فوق ما يستحق . ثم بعد مدة جاني يذم فيه فقنشت عن
عن سبب ذلك . فجدته كان يحسن إليه بالورق الذي يكتب فيه كتب العلم
فأرشدته شخص إلى شخص آخر من طلبة العلم وقال : إنه أفقر من فلان
فحول الورق الذي كان يعطيه له إلى الثاني ، فقلت : يا أخى ما هكذا المؤمنون
إنما المؤمن من يدور مع الحق حيث دار ، فإذا رأيت من يحسن إليك حول
إحسانه إلى من هو أولى منك ، فمن الواجب أن تحب له ذلك لتكونه أكثر
حاجة منك إذ من الواجب عليك أن تهتس أنت على من هو أجود إلى
إحسانه وتسعى به إليه لأن لا تكون سبباً في نقص أجره وهذا الخلق عزيز
هذا الزمان وقليل من يقدر على تحصيله واتخذ الله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يكون فيهم مقام الاتحاد بينهم وبين
أخوتهم في المال:

فيكون ماله مال أخيه وحاجته حاجة صاحبه ، وإذا أرسله صاحبه
يشترى له حاجة فوجد الثمن الذي معه دون حق نصفها مثلاً فمن حق
الإخوة أن يزن نصف ذلك الثمن من مال نفسه ، ولا يعلم أخاه بذلك بل
لو حدث نفسه بإعلازمه إذا استحل ذلك في نفسه خرج عن الأخوة :

وقد ريت شخصاً اسمه محمد السند بسطي فكان على هذا القدم ، فما
أخبرني قط بما وزنه من عنده بالغاً ما بلغ ، وكان يحمل أولادى ويخرج
السوق فيشتري لهم كل شيء اشتوه ، ولا يعلمنى بذلك ، وإنما يخبرنى به
الأولاد فقلت لهم فى ذلك فقال : الفضل لأولاد سيدى الشيخ الذين يقبلون
منى ما أهديه لهم من ما لهم الذى تفضلوا على به ، ومن بعده ما صح لى ذلك
مع أحد من ربيتهم إلى الآن .

وكان كثيراً ما يرهن عمامته ورداهه فى السوق إذا لم يكن معه شيء
ويشترى للأولاد شهوتهم ، ثم يخلص رهنه بعد ذلك فأسأل الله أن يعامله
بفضله فى قبره : ويوم القيامة آمين اللهم آمين والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يرشدوا النقيب إلى أن يلتقى بالله إلى
الشفقة على الفقراء في أمركوتهم

فلا يجيب أحدا منهم إلى تخصيص نفسه على إخوانه بشيء

وإذا سافر أحد من الفقراء لمصلحة الفقراء فمن المعروف أن يعطيه
الزاد ذهاباً وإياباً ، وإن سافر لمصلحة نفسه ، وكان فقيراً أعطاه كذلك
وإن كان معه ما يشتري به زاده لا يعطيه شيئاً إذ لا حق لمثله في طعام فقرا
الزأوية ، وما يأخذه من ذلك يورثه الأمراض ، والأسقام في جسمه كما
كل جوب والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يقيموا نقيباً يدروز للفقراء العاجزين
عن الكسب في الزاوية .

ويعلموهم الإخلاص في ذلك ليحل بحسن نيته عقد البخل التي في نفوس
البخلاء ؛ ويستحب للفقراء ما قسمه الله تعالى لهم بسهولة ؛ فإن النية الصالحة
تحل العقد . والنية الفاسدة تعقد المحاولات كما جرب ، وإن كان النقيب غير
جاني لوقف الزاوية ، فهو أولى .

ويجب عليه أن يعلم الفقراء أنهم إذا أخذوا شيئاً أخذوه من الناس بعزة
نفس ، بحيث لا يصير الممطي يرى له منة عليه ، ولا على بل يرى الفضل
لنا الذي قبلنا ذلك منه ، وقل من النقباء من يقدر على ذلك بل يحملوا شيخهم
وأنفسهم ممن الخلق ، ويكونوا سبباً لتقصير كلهم عندهم لا سيما الأكابر ،
والأمراء ، فأسأل الله تعالى من فضله أن يرحم الشيخ إبراهيم^(١) رحمة
واسعة وأن يجزيه عن الفقراء خيراً .

وقد كان من أخلاقه أنه إذا دروز للفقراء ألا يلحس بما يأخذه لهم من
الفقراء شيئاً لنفسه ؛ ولا يحدث نفسه بذلك ؛ بل يأكل منه أسوة بخيره ممن
لم يتعبد فيه ، وكان لا يأكل لمن له عليه خراج طعاماً بل يأخذه زواده ،
ويقول : إن أكلت لمن لى عليه حق طعاماً ضيمت المال الذي عنده للوقف
حياءاً منه ؛ وبعث الشيخ بلقمة لاسيما الولاة . وكان إن رأى الأمير متمزراً
بالباشاء مثلاً يقول لذلك الأمير : إن الباشاء يعتقد الشيخ إعتقاداً عظيماً ؛
وطلب أن يفر من القلعة لزيارته فما رضى الشيخ ؛ وإن رآه متمزراً بشيخ
استند إليه قال له عن ذلك الشيخ : إنه يعتقد سيدى قوى ويقول : إنه يود

(١) كان نقيب زاوية الإمام عبد الوهاب الشمراني .

أن لو كان من فقرائه في الزاوية ، فيبجل بي ، حتى لا يصير لذلك الأمير ترجه
للباشاء ، ولا لذلك الشيخ ، ثم يقضى ما شاء من الحوائج عند ذلك الأمير . فليعلم
ذلك كل من عمل تقييا ، ويعمل به بشرط الإخلاص وأما أضمن له أن
جميع العقد التي بين يديه يحملها الله تعالى له مع حبة الفمقر له ، وعدم سهم
لكونه يصطاد لهم دون نفسه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: إذا كان طعامهم في الزاوية واحداً ومهما دخل الزاوية فهو بينهم أن لا يتعاطوا أسباب التخصيص للزراعة والتجارة

ثم يشاركون الفقراء في الطعام ، وغيره ، فإن ذلك ظلم وحواف بل الواجب إذا وسع الله تعالى عليهم جعلوا ذلك القمح مثلاً في حاصل الفقراء لتكون لهم المنه على بأن أحدهم يأكل حلالاً ، فإن طعام الزاوية إنما هو موضوع لمن هو عاجز عن الكسب ، أو قادراً عليه لكنه مشغول بتحصيل ما يتعدى نفقه إلى غير من الناس في مصالح دينهم (كالمثقة ، والمتصرف) وكل شيخ أقر جماعته على النقيب وجمع ما يحصلونه ، ثم يشاركون الفقراء في طعامهم الموقوف عليهم ، (فهو غاش لنفسه) والفقراء .

وقد سلك شخص من جماعتي هذا المسلك قهراً على الأعذار يطول شرحها فهناك عن مال جزيل فخره إبليس وقت طلوع روحه فما كان إلا فتنه عن دينه ، وصرنا نقول له : قل لا إله إلا الله ، فصار يقول : يا مالى يا روحى كيف تأخذون المال والروح معا ، وخلف بده جماعة فلم يعتبروا به ، وطلبوا أن يسلكوا مسلكه ، وأنا بحجزهم ليلاً ونهار عن ذلك ، وهم يتفكرون من يدي إلى اتباع هذا الشخص ، فالله تعالى يأخذ بيدنا ، ويدهم آمين .

فليحذر فقراء الزاوية من سلوك طريق الزراعة والتجارة إلا إن امتنعوا من مشاركة فقراء الزاوية في طعامهم وأكلوا من تجارتهم ، وزراعتهم فإن ذلك يورث قلوبهم الظلمة والحجاب لاسيما إن جمع كل واحد في بيته من العيال ، وكثر ما استفاده ، ومنع نفسه وغيره ، فإنه يضيق على الفقراء ضرورة ويمثر طريق أرزاقهم لعدم استحقاقه لتسخير الوجود له .

وقد سلك جماعة في بعض الزوايا ذلك ، وصار أحدهم يعامل ويتقارض
الآلف دينار ، وأكثر فحى الله بركة رزق الزاوية ، وصاروا يأخذون
الخراج عن السنه الآنيه فأيا كم أيها الإخوان من مثل ذلك ، ثم إياكم والحمد
له رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة إمتحانهم لنفوسهم إذا إدعت الإخلاص
ومحبة الخمول .

ومن أعظم إمتحان يكون لها أن يعرض الفتيير عليها مآلودها لإنسان عند
الأكابر الذين يعتقدونه ، ويمسنون إليه فإن إنشروحت بذلك ، فهي صادقة
في دعوى الإخلاص . ومحبة الخمول ، وإن تكدر منها شعره ، فهي منافقة
مراية مشركة بالله تعالى الشريك الخفي عندها الجلي عند الله تعالى ، فيجب
عليها المبادرة إلى التبريه من مثل ذلك على الفور خوفاً من دوام سخط الله
عليها فإن لم يشرح الفتيير بتنقيصه عند من يعتقدونه فلا أقل من التسوية بين
الذم والمدح عنده الذي هو موقف السوا .

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

أقل علامات أو ايل درجة الإخلاص أن يتساوى عنده مدحه ، أو تنقيصه
عند من يعتقدونه ، ولا يفرق بين سماع الأمير ذلك ، وبين سماع الخمار أو
حائط ، ومجنون . ومتى وجد ترجيحاً للتنقيصه أو مدحه عند الأمير دون
الحائط والخمار ، فهو مرآنى خالص انتهى .

فليعرض سيدى الشيخ في هذا الزمان ذلك على نفسه يعرف إخلاصها
أو رياءها ، ولو أن الواحد منافقش نفسه عند دخول الباشاه أو قاضى
العسكر أو الدفتر دار مثلاً لو وجد نفسه مرآياً دق الطريقه ، ومن هنا كان
الناسخون لأنفسهم من الفقراء لا يتعاطون قط أسباباً تميل نفوسهم الولاء
إليهم ، ولا يرون نفوسهم أهلاً لأن يمشى إليهم زبال الحمام فضلاً عن أحد
من الولاء .

وقد أوصانى سيدى على الخواص مراراً وقال لى : إياك أن تمكن أحداً
من الولاء أن يأتى إلى زيارتك ، فانك لاتقدر على الوقابح طريقه ، ولكن
إذا علمت منه أنه عازم على زيارتك ، ولا بد فأرسل أستاذته فى الزياره ،

وأما أنت إليه ، فإن المالك في هذا الزمان يحتاج إلى قيام تاموس ، ومجيئه إلى مثل ذلك إخلال بناموسه انتهى .

ولما صار الباشاء إسكندر بمصر يزور الفقراء بالليل في سنة ثلاث وستين وتسعمائة صحب ولد شيخنا أبي اللطف أرسلت أقول له : زيارة الفقراء إنما تكون بالقلب ، وتعظيمهم إنما هو بالقلب . فأرسل السلام كل قليل ، وإذا ورد أحد منهم في شفاعته ، فأقبلها . فإن ذلك فيه قلة تاموس الفقراء للمالك . وناموس الفقراء ، فأجابني إلى ذلك . ثم أرسل لي صرة دراهم مع خازن داره ، وطلب الدعا له ، فقلت له : نحن لاندعوا الولاة بفلوس فلما رد خازن داره . وأخبره بما قلت له طلب مني الإذن له في الزيارة مثل غيري ، فأبيت ، ورددت الدراهم على الخازن دار ، وقلت له : أنا لا آخذ الدراهم إلا بحضرة مولانا الباشاء لما أطلع به ، ثم أرسلت أستاذته في طلوع القلعة ، فأذن لي بالطلوع .

قلت له : يا مولانا إنا لا نصحب مثلكم إلا للصالح الأخروي ولا نصحب أحد من أجل هدية ، ولا نأكل له طعاما رحمة به ورجاء لقبول عناية الله إذا نزلت فإن من يأكل طعام الولاة يتوقف دعاؤه لهم عن القبول لما فيه من المجامعة . فإذا وقع له مصيبة ، وتوجهنا إلى الله تعالى لا نقدر على صحة التوجه ، فارتضى مني بذلك ، فقال : فأعط هذه الدراهم للفقراء الذي عندك . ولا تأكل أنت منها شيئا ، فقلت له : الفقراء أجنتني يؤمنون على دعائي لكم ، فإذا أكلوا من ذلك وقف تأمينهم ، فقال : قد خرجت للفقراء عن هذه الدراهم للصالح والزهاد في مصر فقلت له : فإذا ليس لي أخذها لأنني لست صالح ولا زاهد . فغير رأيه فقلت له : إن من مقام الفقراء أن يساعدوا الولاة بأموالهم . ودعائهم لأنهم يأكلون أموالهم ، وينسون الدعاء لهم فقال : للزهاد قل له : هذا أمر عجيب طارء علينا مثله فقلت الحمد لله رب العالمين . وإنصرف في عز وإكرام وحمان الله تعالى من وقرع الثمين له ، وما قصدت بالكلام الذي قلته له إلا لإعلامه بمقام الفقراء والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم العمل على تحصيل مقام **كون** أحدهم يصبر صابراً
لا صابراً ولا متصبراً .

والفرق أن من شرط الصبار أن لو اجتمعت عليه بلايا الدنيا كلها
يتحملها . ولا يشتكى ، ولا يجزع ، ولا يشمئز بخلاف أهل القسمين
الآخرين .

وقد كان أبو القاسم الجنيد رحمه الله يقول : المتصبر هو من صبر في
مرضاة الله تعالى لكن يجزع تارة ، ويصير أخرى ، والصابر هو من تصبر
في الله تعالى ، والله تعالى ، ولا يجزع ، ولكن يتوقع منه الشكوى والجزع ،
وما خلص في قصده إلا من كان صابراً ، لأنه يصبر في الله والله وبالله ، وهو
مقام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المشار إليه بقوله :

(وأصبر وما صبرك إلا بالله)^(١) فجعل تعالى صبره بالله تعالى لا بنفسه ،
فاعلموا ذلك أيها الإخوان ، وإعملوا على تحصيله والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن يكونوا عما يستقبح عرفاً مخلقاً بأخلاق الله تعالى .
كما كنى عن الجماع بالمس ، والمباشرة ، وكما كنى عن قبة الأجنبية ، والزنا بها ،
أو اللواط في آية : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، (١)
فما قال إن الله خير بتقبلهم الأجانب وأنا أنظر وإنما قال : والله بما تعملون
خير ، وإن المراد إنما هو النظر إلى ما حرم الله والزنا بالفرج فاعلموا ذلك
أيها الإخوان وإعملوا عليه فإنه نفيس والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة النور آية : ٣٠

(٢) سورة المجادلة آية : ١١

ومن أخلاقهم إذا ثقل عليهم قيام الليل وترادف عليهم الكسل ،
أن يفتشوا أنفسهم فر بما يكون ذلك من وقوعهم في المعاصي الخفية ،
كربا والحق والعجب وكبر ونحو ذلك ، فيبادر أحدهم إلى التوبة من ذلك
وفعل الأمور المكفرة للذنوب ، كسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ،
وكثرة الإستغفار والصلاة والتسليم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فإن الذنوب إذا كفرت عن العبد ، فقد طهرت ذاته ، وما بقي لها مانع
من الوقوف بين يدي ربها في تلك المراكب الشريفة إلا عدم القسمة ومن
أعظم مكفرات الذنوب صلاة التيسير الواردة في السنة فإن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لعنه العباسي رضي الله عنه : (أنك إن فعلتها غفر الله
تعالى لك ذنوبك أولها وآخرها دقا وجلها سرها وعلايتها) فإطلبوا أيها
الأخوان معرفة كيفيتها ، وإعملوا أيها كمالا تجددوا في قلوبكم قسوة تمنعكم من
دخول حضرة ربكم مع الأنبياء ، والملائكة ، والأولياء .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله إذا وجد في قلبه شيئا من
الأمراض الباطنة يترك قيام الليل ويقول : أستحي أن أقف بذاتي المتلصخة
بالقدر بين الأنبياء والملائكة والأولياء ، وربما دخلت متلصقا فأخرجني
خدام الخضرة ، وجروني رجلى ، وقالوا : إيش دخلك بين أصفياء الله
تعالى في حضرة أما تخشى من مقت الله تعالى بك . انتهى .

فاعملوا ذلك أيها الأخوان وإعملوا به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن يسوسوا كل عدو يكون لهم عند الأمير الذى يشفعون عنده فى المظلومين .

فتارة يسوسونه بالهدية ، وتارة بارسال السلام له ، وإظهار المحبة له ، وتارة بمدحه فى المجالس ، وتارة بوصفه بأنه واسطة خير عند الأمير ، ويغالطونه ، وهذا خلق يحتاج إليه الفقير فى هذه الأيام حيث فقد الحال اتى كانوا يدخلون على الحكام ، ويوت الحكام فى قديم الزمان لا تخلوا من واسطة إلا فى حالة الفقير ، فصارت الآن بالضد من ذلك لا يوجد فيها إلا من ينفر الأمير من الفقير إما لعدم إستحقاق الفقير لذلك الأمر وإما لعدم إستحقاق المشفع فيه ذلك .

وكان سيدى أحمد الزاهد رحمه الله يقول : من لم يكن له حال يحميه من المعارضين له فى بيوت الحكام فشفاعاته ناقصة لأن ذلك للحدو الذى عند ذلك الأمير يعارضه فى كل شفاعته ويحمله على المحامل السيئة إنتهى .

ثم لا يخفى أن العدو الذى لا يتظاهر بعدوانه أشد من العدو الذى يظهر ، لكونه يلبس على الأمير الأمر فى صورة النصح ، حتى ينفره من ذلك الفقير ، ويعتقد الأمير أن ذلك إنما هو نصح له بخلاف العدو الظاهر ، فربما يظهر للأمير عدوانه للفقير فيصير لا يصغى له فى حق الفقير أبداً .

وقد إنبلت أنا بعدو خفى فى بيوت الحكام لم يزل عند القضاة ، والمدفاتر ومشايخ العرب ، فلا أرسى الأمر شفاعته إلا وأخذ فى معارضتها بالنقلب والتعريض بتقصيص ، وتكميل أقرأى . ورفع درجاتهم على ، ويقول : أجمعت الناس أنه ليس فى مصر الآن أحد أعلا مقاماً فى الطريق من فلان الفلانى ليحول قلب الأمر عن الإعتماد فى ورثة شفاعاتى ، فأسأل الله تعالى أن يتوب عليه من ذلك . وأن يحزبه بئى خيراً من حيث كونه سعى فى صرف

قلوب الأمراء عني . لكون ضرورهم على الفقير يغلب على نفهم له ، ولما تمادى في المعارضة في الشفاعات اتى أشفعها أرسلت أغالطه ، وأقول له : يا أخى لا تنعب نفسك في المساعدة لى عند الأمير في الشفاعات إلا إن ظهر لك أن ذلك مصلحة للأمير ، وكل شيء رأيت مصلحته وعلى دن الأمير ، فإني أذنت لكل معارض أن يعارض في ذلك ، وأشكره عليه ، وليس لي على الأخ إلا المساعدة في كل أمر ترجع مصلحته للأمير في الآخرة ، فإن ذلك لا يجوز تحجب للأمير أن يعارض فيه إنهى .

من ذلك اليوم أخفى معارضته بالسكينة وصار أن يستحي أن يخالف أن يظن فيه من المساعدة لي ، ولو آنى قلت له : بلغنى ، أنك تعارضنى وتحرك الأمير ضدى تحركت نفسه عليه وصار يحقق الأمر في المعارضة .

فعلى الفقير أن يسوس الذى عند الأمير ، ليصير يساعده على ماشفع فيه ، وللأمير والمشفوع فيه ويصير صديقاً لك لو إحتجت لصديق والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يرشدوا إخوانهم إلى أن يجعلوا
كلمتهم متوجهة إليهم وذلك ليسهل على الفقراء قضاء حوائجهم
على أيديهم

فإن الفقراء في كثرة الإقبال عليهم والإدبار عنهم حكم طريق أهل الله
تعالى إذا أعطاه العبد كليمه أعطته بعضها ، وإن أعطاه العبد بعضه لم تعطه
شيئاً ، فاعط يا أخي كليتك لشيخك إن طلبت أن يكون لك في الشدائد ،
ويرد عنك الأقدار المماثلة على شفاعته فيك عند الله تعالى ، أو عند الخلق ،
وإلا فلا يقدر شيخك بنفسك بشيء لأن الأعمدة على صحته ترجع إلى
شيخك لا على شيخك ، فإن ظننت فيه أن الله تعالى لا يرد له شفاعته صحت
شفاعته فيك ، وإن شككت في ذلك توقفت قبول شفاعته فيك .

وقد جهدت كل الجهد أن أوصل إلى من هو مستند إلى غيبي من
الفقراء منفعة فلم أقدر ، ولما مرضت أم سيدي محمد اليبادي . وطلبت مني
النجدة لم أقدر على إيصال شيء إليها بدعائي ، وكذلك ولدها سيدي يحيى ،
لكونهما كانا مستندين إلى شخص من الفقراء غيبي ، فلما أخوا في كتابة
ورقة لهما كتبت لهما (اللهم ببركة قلان ، وبركة اعتقادهما فيه
عافهما ، واشفهما إن كان ذلك معلقاً ، وإن كان مبرماً ، فاعفهما ،
وارحمهما) .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان ، وأعطوا شيخكم كليتكم ، ثم طالبوا
بالوفاء بجميع مهماتكم في الدنيا والآخرة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يذكروا إخوانهم كل قليل بنعمة الله
تعالى التي أسبغها عليهم

ويدلهم بأنهم لا يستحقون تلك النعمة ، ولا يقدرّون على القيام
بشكرها ، وإن كان لأحدهم عيال زائد على عيال أقرانه ، ويأكلون من
طعام الفقراء بأمره بالخدمة في الزاوية أكثر من غيره إذ النفوس تكره
شفوف غيرها فإذا أكثر من تميز عنهم بكثرة للطعام مثلاً الخدمة لم يستكثروا
عليه ذلك (١)
في خدمة الفقراء .

وإن رأى شيخ الزاهية كفر المجاورين لما عندهم من الخير وكونهم
واسطة وأمرهم بشكره ليقوموا بشكر الله تعالى على النعمة بخلاف ما إذا
كفروا نعمة الواسطة فكما يكون الواسطة وهو الشيخ سبباً للنعمة يكون
سبباً لرواها بتوجهه إلى الله تعالى في ذلك .

واليحذر الفقراء أن يظنوا بالشيخ أنه إنما يذكرهم بنعمة الله تعالى التي
كان واسطة فيها على سبيل المن عليهم . فإن ذلك بعيد عن الأشياخ ، إنما
يحذرون إخوانهم من الوقوع في كفران نعمة الوسايط من حيث هي
وسايط ؛ ولا يقصدون تخصيص أنفسهم بذلك الشكر ، وهذا يقع فيه كثير
من جهة المريدين . ويظنون أن الشيخ يمن عليهم بشكرهم الشكر له من حيث
كونه واسطة في جر أرواق الفقراء إليهم ؛ وليس هناك أحد يجر لهم
أرواقهم غيره . والأشياخ منزهون عن طلب الشكر لهم لحظ نفس ، فاعلموا
ذلك أيها الإخوان وقوموا بواجب حق نعمة الله التي عليكم بواسطة شيخكم
بحكم العادة في ذلك ونزهوا الشيخ عن قصد المنه بذلك عليكم ، وإن كانت
صورة لفظه صورة لفظ من يمن والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا حجوا إن لا يخصوا نفوسهم عن
أخراهم بشيء من المانع إلا لعذر شرعى

وهذا . وإن كان من شرط الفقرا فى كل وقت لكننه فى الحج آكد
منه فى غيره .

فليحذر الفقير كل الحذر أن يحج فى محفة . أو محارة . أو يصير يأكل
الطعام اللذيذ ، ويرى الفقرا والمساكين مشاة حفاة يعرجون أو مرضى ،
فلا ينزل من محفته أو محارته . ويركبهم مكانه . ويمشى أو يركب على الراحلة
بلا محارة ، أو يصير يأكل اللحم القديد . والسمن ، والعسل النحل ، ويقف
عليه السائل ، فلا يدعوهم يأكل معه ، أو لا يعطيه كسرة يابسة : فإن ذلك
خروج عن طريق الفقرا ، وما رأت عينى فى الحج أكثر فتوة من الأخ
الصالح الشيخ أحمد الهنيدى المقيم بناحية منبوبة كان يعطى غداء للسائل ،
ويطوى ، ويركب الفقرا جماله ذهابا وإيابا ، ولقد رأيت فى صباح ليلة باردة
لما مات جماله ، وبقي معه حمار واحد فصار يركب عليه العجوز . أو الرجل
العاجز : ويؤثر على نفسه مع أنه لا يقدر على المشى ، فكان يقبض على مقود
الحمار بقمه ويحبوا على يديه ورجليه فلما رأيت على هذا الحال بكيت عليه .
وعرفت مقامه فى الفتوة ، وكان قد قال لحماره : أنه عندما يدعو العجزة ثم
لأركبهم على ظهر كوفهم غير صادقين فمن رأيت غير صادق منهم فأبرك به . وإن
كان صادقا فأحمله فكان الحمار يطيع هذا الحكم حتى وصل إلى مصر . فمثل هذا
هو الذى يحوز بكنتا يديه .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من أدب الفقير إذا حج
إن لا يرى نفسه بماله وزاده من أخوانه المسلمين ، وإذا وقع عطش أن
يشرب كأحدكم من غير زيادة ، ومتى شرب أكثر منهم ، فقد خان
الصحبة انتهى .

وسمعت سيدى محمد المنير رحمه الله يقول : ليس للفقير إذا وقع موت الجمل ، وغلت الأسعار أن يخص نفسه عن إخوانه بركوب أو طعام أو شراب زيادة على إخوانه المسلمين من عرفه ، ومن لم يعرفه ، حتى إنه لا يرجع من سفر الحج ، وعليه أوقية لحم .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول : من أدب الفقير إذا حج أن يؤثر إخوانه المسلمين عليه فى المأكل ، والمضائق ، فلا يسابق على ملئ الماء والخروج من المضائق ، ويؤخر أخاه ، حتى يفتى الماء . ويصير يملا من الرحل ، أو يؤخر جماله فى الرحمة ، حتى يقع أحماها ، وتنعصر أضلاعها ، ومن فعل ذلك فهو لم يشم من فتوة الفقرا رايحه انتهى .

ولما حججت سنة ثلاث وستين وتسعمائة شرطت على إخوانى المجاورين الذين يسافرون معى فى تلك السنة أن لا يتخصص أحد منهم عن أخيه بطعام ، ولا نقد ولا ركوب إلا لعذر يعذره فيه صاحبه وقلت لهم : إن لم تججوا على هذه الصفة ، وإلا لم أسافر بصحبكم فبايعونى على ذلك ، ووفوا بذلك ذهابا وإيابا فأسأل الله تعالى أن يزيدهم من فضله فى الدنيا والآخرة آمين .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : كل فقير لا يوطن نفسه فى سفر الحج على مشاركة جميع من فى الركب من أمير الحاج إلى آحاد المشاة من الفقرا فى همومهم ، فعدم حجة النفل أولى له صيانة لخرقة الفقرا . عن الطعن فى أهلها انتهى .

ولما حججت سنة ثلاث وستين مع عيسى أمير الحاج شرطت على نفسى أن لا أتهنا بنوم ولا بأكل ، ولا شرب ، حتى يرجع أمير الحاج والناس كلهم له شاكرون ، فإن من عيب الفقير أن لا ينظر إلا إلى نفسه : وهو من هموم أميره غافلا عن سؤال الله تعالى أن يبيض وجهه عند السلطان وعند

سائر الحاج لا سيما إن كان أمير الحج محسناً ، وإن كانت عليه نوبة الغفارة فعليه أن يرد الغارة وما ينبغي لسكل فقير أن يعود الركب صباحاً ومساءً بالآيات والأذكار الواردة في القرآن الكريم والسنة الشريفة وأوراد المشايخ وإذا رأى جملاً قد تعب يتوجه إلى الله تعالى أن يمد ذلك الجمل بالقوة ، حتى يرجع إلى بلاده .

وبالجملة فمن شرط الفقير أن يكرن في جهد وتحمل هموم من حين يخرج من داره إلى أن يرجع إليها ، وإذا كان يوم عرفة لا يأكل ولا يشرب إلا أن ألقى الله تعالى في قلبه أنه تعالى غفر لجميع أهل الموقف ، وإذا كان بمكة ، فليجعل معظم دعائه لإخوانه ويؤخر نفسه ، وكذلك يشرب من ماء زمزم على نية الشفا لأبدانهم من جميع العلل ، والأمراض ، وعلى نية الرى يوم العطش الأكبر ، ونحو ذلك فقد لا يقسم الله للفقير الهد ثانياً إلى تلك الأماكن الشريفة المستجاب فيها الدعاء ، فكان من فتونه إثارة غيره عليه في الدعاء وغيره وأجره على الله تعالى .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : يخلع على الحاج خلعتان أحدهما عند الحجر الأسود وقت الطواف من طواف الوداع والثانية تجاه وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقر عينه صلى الله عليه وسلم بأمرته .

وعلامه صحة الخلعة الأولى : أن يزداد العبد إيماناً بأحوال يوم القيامة حتى كأنها رأى عين .

وعلامه الخلعة الثانية : أن يصير العبد متخليقاً بالفضائل والأخلاق الحميدة حتى لا يكاد يخل بشيء منها إلا من عديم قسمتها له لا غير ، ويود لو أنها قسمت له ، فتخلق بها ، وما احتاج فقير إلى شيخ يسلكه بعد أن حج

إلا لا خلالة بأداب الحج ، وعدم كمال خلعته ، ولو كانت خلعته كاملة
لاستغنى عن الاستاذ .

فعلم أن من حج مع شيخه وخالفه فيما يأمره به من الإيثار والمواساة ،
والآداب . فقد تعرض للمقت ، وغاية حبه بذل الدراهم من حلال
أو حرام وشبهة ، والتفرج على الأودية والجبال مع حرمانه من المواهب .

فاحذروا من مثل ذلك أيها الإخوان والحمد لله رب العالمين .

الجاب التاسع

في جملة أخرى من الأخلاق

ومن أخلاقهم : إذا كان في ركب الحج شخص من أقرانهم أن يعظموه في عين أمير الحاج .

ويظهروا ترددهم إليه المرة بعد المرة حتى يقول أمير الحج وجميع أهل الركب : ألا إن فلانا أعظم مقاماً من فلان ، وكان فلان وجماعته يترددون في ذلك فأكلم أحداً منهم ثم أناصح الناس تعظيم ذلك الشخص الذي ناصحتهم عليه ، وصرار الناس يسألونه الدعا وقت خوف أو عطش مثلاً فكنت أتوجه إلى الله تعالى أن يستره مع أمير الحج وغيره فما كان لهم حاجة إلا قضيت حماية للخرقة .

واليحذر المفضول كل الحذر أن يشمت بذلك الشيخ المدعى الولاية إذا سأله أمير الحج أو غيره في حاجة ، ولم تقض ، وفروا عنه ، وقل اعتقادهم فيه ، فإن الشماتة بالمسلم ليست من شأن الفقرا ، وإنما هي من شأن الفسقة

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : من شرط الفقير إذا حج أن يخفى نفسه ، ولا يدعى قط أنه من الفقرا خوفاً أن يفتضح إذا عطش الناس مثلاً ، وسألوه المطر ، وإن علم أن الله تعالى يجيبه إلى سؤاله ، وينزل المطر بدعائه ، فلا يرسل الناس إلى أحد من الفقرا الذين في الركب يسألونه الماء من المطر ، ثم يتوجه هو إلى الله تعالى بالتوجه الكامل ، بحيث لا يشعر به أحد ، فإذا أنزل المطر بدعائه أظهر أن ذلك من دعا ذلك الفقير الذي أرسل الناس إليه ، ثم يأخذ أصحابه ، ويذهب إليه يشكر من فضله ، ويقبل يده بحضرة الناس ، حتى يتحققوا أن نزول المطر إنما كان بدعائه انتهى .

ولما حج سيدي علي بن وفا رضي الله عنه عطش الحاج ، حتى أشرفوا على الهلاك ، فأتوا إليه ، فأنشد موشحاً الذي أوله :

إسقى العطاش تَكْرَمًا فأنعقل طاش من الظما

فنزل المطر في الحال . كأنفواء القرب ، فإن كنت يا أخى مثل سيدى على
هذا فلك أن تظهر أنك من الصانحين في الحج ، والا فاخف نفسك والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا مات لأحدهم والد أو ولد أن
لا يكثروا من ذكر صفاته الحسنه وكشفاته الصالحة .

فإن أحدهم متهم في ذلك مع ما فيه من تزكية النفس . فكأن إنسان حاله
يقول : نحن كلنا من بيت صلاح . وليس انصلاح طارئ علينا . وهذا
الامر يقع فيه كثير من الممتشيين بأنفسهم الذين لا سلف لهم في المشيخة ،
ولا ضريح لو الدم . ولا لجدهم ، فليحذر الفقير من مثل ذلك . فإنه من
علامات اليا ، وقد قالوا من أكرم كالات الصوفية كتمان كالاتهم عن الناس
إلا إن أمروا بإظهار ذلك : في يواطئهم فإنهم في هذه الحالة لهم أن يظهروا
الإلهام الصحيح وقدم السيد على ابن أبي طالب يوما على الناس بغير أمر
دعاه إلى ذلك فقال السيد على : إعرفوني أنا فلان العالم انتهى والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا اعتقدوا الباشاء أو غيره من الأكابر

وأرسل يستأذنهم في زيارته لهم أن يكتبوا ذلك عن الأجانب ولا يذكروا ذلك إلا لإخوانهم بغرض صحيح ، وهذا الخلق يخل به كثير من المتشيعين ، فيصير أحدهم حكويًا يذكر ذلك لكل من دخل عليه ، وذلك دليل على الإفلاس من أحوال الفقراء ، ولو أن أحدا من الأشراف أو الفقراء الذين لا يؤبه لهم من لو أقسم على الله لأبر قسمه زاره لم يحك ذلك لأحد ، ولا افتخر به .

وقد تقدم عن سيدى على الخواص أنه كان يقول : إذا علم أحدكم أن أحدا من الأكابر عازم على زيارته ، ولا بد ، فليأت هو إلى ذلك الأمير ، ويقول له : أنا فلان الذى بلغتكم كنتم عازمين على زيارتى ، ثم إن أعطاكم شيئا من الدنيا ، فردوه عليه ، وقولوا له : قد أخذ علينا مشايخنا العهد أن لا نقبل من أحد شيئا من الدنيا إلا عند الجوع الشديد ، فإن قال لكم : فرقوه فقولوا له : من جمعها ، فهو أحق بتفرقتها ، ولو كانت من كسبنا لفرقناها إنتهى .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يمتحنوا من أراد صحبتهم من الولاة
قبل أن يدخلوا في صحبتهم ويتبعوا نفوسهم معهم :

وذلك كأن يحسنوا في عينه حال أحد من أقرانهم فإن مال بقلبه إليه ،
فقد أراحهم من التعب ، وإن لم يمل عنهم بقلبه ، فهو صادق في محبة الفقراء ،
وصحبتهم ، وهذا الأمر يخفى على كثير من الولاة ، وهو بين صدقهم في محبة
الفقير من كنسهم .

وقد بلغنا أن شخصا من العباد نزل من صومعته إلى عين ماء ليتوضأ
منها فرأى هناك امرأة شابة من أجمل النساء ، فتشخص يبصره إليها .
فقال له : ألا تتوضأ .

فقال : حبك قد اشغلتني عن الوضوء .

فقالت له : فلو رأيت اختي هاتيك لرأيتني لا أصلح خادمة لها ، فالتفت
فصفعته وأسقطت عمامته .

وقالت : آه يا كذاب ، ثم اختفت عنه في الحال فلم يدر أين ذهبت انتهى
وهذا الامتحان يتعين على الفقير الصادق الذي يشارك الولاة في
همومهم ومصائبهم .

فأعلموا ذلك أيها الإخوان إن عملتم مشايخ والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إظهار التقشف والرضى باليسير من الدنيا في الأمور الدنيوية والأخروية .

نعرضا لمحبة الله تعالى ومحبة خلقه لهم .

بخلاف من كان بالخدم من ذلك من الشراة ، فإن القلوب تمقتة ، ومقت قلوب المؤمنين ، لعبد عنوان على حصول المقت له من الله تعالى .

وفي بعض "كتب الإلمية : إن الله يحب من عبده العاهدين له على يسير .

وفي مناجات السيد موسى عليه الصلاة والسلام : إذا جاءك باقلاية مسقة فاشكرني عليها ، فاني مهديها إليك انتهى .

وقد ذكرنا في كتاب منهج الصدق والتحقيق أن من عباد الله تعالى من لو أعطى الدنيا بأسرها لم يقنع بها إظهارا للفقر والفاقة ، ولا يقنع إلا برؤية الله عز وجل ، وإن من الرجال من يزداد محبة في الحق تعالى كلما اتسعت عليه الدنيا ، وإن منهم من يزداد فقرا إلى الله تعالى كلما وسع عليه الدنيا ، وإن من قنع باليسير من الدنيا ، فهو ذي الهمة قليل المرؤة ، فكل رجل مشهد ، وحدود . وشروط كما يعرف ذلك أهل السلوك ، إذا لوجود كامل وكاله إنما يكون بتقرير مراتبه كلها في يد أهلها ، ومتى نقص الوجود مرتبه واحدة في مشهده ، فهو علامة على نقصه أي الولي .

وسمعت سيدي عليا الخراساني رحمه الله يقول :

لأهل البدايات أحكام ، ولأهل التوسط أحكام ، ولأهل النهايات أحكام ، فلا يكلف الأول بشروط الأعلى ، ولا يؤمر الأعلى بالنزول إلى مقام البداية إلا لتعليم ، ونحوه .

وكان رضي الله عنه يقول :

أكره للمريدين سؤال الأكاابر شيئا من الدنيا ، ومن فتح هذا الباب عليه لم يفلح انتهى .

وقد أدركنا بحمد الله تعالى نحو مائة وخمسين شيخا فما رأينا أحدا منهم سأل أميرا ، ولا غيره شيئا من الدنيا لا قمحا ، ولا عدسا . ولا عسلا . ولا دراهم إنما كان أحدهم يشد على بطنه بالمنطقة ، ويقنع كل يوم بزبيبة أو ثمرة منهم الشيخ مرشد القادري والشيخ تاج الدين الذاكر والشيخ يوسف الحرثي وولده سيدي أبو انعباس ووطن الشيخ عبد الحلیم ابن مصلح لاجوف لها ماتصق البطن بالظهر وهذا بخلاف حال هؤلاء الذين نراهم في النصف الثاني في القرن العاشر فان بطونهم منتفحة مع السمن مع أن أحسنهم من سؤال الاغنيا . ومشايخ العرب ، وغيرهم من الولاة . فصار للشيخ منهم كرش ككرش الظلمة ، حتى صار الحمار لا يحمل أحدهم ، كما أخبرني به بعضهم حين رأيته راكبا فرسا . فقلت : الفرس يحتاج إلى علق وخدمه فقال : الحمار لا يقدر يحمل جثتي ، فقلت له : خفف الأكل وأنا أضمن لك أن جسمك يخف حتى يصير الحمار الهزيل يحملك ، فلم يدر ما يجيبني به .

وطالع شخص من هؤلاء في شفاعته عند الوزير علي فرد شفاعته فقال الناس : لا تردوا شفاعته الشيخ فقال : ليس هذا بشيخ إنما هو بمن يكرهه الله تعالى . فقالوا له : كيف ؟ فقال : إن في الحديث (إن الله تعالى يكره الخبر السمين^(١)) ، والخبر هو العالم ، وإنما كرهه الله تعالى ، لأنه لم يعمل

(١) هو جزء من حديث حيث أفي بعض الاخبار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يجادلونه فكان منهم خبر سمين فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (أليس في التوراة إن الله تعالى يكره الخبر السمين) فكان ذلك إعجازا من الرسول صلى الله عليه وسلم .

بمنه في الورع ولو أنه تورع لم يجد من الطعام ما يسميه انتهى .

فانظر يا اخي فراسة الولاء ، وإيّاك أن تجمع عندك فقرا وتصير تسأل
 الناس من الأمراء وغيرهم مع قدرة أحدكم على الكسب بالحرف والصنایع ،
 فإن ذلك محقة للدين ، ولا تغتر بمن كان على هذا القدم من السلف الصالح ،
 كسيدى يوسف العجمى . وميدى عثمان الخطّاب ، فإن أولئك كانوا أصحاب
 كشف . فكان يكشف لكل واحد عما عند الناس من رزقه ، ورزق جماعته
 حتى يب قال : كشف لى الليلة أن عند فلان للفقر اكذا وكذا يأتى به فى
 وقت كذا وكذا ، فأتى به فلان فى ذلك الوقت ، وكانوا يحمون نفوسهم
 وأصحابهم من ذل السؤال بل يزداد أحدهم عزّا عند الناس كلما سألهم
 ويصير ذلك الأمير يفرح بسؤالهم ، ويقول : أرسل لى سيدى الشيخ
 بطلب كذا وكذا : وجبر بخاطرى ، فأنه ينفذنا بركاته ، فأين أنت منهم
 يا من هو أعشى القلب وبطنه ، كالمرحاض الذى فاض ، وتنقبض وجوه
 الناس من كثرة سؤاله ، ويحتقرونه . ولا يصير له جاه عندهم ليشفع عندهم
 به فى مظلوم ، وقد أرسل لى واحد من هؤلاء المدعين يقول لى فى ورقة :
 حصل عندى طارىء ورجائى أن ترسل لى عشرة أراذب قمح ، فقلت له :
 وأنا حصل عندى ما دعائى أن لا أعطيك ، فتكدر ، ثم قال : إنما سألتك
 لأنك رأيتك بابا من أبواب الخير ، فقلت له : لو كنت صادقا لم تتكدر
 لأنى إذا منعتك فانا أيتنا باب من أبواب الحق فقارقتى ، وأرسل لعيسى
 شيخ العرب يطلب منه قمحا ، فأمر له بشيء من الدنيا ، فقال الحاضرون له :
 أنت عازم على سفر الحج فى هذه السنة ، وتحتاج إلى زيادة النفقة ، فقال :
 فماذا أصنع هؤلاء ذهب ماء الحيا من وجوههم ، وأنا أستحي أن
 أردم انتهى .

وقد علمت أن أكل الفقير مما يعطيه هؤلاء الولاية له الإستحليل نارا يوم
انتقامه من جهة عدم حله في أصله ، ومن جهة كونه يؤخذ ذلك بسيف
الحيا ، وقد أشار إلى ذلك الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يعطى العطا ، ويقول : يذهب أحدهم بعطيته من عندي يتأبطها نارا ، فقال
له عمر : يا رسول الله ، فلم تعطيهم نارا قال : فما أصنع يا عمر ، يا بون
إلا أن يستلوني ، ويأبى الله لي البخل انتهى .

فاعلم يا أخى ذلك ، واحم خرقه الفقرا الذين تزعم أنك على طريقهم
بالعفة ، والقناعة ، ولو أتوك به من غير سؤال لأجل توقع قبول شفاعتك
عندهم في مظالم ، ونحو ذلك ، فإن كل من يشفع عندهم يجب عليه الرد
إلا لضرورة شرعية مرجح نفعها على قبول تلك الشفاعة .

وقد كان الشيخ نور الدين الخضرى بجامع يرد كل ما يعطيه له الولاية ،
ويقول : قبولي ذلك ولو بقصد تفرقه على غيرى من المحتاجين يسقط جاهى
عندهم ، فلا يصير أحدهم يقبل لى شفاعته ، والله إن كل شفاعته قبلت أرجح
عندى من أن أتصدق بألف قنطار ذهبا من مال هؤلاء انتهى والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : معرفة زمانهم ولا يطلبون أن يبرز فيه
إلا ما يشاؤون .

عملاً بحديث (إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة) انتهى ولا بد
من وقوع كل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم .

فإذا ارتفع تليذ أحدهم وعظم شأنه وعظمه وزاره الامراء . وقدموه
على شيخه لا يتكدر شيخه بل يقول على حديث الصادق الصادق صلى الله
عليه وسلم . ولا يشتغل بسبب ذلك المرید ولا بإظهار نقضه بين الناس
إلا لغرض صحيح ، وكذلك لا يتأنق بنحو قوله فلان من تلامذتنا ، لأن
في ضمن ذلك إظهار مقامه على ذلك التليذ من غير فائدة لأن الله تعالى لو كان
أراد ارتفاع الأكابر ما رفع الناس التلامذة على أشياخهم ، ولو أن
تليذ في هذا الزمان أقام البرهان على أفضليته على مریده الذي رفعوا مقامه
عليه لم يقبل الناس منه ذلك .

وعما وقع لي أنا : أني أعرف من بعض أصحابي الآن رفعتهم مقامى
على مقام أشياخي ، كالشيخ سليمان الخضيرى . وسيدى الشيخ شهاب الدين
الوفائى ، والشيخ جمال الدين بن الشيخ شاهين ، وأضرابهم . مع أني لا أصلح
تليذ الواحد منهم كما يعلم الله ذلك ، فكما أرى ذلك من أصحابي استغفر
الله تعالى ، وأصلى على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أخبر
بذلك ، وأود أن الأرض تستلنى . وأصل ذلك كله بعد الناس عن طريق
الفقراء ، واعتمادهم على الزى ، والمنطق ولو أنهم شموا رائحة الطريق ، رفعوا
مرتبة الاشياخ على مریدهم ، ولم يغتروا بلبس الصوف ، ولا إرخاء العذبة ،
ولا بطول شعر الرأس ، والله إن كل ذرة من أعمال سيدى الشيخ سليمان
الخضيرى ، أو الشيخ شهاب الدين الوفائى أرجح من القناطر من أعمالى ،

وما أعد ترجيح أصحابي لو على أحد من الأكابر الافتنة لي ، ورفعا لمقام
الاشياخ في الآخرة فأن الله يلطف بنا في هذا الزمان .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المتن .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول :

من علامة الولي البرأة من الدعاوى للأحوال ، فلا يرون النجاة من
النار إلا بفضل الله تعالى ، ورحمته .

وسمعته يقول أيضا : من علامة الولي مراعاته للأنفاس ، والخطرات
والتسليم لمجارى الأقدار ، وسلامته من البدع ، والأهواء المضلة ،
والسكسل ، والفشل .

وسمعت سيدي محمد المنير رحمه الله يقول :

ما سئاق الله تعالى وليا إلا ووفقه لإصابة الستة بالاتباع ، وحماه من
الركون إلى الدنيا ، واهتمه الصبر عند البلا ، ومنعه من الشهوات التي تحجبه
عنه تعالى .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان وزفوا هؤلاء التلاميذ الذين راج أمرهم عند
العوام فرفعوهم على أشياخهم بهذه الميزان يظهر لكم نقصهم عن أشياخهم
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العمل على تحصيل مقام التباعد عن
الشيطان في حال صلاتهم وغيرها من سائر العبادات .

وقد رأى سيدى محمد المنير رحمه الله تعالى شخصا يتشاب في صلاته
فقال له :

إذا كان الشيطان ينفخ في وجهك يا أخى في صلاتك . وأنت تناجى الله
عز وجل ، فكيف حالك في غيرها من العبادات ، أو العادات انتهى .

وقد صلى خلفي امرأة صف طويل ، فرأيتهم تاء يبرأ كلهم .

فقلت : هذا من شؤم حالى أنا فلو كنت مخفوخا من الشيطان ، لمرى
الحفظ منى إلى سائر من اقتدى بى لوجود الارتباط الذى بين الإمام ،
والمأموم ، حتى ورد فى السنة ما يؤيد ذلك ، حين توقف على سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم القراءة فى الصلاة فقال :

إذا صلى أحدكم ، فليحسن طهارته ، فإنى إنما لبس على القراءة لعدم
إحسانكم الطهارة . . الحديث بمعناه على مذهب من يرى رواية الحديث
بالمعنى .

فاعلموا ذلك أيها الاخوان وأكثروا من ذكر الله تعالى ، حتى يصير
الشيطان يفر من ظلكم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : التبرص وعدم المبادرة إلى الانكار على من
سموه يقرأ القرآن بالروايات المغريبة .

لننى لا يعرفها غالب الناس ممن لا يقرأوه إلا برواية واحدة مثلا لاسيما
إن كان أحدهم فى وليمة فيها جمع كثيرا من العلماء فإن من أنكر على ذلك
القارىء قراءة الجائزة ، فكأنه نادى على نفسه بالجهل فى ذلك الجمع العظيم
فيفتضح ، فعلم أنه لا ينبغي أن يذكر على قارىء قراءة إلا من أحاط علما
بانقراءات .

وقد حضرت مرة فى وليمة كان الغارىء بها العالم العلامة الشيخ أبو البقا
الساينى قدسنا الله ببركاته فقرأ عليهم إليهم بضم الهاء ، فأنكر عليه شيخ كان
كان هناك من المتصوفه ، فافتضح وقالوا له : هذه قراءة من السبع ، وخجل
خجلا شديدا .

فياياك يا أخى أن نتكر شيئا إلا بعد تبحرك فى العلم والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : إذا كانوا في وليمة وفقد أحدهم نعله النفيس
أن يخرج ساكتا ولا يعلم صاحب الولىمة بذلك .

خوفا أن يكدر عليه وقته وإن لم يجد من يعيره نعله .

خرج حافيا لا سيما إن كان نعلا عتيقا أو حلفاية ، فإن مثل ذلك مما
يتجاوز عنه لأن الفقير ما حضر إلا جبر الخاطر صاحب الولىمة ، فإذا أخبره
بذهاب نعله ، فربما جرح قلبه ورجع ذلك الجرح على جبران الخاطر ، فكان
عدم حضوره أولى .

بل الذي ينبغي لصاحب المروءة أن يسكت إذا ضاعت جوارخته النفيسة
ولا يتكلم ، فإن إدخال الغم على صاحب الولىمة يرجع على ذهاب الجوارخة
إذا الدنيا كلها لا تزن عند الدقل جناح بعوضة .

فاعلموا ذلك أيها الاخوان وأعملوا به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم قبول شيء من مال الولاية في مساعدتهم
في سفر الحج .

لأن مال الولاية لا يسلم غالباً من الشبهة ولا ينبغي للفقير إلا التحرر
من مثل ذلك . لأن الحق تعالى يأخذ بما لم يؤخذ به غيره لكن يكون
عدم القبول سياسة ، وتقديم مقدمات ، لأن ذلك غريب في فقراء الزمان ،
وغالب الولاية ربما يعتقد حل ملكه على قاعدته هو ، ويظن أن رد الفقير
عليه المال إنما هو عدم محبته ، لصاحبه ، فينبغي للفقير أن يكون له نقيب
شرب من مسقاه ، ليصير بين ذلك الأمير مقام الشيخ ، وإلا فالنقيب
الذي ليس بيته ، وبين الشيخ ، إتحاد بالباطن فساد أكثر من صلاحه ، وإذا
لم يكن للفقير نقيب كذلك احتاج الفقير ضرورة إلى ذكر الألفاظ التي فيها
تزكية للنفس ، ليطيب خاطر ذلك الأمير ، ويقم العذر للفقير ، ولو أنه كان
يسرق مصطاح الفقير ، وذكر للأمير زهد الفقير ، وورعه ، وتقشفه عن جميع
مال الولاية من غير تخصص ، لكان ذلك حلاوة عظيمة ، ويزداد الأمير
فيه اعتقاداً ، ويصير يقبل شفاعاته لا يكاد يرد منها شيئاً .

وكان لي نقيب اسمه الشيخ إبراهيم السند يسطى وزقه الله الاتحاد بي ،
فكان يهد للأمير عندي ، حتى يصير الأمير يقيم العذر لي في رد هداياه ،
ولا يتكدر منه شعرة علي إذا رددت عظامه ، فرحمه الله رحمة واسعة ، ولم
أظفر بعده بمثله إلى وقتي هذا ، ولما أردت الحج سنة ثلاث وستين ، تسعائة
عرض علي الأمير عيسى أمير الحج أن يزن عني أجرة أحمالي كلها ، وقدروا
ذلك بعشرة آلاف فرددتها عليه ، فأبى أن يأخذها .

فقلت له : معني قولك خذ هذه الفلوس أي اجعل نفسك عبدالي ، وأنا
سيدك ما دمت أعيش ، فإن المعطي له السيادة ، والأخذ منك له العبودية ،
ولا أرضي أن أكون عبداً لك . فتكدر غاية التكدر ، لكونه من العرب ،
وكرههم ، وعادة الناس يسئلونه في مثل ذلك ، فاحتجت أني ذكرت له شروطي

في الحج ، وأن ماله الذي يعتمد حله على قاعدته هو ليس بحلال عند الفقراء على قاعدتهم ، فتطـ ر كل التطور ، وخرج يعثر في أذياله من غير دستور ، ولا استئذان فلا تسأل يا أخى ما حصل على بسبب تكديره لعدم معرفته بمصطلح الفقراء ، فهو أنه كان لي ثقيب متحدث في معرفه بمصطلحي من غير علمي - ولم يحوجني إلى تزكية نفسي .

ثم لا يخفى عليك يا أخى أن الفقير إذا رد على الولاة المال دون أقرانه تميز عند الولاة عن أقرانه بشدة الاعتقاد فيه ، وصار عدوا لجميع أقرانه من النصابين ، ولا يقدر أحد منهم ينطق في حقه بكلمة مدح أبدا بل يأخذون في تجريجه ، وتنقيصه طلبا لقبول الناس ذلك منهم ، وأن يحملوه على أنه مارد المال الأرياء وسمعة لاخوفا من الله تعالى . وكان الواجب عليهم مدحه على ذلك حفظا لخرقة الفقر .

ولما ردت على مولانا الباشاه أسكندر وعلى عيسى أمير الحاج ما لهما ، فلا يعلم عدد من استغابني من أقراني إلا الله تعالى على ما يلقي ، فאלله تعالى يغفر لنا ، وإهم آمين اللهم آمين .

وبالجملة فقد صار التعفف عن مال الولاة اليوم عزيزا في هذا الزمان بل بعضهم صار يسأل الولاة من غير حاجة إنما ذلك للتنعم بالمطعم ، والملبس والمنسكح . وكان الأولى لهم رده . ولو أعطوه بغير سؤال ، فكأن الذي يرد الآن مال الولاة ماش في أرض فقر لا رفيق له فيها . فأسأل الله تعالى أن يمد كل متعفف بالقوة على التعفف ، حتى يلقي الله تعالى فان الماشي على آثار الشريعة اليوم كالماشى بقبة قاب على جبل . أو كالقايض على الجمر ، فيوشك أن يقع من الخبل . أو يرمى دينه من يده ، ومن هنا تمحق العقلا الموت خوفا من الفتنة في الدين .

فاعملوا ذلك أيها الاخوان واعملوا على تحصيل التعفف جهداكم والحرقة رب العالمين .

ومن أخلاقهم: عدم أكلهم من فراخ الحمام الذى فى أبراج الريف .

أو شربهم من لبن الجاموس لعدم طيبة خاطر الناس بأكل الحمام من زرعهم ، وعدم انضباط الجاموس على الأكل من زرع صاحبه غالباً ، وكان على هذا القدم جدى الشيخ علمى ، والشيخ نور الدين الخضرى ، وجماعة ذكرناهم فى الطبقات ، فمنهم من حماه الله تعالى من الأكل من ذلك ، ومنهم من حماه لئلا يهتكه فى بطنه .

وكان جدى محمد حماه الله تعالى من الأكل من ذلك دخوله جوفه .

وكان رضى الله عنه لا يأكل لأحد يمسه إلا أن يعلم منه أنه يرجع الميزان لسكل من اشترى منه .

وكان لا يأكل طعاماً لشيخ بلد ، ولا لمباشر ، ولا لقاضى ، ولا لجندى ولا طعام من يصلى ، ولا طعام فقير لا حرفة له .

ولا يأكل من هدايا الناس ، وإذا وصل إليه هدية من بعض الأمراء أو المباشرين وتعذر ردها عليه يفرقها على أيتام بلده وفقرائها ولم يتناول هو ولا أهل بيته منها شيئاً .

وكان إذا زرع قمحا جعل بيته ، وبين الجار خطاً من قمح ، وهكذا فى سائر الحبوب خوفاً من اختلاط شيء من زرع الجار بزرعه .

وكان إذا طحن يقلب الحجر ويكنس الدقيق الذى تحته من دقيق الناس فيضعه فى وعاء فى الطاحون ، ثم يطحن قمحه ، ويخلطه بقية دقيق لمن بعده ويسأله به .

وبالغ فى الورع ، حتى كان لا يأكل من عسل نحل بلده حين أخبره بعض

أهل البلاد التي فيها انفوا كه أن نحل بلده يعبدى البحر ، وياكل زهر فراكهم
وأناه والده بفتاوى العلماء في الحل فقال : ولو كان حلالا
فلى تركه :

وكان يقول من أحكم الحلال لا تأكل الأرض له لحما ، فدفنوا والدى
بجانبه بعد إحدى وعشرين سنة . فوجدوه . كما وضعوه طرياً لم يتغير منه
شيء . كما أخبرني بذلك الشيخ على بن خطاب أحد جماعته . وهو الذى أخذ
الجد رحمه الله تعالى وأخذ الوالد .

وكان يقول جميع ما يرأخذ الله تعالى عليه العبد من الأفعال ، والأقوال
والخواطر ، إنما هو متولد من الأكل :

فإن أكل حراما حدث منه أقوال ، وأفعال ، وخواطر حرام .

وإن أكل مكرها حدث منه أقوال وأفعال وخواطر مكروهة .

وإن أكل خلافاً للأولى حدث منه كذلك أفعال وأقوال وخواطر
كان الأولى تركها انتهى .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان وأعملوا على تحصيل مقام الورع والحدائق
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم الفتور عن طلب العلم ليلاً ونهاراً .

فيستفيدون العلم أولاً من الصدور والسطور ، ثم من واردات الحق تعالى على قلوبهم بواسطة الإلهام كما هو عليه . عليه الصلاة والسلام ، ومن تأمل في قوله تعالى لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم (وقل رب زدني علماً) يجد أن طلب العلم واجب على العبد ، حتى يلقي الله تعالى ، فليس للعلم قرار يقف العبد عليه سواه أما كان مستعد العبد من الصدور أو السطور أم من الإلهام ، فلم يزل يسدوا للعبد في كل وقت علم جديد لم يخطر له قبل على بال .

فعلم أن من قنع بما علم ، فهو جاهل كما ورد من قال : أنا عالم ، فهو جاهل .

فأول مراتب العلم : حفظ بقول الناس .

ثم استخراج الأحكام من الكتاب ، والسنة ، وأقوال المجتهدين .

ثم علم رياضة النفس ، وتطهيرها من سائر الرذائل .

ثم ورود المواهب عليه من الخصرة الإلهية ، فغاية علم التصوف تطيب القلب . حتى يصلح لنزول الواردات الإلهية عليه ، حتى فلاح الأرض للزراعة .

ومثال من يطلب العلم مع رعاية النفس والرياء والسمعة ، ونشر الصيت والفرح بالتقدم على الأقران مثال الفلاح الذي يسد الحب على الأرض

الغلثة اليابسة من غير حرث ولا قى ، ولا طراوة فيها ، فلا ينبت منه حبة ، وإن وقع أن شيئاً من ذلك نبت ، فهو بقدر ما في الأرض القلب من الظهارة ، فكأن كالأرض التديئة التي لا تكفى الحب شرباً ولا نمو ، فنبت نباتاً ضعيفاً لا ثمرة له أوله ثمرة مبسوطة لا يستمن ولا يغنى من جوع .

فإياك أن تقول إن علوم الصونية لا يحتاج إليها في طريق تحصيل ثمرة العلم في الدنيا والآخرة فإن الحسب يكذبك في ذلك كما هو مشاهد في بعض المجادلين الذين يتعلمون لغير العمل ، فترى أحدهم لم يزل طالباً يقرأ على غيره إلى أن يموت ، ولا يصل إلى درجة إفادة غيره .

وأعلم يا أخى أن علوم الأسرار غريبة لم يزل الناس ينكرونها في كل عصر لغرابة طريقها ، ولا يجهدون إلى التعلم من أفواه الرجال ويطنون الكتب ، أو يكون نبيا يوحى إليه بالعلم أما حصول العلم من غير هذه الطريق ، فينكره غالب الناس وغاب عنهم أن العلماء ورثة الأنبياء في العلم من طريق الإلهام لا من الوحي إليهم على لسان ملك فعلمهم يشبه وحي الأنبياء لعجز العقول عن الوصول إليه ويسمى أيضاً علم اففتح الإلهي ، وعلم الكشف ، فيخلع على العارف العلوم الربانية من غير طريق البحث والفكر ، فيتجرب الفقيه في مثل ذلك ، وربما قال هذه العلوم من الزندقة ، ولو أنه جلي مرآة قلبه من الصدا أو انقباز لقرب قلبه من الحضرة الإلهية . ورأى علومها ، وهي مفاضة على قلوب الأصفيا .

فلم أن من الفرق بين علوم الكشف ، وافهم أن علوم الكشف تأتي بلا واسطة الفكر بل تخلع على العارف حالة تلاوته ، فتكون عين التلاوة تلك العلوم بخلاف علوم الفكر لا تأتي إلا بعد انطق ، والتفكير ، ولذلك كان غايتها الطن لا اليقين .

وقد روى الترمذى وغيره فى نوادر الأصول مرفوعاً ، أن من العلم
كهيئة المكنون لا يعلمه إلى العلم بها بالله عز وجل فإذا أنطقوا به لا ينكره
إلا أهل (١) بالله عز وجل انتهى .

وفى كلام بعض المحققين علامة العلم اللدنى أن تمجده العقول من حيث
افكارها ولا تقبله إلا بالتسليم دون الذوق وإنما كانت العقول تمجده لأنه
أنها من غير الطريق المعروف لها .

وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول مراراً فى تقرير منام
الإمام أحمد بن حنبل حين قال : يارب بم يتقرب إليك المتقربون فقال :
يا أحمد بكلامى فقال : يارب بفهم أم بغير فهم فقال : بفهم وبغير فهم .

إن المراد بغير فهم حصول العلم من طريق الكشف ، فهو علم يرتقى عن
مرتبة الفهم لأنه المراد به الجهل إذ الجهل لا يتقرب به إلى الله تعالى ، وإن
حصل للتالى أجر من حيث التلاوة انتهى .

وهو كلام نفيس لا تكاد تجده فى كتاب ، وقد جمعت كتاباً فى علوم
أهل الكشف التى استخرجوها من القرآن من طريق الكشف ذكرت فيه
نحو ثلاثة آلاف علم ، وكتب عليه علماء مصر على وجه التسليم لأهل الله
عز وجل ، وعبارة الشيخ ناصر الدين الملقانى رحمه الله تعالى :

وبعد فقد أطاعت على هذا الكتاب الغريب والأسلوب العجيب الذى
لم ينسج على منواله ، ولم تسمح قريحة بمشاله ، فرأيت كنزاً مملو بالجواهر ،
والأسرار ، وبحراً يضيق فضاء النظر عن وصفه ، وبكل لسان الشكر عن
إدراك كنهه ، وكشفه ، ولا غرو ، فإن المغيض كريم جواد وهاب أفاض
على عبد منيب أبواب أيدنا الله بمدده ، وجعلنا من جملة حربه ، وجنده إلى

آخر ما قال وذكرته في خطبة هذا الكتاب المشتمل على علوم القرآن أن من مقام العارف عدم الرسوخ في العلم . فلا يثبت على علم أكثر من أن واحد . فهو راسخ في السير في العلوم لا واقف مع ما علم . كأهل النقور . وأن الكامل لا يبلغ مقام الكمال التام . حتى يقدره الله تعالى على استخراج جميع علوم الشريعة من سورة الفاتحة . ثم يستخرج من الفاتحة جميع أقوال المجتهدين ، ومقلديهم ثم يستخرج جميع ذلك من أى حرف شاء من حروف الهجاء . وإن أخى الشيخ أفضل الدين استخرج من سورة الفاتحة مائتين ألف علم وسبعة وأربعين ألف علم وتسعمائة تسعة وتسعين علما فراجع . وصالح الكتاب تسمع علوما لم تخطر أسماؤها قط على بالك فاستلوا عن الخوض فيها .

وكان السهر وردي رحمه الله تعالى يقول :

قلدوا للصوفية كما تقلدوا لأئمتكم المجتهدين ، فإنهم أحكموا أساس التقوى ، وعلموا بما علوا فأورثهم الله تعالى علم ما لم يعلموا من غرائب العلوم ، ودقائق الاشارات لاسيما استنباطاتهم من الكتاب . والسنة ، فإنهم استنبطوا منها عجائب الأسرار ، التي لا تكاد تخطر على قلوب العلماء .

وكان أبو سعيد الخراز رحمه الله يقول :

أول الفهم لكلام الحق تعالى العمل به لأن فيه العلم ، والفهم ، والاستنباط ، وأول الفهم إلقاء تسمع والمشاركة قال تعالى :

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . (١)

وكان أبو بكر الواسطي رحمه الله يقول :

العلماء بالله هم الذين رمخت أرواحهم في غيب الغيب ، وفي سر السر ،
فعرفهم الله تعالى علوما لم يعرفها ، لغيرهم ، وأراد منهم من مقتضى الآيات
ما لم يردده من غيرهم ، ففاضوا بحر العلم بالفهم ، ثم بالكشف الذي كشف
طمع عن مسخول الخزائن . والخزون . حتى شهدوا ما تحت كل حرف .
وكامة . وآية من عجائب التصريح ، واستخرجوا من بحارها الدرر
والجواهر . ونطقوا بالحقمة .

وكان أبو عبد الله القرشي رحمه الله يقول :

هي أسرار الله تعالى يبيدها إلى أمناً أوليائها من غير سماع ، ولا دراسة
فهي خاصة بخواص الخواص .

وكان أبو سعيد الخزاز رحمه الله يقول إن الأولياء خزائن أو دعوها
علوماً غريبة وأشياء عجيبة يتكلمون فيها بالعلوم الأزلية أي أنهم ينطقون
بالله تعالى كما قال في الحديث القدسي : (١)

ينطق وهو العلم الذي أوتي به الخضر عليه الصلاة والسلام .

قال السهرى وردى رحمه الله تعالى :

وهي العلوم التي سموها بأسماء غريبة اصطلاحوا عليها نحو الجمع أو التفرقة
والبواده ، والهجيم والتجلي والاستتار . والتجريد ، والتجريد ، والسكر ،
والصحو ، والنحو والإثبات ، والفناء والبقاء ، ونحو ذلك مما هو مذكور
في رسالة القشيري ، وغيرها ، وحاصلها أنها إشارة إلى أحوال يجدونها .

ومعاملات قلبيه يعرفونها لا يعرفها إلا من ذاق قافهم ، وكان من الحزم رمزها
لأنها من أسرار الله تعالى ، ومن خصائص أهل الطريق التي لا توجد في غيرها
وأعلم أن المريد الصادق من أول قدم يضعه في الطريق يعرف إشارات انقوم
التي رمزوها ، وإشاهتهم ، ومراداتهم بها ، حتى كأنه الواضع لها ، فإن ادعى
دخول الطريق ، ولم يفهم المراد بها إلا يتفهم أحد لها أو مطالعته في كتاب
فهو غير صادق في طلب الطريق .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان وتأملوا في هذا الخلق فإنه نافع جداً والحمد
لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العمل على تحصيل الجمع ثم جمع الجمع

وذلك أن الإنسان قد فتح عينه على التفرقة بعد أن كان مجموعاً ، فأمر بالرجوع إلى الجمع من طريق التكسب ، لينال أجر الاكتساب أو الأعمال ، فإذا رجع إلى حالة الجمع أمر بالانتقال إلى جمع الجمع ، وذلك تميز الفقرا عن أبناء الزمان ، فانهم ما برحوا في التفرقة ، حتى يأتيهم الموت كما هو مشاهد في العوام .

وكان سيدى على المرصفي رحمه الله يقول :

رؤية الكون تفرقه أو رؤية الصفات جمع ورؤية الذات بالقلب جمع
انجمع ما دام العبد لم يبلغ إلى مقام الكمال المراد عند القوم ؛ فإذا بلغ ذلك
أضار الوجود كله جمعاً لا يفرقه شيء منه عن ربه عز وجل انتهى .

وكان الجنيد رحمه الله يقول :

الجمع أصل والتفرقة فرع ، وكل جمع بلا تفرقة زندقة ، وكل تفرقة
بلا جمع تعطيل .

وكان أخى الشيخ : أفضل الدين رحمه الله يقول :

مراد القوم بالجمع تجريد التوحيد ، ومرادهم بالتفرقة الاكتساب فعلى
هذا لا جمع إلا بتفرقة ، ولذلك يقولون (١) عين الجمع ،
ويعنون بذلك استيلاء مراقبة الحق تعالى على قلبه ؛ فإذا عاد إلى شيء من
أعماله عاد إلى التفرقة ، فصحة الجمع بالتفرقة صحة التفرقة بالجمع ، ومن فهم
من الجمع أنه صار عين الحق تعالى ومن ادعى أنه قائم بنفسه ، فهو مشرك
أنهى والحمد لله رب العالمين .

(١) مطهر من الأصل .

ومن أخلاقهم : عدم أخذ العهد على مرید عاق لوالديه

سواء في حياتهما أو بعد موتهما . فإن العاق لوالديه أو أحدهما الله غضبان عليه ، ومن كان الحق تعالى غضبانا عليه ، فلا ينفعه عمل ، فيجب على الشيخ أن يقول للعاق لوالديه : اذهب ، فارضهما ، ثم تعال ، وإن كانا ميتين ، فالتوجه الشيخ إلى الله تعالى في إرضاهما عنه . وهما في البرزخ ، فلعن الله تعالى يرضيهما عنه .

وقد وقع أن فقيرا كان عند سيدي إبراهيم المتبولي على أعمال كالجمال ، فدعاه الشيخ يوما فقال :

يا ولدي مالي أراك كثير الأعمال ناقص الدرجة لعل والدك غضبان عليك فقال : نعم قد مات . وهو غضبان علي .

فقال : أمشي معي إلى قبره ، فلما وقف سيدي إبراهيم على قبره .

قال : يا حاج أحمد قم باذن الله تعالى ، فأشق القبر ، وخرج منه وجلس على شفيره .

فقال : هذا ولدك .

فقال : نعم .

فقال : أشهدك يا سيدي أني قد رضيت عنه .

فقال : أرض عنه .

فقال له : إرجع إلى لحدك باذن الله فارجع إليه انتهى .

هكذا حكى لي سيدي علي الخواص والشيخ يوسف الكردي عن سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنهم .

فاعلم ذلك وإياك أيها الشيخ أن تأخذ العهد على عاق إلا إن كان لك قرة وجه عند الله تعالى ترضى به أرباب الحقوق على المرید والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا طلب أحدهم علو المقام
عند الله تعالى أو عند خلقه

أن يبالغ في الخدمة لله تعالى ؛ أو لذلك الأمير مثلا ؛ فإن الله تعالى
أو ذلك الأمير يقدمه ويقربه من حضرته ويرفع قدره على سائر أقرانه
ويعطيه أفضل مما سأله كما جرب .

فعلّم أن من تخاف من الخدمة ورا الناس كلهم ، وطلب التقدم عليهم ،
فهو قليل العقل ، ولا يؤمله الله تعالى ، لمقام الرياسة على عباده ، ولورفع
مقامه من ناحيته أو تراحمي لطلب الرياسة من غير طريقها المعتاد ، وكذلك
حال ولد الشيخ إذا طلب أن يكون شيخا على فقراء زاوية والده بعده
أن يكون أكثر الفقراء كلهم في العبادة ، والزهد والورع ، فلا يقوم أحد
من الفقراء لصلاة الليل إلا ويجده سبقة ، ولا يزهد ولا يتورع إلا ويجده
قد سبقه ، وهكذا في سائر العبادات والأخلاق الحسنة ، وهناك يرجي له
انقياد فقراء الزاوية كما كانوا مع والده .

وأما نومه أو غفلته عن الأدوار ، وعدم زهده وورعه ، فلا يصح
معه رياسة على أحد ، فلينبه ولد الشيخ لمثل ذلك ، وإلا تجرم رياسته
والخدمة رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يقبل أحدهم من الأمراء أو غيرهم
شيئا من المال إلا لمصلحة ترجح على مصلحة الرد

لأسماء إن صرح الأمير لو كسبه في التفرقة بأن يفرق ذلك على الصلحاء
والزهاد أو علم ذلك بالقراين ، فإنه يتعين الرد لأنه ليس لفقير أن يرى
نفسه من الصلحاء ، والزهاد ، حتى يقبل ذلك أو شهادة الناس فيه الصلاح ،
والزهد لا يمكن ، لأنه ربما يعلم من نفسه أمورا لو ظهرت للناس لشهدوا
فيه بالفسق .

وقد قالوا : أجهل الناس من ترك يقين ماعنده لظن ماعند
الناس انتهى .

فيايك يا أخى أن ترخص في قبول مال نفسك ، أو غيرك إلا عند
وجود الضرورة التي تباح لك أكل الميتة بل ربما كان أكل الميتة أخف من
تبعات الأدميين .

وقد رأيت بعينى شخصا من أرباب الأحوال ينهش في دجاجة ميتة ،
وهو ما في الخليج ، يخاف من إنكارى عليه ، فسابقنى بقوله : كيف يطلب
المؤمن الحياة في زمان صار الفقراء يقدمون فيه أكل الميتة على ما بأيدي
الناس انتهى .

وقد تقدم قريبا أن من يرد الآن ما يأتيه من الولاة قد صار كالكبريت
الأحر يتحدث به ، ولا يرى ، وإن جميع أقرانه الذين يأخذون ما يعطونه
من الأمراء ، لو أمكنهم أن يسعوا في قتلهم فعلوا . كما وقع على ذلك مرارا ، وإن
لم يقدر أحد منهم على القتل أخذ في الغيبة ، والتمنيص جهده ، وكان
الواجب عليهم أن يحمدا من يرد ، ويشكروه على حماية الخرقه من أن

يرمى أهلها بأكل الحرام ، والشبهات ، فتفتدى الناس بهم في ذلك ، ويقولون
إذا كان سيدى الشيخ يقبل من الأمراء ، ولا يرد ، نأبش قدرنا نحن .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

يجب على الفقير عدم الاعتراض على كل من يرد الشبهات ، لأنه قام
بركن من أركان الدين ، وهو تورع ، ومن اعترض عليه ، كأنه يريد هدم
ذلك الركن .

وسمعت أيضاً يقول :

يجب على كل فقير الخوف في هذا الزمان من الوقوع في الحرام والشبهات
أكثر من غيره . لأن ضيئته وخطيتهم واحد .

لخوف الفتنة في الدين ، وكثيراً ما يقول الجاهل من أصحاب الفقير ،
وغيرهم لو أن فلاناً قبل ذلك وفرقه على الفقراء لكان أولى ، وذلك لما
في قلوبهم من محبتها ، ونسيانهم يوم الحساب .

وقد أرسل الإمام عثمان بن عفان مالا جزيلا إلى الإمام أبي ذر رضى
الله عنهما ، وقال لعبيده :

إن قبلى ذلك منك ، فأنت حر .

فرده أبو ذر .

فقال : إقبله لأن نية عتقى .

فقال : إن كان فيه عتقك فإن فيه رقى انتهى .

فليحذر شيخ الزاوية مثلاً أن يصغى إلى قرلهم ، فيملك في دينه ،
ويعلم غيره ، ويقال لهؤلاء الجاهلة لا يعترض على الأشياء إلا من هو فوقهم
(م ٧ - الأخلاق النبوية)

في الدين ، والورع ، فهل أنتم فوقهم ، وهم في حجب تربيتكم أم الأمر بالعكس .
ولم يزل هذا الأمر يقع لي كلما أرد شيئاً من مال الولاء . فيكثروا على القول
ولو لا حماية الله تعالى لي لرجعت إلى قوطهم .

فإنه يحفظ الإخوان من فتنة الرد والقبول آمين اللهم آمين والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يشكروا الله تعالى على ما يروونه لأنفسهم من المنامات الرديّة .

فإن ذلك من جملة نعم الله تعالى عليهم، فإنه تعالى إنما أراهم ذلك لينبهم على أحوالهم الناقصة التي جهلوها في اليقظة ، ليجدوا في العبادة ، ويكثروا من الاستغفار على ذنوبهم السالفة ،

ثم مما يخفى على كثير من الفقهاء عليهم بأن أحدهم لا يرى أنه مع قوم أو حيوان إلا وهو متخلق بأخلاق ما رأى سواء أ كانت محمودة أو مذمومة ، ثم إن رؤيته لهم يكون على حسب ما يتخلق به من أخلاقهم كثرة ، وقلة عمياً ، وإبصاراً فمن رأى نفسه مصاحباً لمن يعمل عمل قوم لوط فهو على شاكلته ومن رأى نفسه مع من يفعل لشيء من البهائم فهو على شاكلته أو أحداً من العميان فهو على شاكلته في العمى الظاهر ، وقد يكون الأعمى في الظاهر منور البصيرة في الباطن كالولي فإن هذه لا يلوم منها النقص في الدين فافهم .

وسمعت سيدي محمد المنير رحمه الله تعالى يقول لشخص رأى أن ثوبه عف عليه الذباب .

فقال : هذا يدل على أنك يا أخى تقع على الشبهوات ، ولا تقدر على منع نفسك منها كما لا يقدر الذباب على رد نفسه عن العسل .

فقال له : وكثيراً ما أرى نفسى معانقاً حماراً ،

فقال : هذا يدل على غلظ حجابك انتهى .

وقس يا أخى على ما ذكرناه سائر الحيوانات ، فلا ترى نفسك مصاحباً لشيء منها إلا وأنت متخلق بأخلاقه فاشكر الله تعالى في المحمود ،

واستغفر الله في المذموم ، كما أوضحتاه في بيان الطبقة الأدبية وملخصها :
أن في الإنسان مجمرع أخلاق الحيوانات كلها من محمود ، ومذموم ،
وما خرج عن هذا الحكم سري الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإن
الله تعالى طهر طيقتهم من سائر الصفات المذمومة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : تدرج المريدين في مقامات الإخلاص
شيئاً بعد شيء .

ولا يأمرونهم بمقام إلا بعد إحكام المقام الذي قبله ، وقد قال تعالى
(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً^(١))
والعمل الصالح هو ما يشبهه الإخلاص ، ولم يشرك العبد فيه مع الله تعالى
أحداً ، ولا نفسه ، فيرى كشفاً ، ويقينا أن عمله خلق لله تعالى ، وليس
للعبد فيه سوى نسبة التكليف ، والاسناد فقط ، فهذا هو الإخلاص
المشهور بين العلماء .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول :

لا يقدح في إخلاص العمل لله رؤية العبد نسبة العمل إلى نفسه ، فإن الله
تعالى أمره أن يقول : إياك نعبد وإياك نستعين^(٢) ، فشرکہم الله تعالى في
العمل معه ، فمن رد تلك النسبة ، فكأنه كذب الرسل فيما أضافوه إلينا على
لسان الحق تعالى في نحو قوله : والله خلقكم وما تعملون ، فذكر تعالى أنه
خلقنا ، وخلق عملنا ، فنبى عنا العمل ، وأثبتته في هذه الآية .

ومن الأدب أن نضيف إلى أنفسنا ما أضافه الحق تعالى إلينا مع علنا
بما تحته من السر المشار إليه بحديث : الإخلاص سر من أسرارى أودعته
قلب من شئت من عبادى ، أو كما قال . فلم يصرح الحق تعالى به لأنه من
جملة الحقائق التى هى أحسن ما يعلم . وأقبح ما يقال فافهم .

(١) سورة الكهف آية : ١١

(٢) سورة الفاتحة آية : ٥

وسمعت سيدى محمد المنير رحمه الله يقول :

مراتب الإخلاص أن يخلص العبد عمله من شركه نفسه ، ويجعل نفسه لله خالصاً ، ولا يطلب على ذلك أجراً ، وهو نقص بالنسبة للمقام الذى فوقه . كانه بالنسبة لمن يرى له شركه فى الفعل مع الله تعالى • وطلب على ذلك أجراً . ثم إنه يترقى من هذا المقام الأوسط مقام أعلى وهو الدخول إلى الله تعالى من باب الفضل والمنة : لينخرج من صفته الفنا التى أظهرها بعدم طلبه الأجر ويتخلق بالفقر والمسكنة كما عليه الأنبياء . وكل ورثتهم من الأولياء : وقد قالت الرسل (إن أجرى إلا على الله^(١)) ، فطلبوا الأجر الموعود به فى نظير الأعمال الجارية على يدهم من باب فضل والمنة لا بحكم الاستحقاق .

فعلم أن صورة الكامل فى طلب الأجر على عمله صورة من يطلب الأجر من الله على عمله الذى أشرك فيه نفسه ، وانقص مختلف ، فإن من أشرك نفسه فى العمل يرى استحقاقه للأجر ، فلو منعه الحق تعالى من الأجر لتكدر بخلاف الكامل الذى يرى العمل لله تعالى خلاقاً .

وقد أشار إلى القسم الأول حديث العابد الذى يقول له الحق تعالى : « أدخل الجنة برحمتى ، فيقول يا رب بل بعملى » .

وسمعت سيدى عليا الخراسانى رحمه الله يقول : محال أن يقبل الحق تعالى عملاً ممن يرى نفسه فاعلاً كالمعتزلة ، لأنه تعالى لا يقبل من العبد إلا ما رآه فعلاً لله ، وأما رؤية العبد فعلاً لنفسه ، فهو عدم ، والعدم لا وجود له ، حتى يقبل من صاحبه بحكم الوهم .

وسمعتة يقول أيضاً : فى قوله تعالى « إنما يتقبل الله من المتقين^(٢) » أى المتقين

(١) سورة يونس آية : ٧٢

(٢) سورة المائدة آية : ٢٧

غسبة العمل إلى نفوسهم إلا بقدر نسبة التكليف فقط، ومن تخلى بهذه التقوى ،
فهو الذى يتجرا من آفات الأعمال ، كالكبر والعجب، والرياء ، ونحو ذلك .

وأما شهود العبد كونه فاعلا مع الغفلة عن شهود العمل لله تعالى كشفافاً ثم
يريد أن يحفظ نفسه من الآفات ، فذلك محال لا يصح له بل يدخله الكبر
والعجب والرياء وغير ذلك انتهى .

وبالجملة : فلا يصح لأحد الإخلاص إلا مادام مقيماً في حضرة الإحسان
يعبد الله تعالى كأنه يراه ، ومتى حجب عن هذه الحضرة دخله الشرك في
العمل وفى القصد .

فاعكف يا أخى بقلبك فى حضرة الإحسان تحفظ من الآفات وترى
الفضل لربك وحده لا ترى معه فاعلاً حقيقياً أبداً والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العمل على تحصيل مقام التواضع الكامل
النسي بحيث يصل إلى حد لا يخطر في باله أن له قدراً في الناس

وإذا دخل محفلاً لا يخطر في باله قط أن أحداً لا يقوم له لا سوء ظن
بالناس ، ونسبتهم إلى الكبر ، وإنما هو لحقارته في نفسه .

وقد دخل شخص من المتغفلين في الفخامة ، ونحن في وليمة عظيمة
فقال : والله لا يقوم لي أحد منكم ، فقلت للحاضرين : هل عزم أحد منكم
على القيام له ؟ فقالوا : لا ، وإنما حلف علينا لظنه أن مثله يقام له ، فقلت
له في أذنه : يا أخى لعمل على هضم نفسك ، حتى تصير بحيث لا تظن أن
أحداً يقوم لك فتستريح من هذه الغلبة ، وتصير تتغير من القيام لك بالباطن
وإنما تسليفك الناس أن لا يقوموا لك في الظاهر إظهاراً للكرامة ، فقد يكون
الباطن بخلاف ذلك ، كما يشهد له القران ، فاستغفر الله تعالى ، وشكرني على
ذلك فحمدت الله أنا الآخر على ذلك ، فإنه قل من يقبل النصح في
مثل ذلك .

وكثيراً ما تقوم القران على محبة الإنسان له للقيام له ، ويظهر هو
الكرامة ، فلا يقبلونها منه ، وربما ظهرت العبوسة على وجهه لما لم يقم له أحد
وكبح ، فيفتصح في دعواه ، فاحذروا من مثل ذلك أيها الإخوان ، وكونوا
متواضعين مع إخوانكم لا تروا أنكم تستحقون رد السلام عليكم فضلاً عن
القيام لكم .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول :

مادام العبد يخطر له في نفسه أن الناس يقومون له ، فهو متكبر ولا يبلغ
أحد التواضع ، حتى يصير لا يخطر ذلك على باله ، كما لا يخطر على باله أن
يكون سلطاناً ، أو يقوم له السلطان والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا خزنوا قوت أهل الزاوية على عادتهم
كل سنة ثم حصل غلا مثلاً فزادات الفقرا في الزاوية في
العدد فن الأدب أن يصغروا الخبز ليكثر العدد .

فيفرق على عدد الرؤس ، فينتقص كل واحد من رغبته لقمه ، ثم لقيمة ،
وهكذا ، حتى ينتهي الأمر بفقراء الزاوية إلى أوائل مرتبة الإضطراب ،
وهو لذع الأمعاء المسمى كلب الجوع لكن لا يخفى أنه لا يطالب بالجوع .
لأجل إخوانه إلا من رضى بذلك من الرجال إختياراً ، أما الأطفال ،
والعميان ، ونحوهم فلا يكلف أحدهم بالجوع . وتصغير الرغبة ،

وقد كان الفقرا في الزمن الماضي إذا كان في حاصلهم قمح أو حصل غلا
يفرقون ذلك القمح على المسلمين ببيع أو هدية أو هبة ، أو إباحة لأن
لا يتحيزوا عن غيرهم بالرفاهية أيام المحنصة ، ومن فعل ذلك من المشايخ سيدي
إبراهيم المتبولي ، وسيدي محمد بن داود ، وسيدي أحمد بن مصلح ، وسيدي
محمد الغمري ، والشيخ عبد الحليم ، وسيدي محمد الشناوي رضى الله عنهم ، فلما
ضعف اليقين ، وقل بر الأغنياء للفقراء أمسك الأشياخ القوت في الحاصل
تقوية لقلب فقرائهم ، ليقبلوا على عبادة ربهم ، فإن العدم يشتت البال .

وقد كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول : لا تشاور من ليس في بيته -
دقيق انتهى .

وقد شاورت أنا فقراء الزاوية في سنة ثلاث وستين أن أفرق حاصل
قمحهم على المحتاجين ، ونصير نشترى القمح ، ونجوع مثل الناس ، فقالوا :
لا طاقة لنا بذلك ، فتركته .

لكن لا يخفى أنه ينبغي لكل من قدر على الجوع الشرعي أن يوافق
إخوانه المسلمين في الجوع ، ويطعم الفاضل لمن لا يصبر على الجوع كما فعل
الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه عام الرمادة .

وهذا الخلق من محاسن أخلاق القوم ، وفائده الآن قليل بل رأيت بعضهم يأكل الخبز النخول ، واللحم الضاني ، والدجاج ، وجاره لا يجد النخالة ، يأكلها مع تظاهره بالصلاح ، وكان الأولى له نحو اسمه بذلك من ديوان الفقراء صيانه للخرقة أن يظن بأهلها أن حالهم كحالها .

فعلم أن من أقبح القبيح رد الفقرة كل من طلب المجاورة عندهم زيادة عليهم مع قدرتهم على الجوع ، ثم إن كان ، ولا بد لهم من الرد ، فيكون ذلك برفق ورحمة ، وبعد بلوغهم أوائل درجة الإضطراب لاسيما إن كان وقف زاويتهم ليس هو على أسماء معينة بل لكل وارد ، فليس لأحدهم أن يذكر من طلب المجاورة بالكلام الجافي طلبا لزيادة التوسع ، والترفع ، لأجل حفظ نفسه .

ولما طلب سيدي أبو العباس الغمري رحمه الله تعالى تخفيف الفقراء من جامعته بمصر أيام الغلا رأى سيدي يوسف الحريشي يقول له : أنظر فكل من وجدت رزقه عليك فأخرجه ومن وجدت رزقه على الله تعالى فليس لك إخراج ، لأنه جالس في بيت ربه انتهى .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان . وواسوا إخوانكم في الغلا ، وغيره حسب طاقتكم ليعاملكم الله تعالى بنظير ذلك ، وبيعوا كل ما زاد على ضرورتكم من ثيابكم ، وغيرها ، وأطعموا الناس بثمنه تفلحوا ، ولا تخالفوا تندموا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يقدموا إقامتهم لخدمة الفقراء وتعليمهم الأدب.

وتهيئة ما ياكلون ، ويشربون على السفر لحج النفل لكن بمشاورة سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك إن كانوا من أهل هذا المقام ، أو عرض سفرهم ، وإقامتهم على أدلة الشريعة ؛ فكل ما شهدت له بأنه أرجح قدموه ، فهم دائماً مع الأرجح في الشريعة لا مع حظوظ نفوسهم .

وقد تهيأت لسفر الحج نفلاً في سنة ثلاث وستين فشاورت بعض الفقراء في ذلك ، فقال : حتى أشاور لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرد لك جوابه ، فرد على الجواب بأن يتخلف لخدمة الفقراء ، وجمع شملهم ، والسعى في جارسهم في مجلس ذكر الله تعالى ، والصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل لى . وإن إشتقت إلى الطواف وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون ذلك بالقلب إنتهى .

فقلت : سماعاً وطاعة إلا أن يشاء الله تعالى غير ذلك ، وعلمت أن من كان بعيداً عن مكة والمدينة ، وهو في خير يتعدى نفعه إلى الأمة في دينهم ، ودنياهم الضرورية ، فهو أفضل ممن كان قريباً من الحرمين ، وخيره قاصر على نفسه ، ومثاله من أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم أميراً في الجهاد فبينما هو في وسط الجهاد للكفار إذ ترك ذلك ، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال :

قد إشتقت إلى رؤيتك فاستأصل الكفار المسلمين وقتلواهم وسبواهم وساموهم سوء الموان ، ولو أنه أتم الجهاد مع إشتياقه ، لرؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكان أفضل له ، وأحب إلى الله تعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فافهموا ذلك أيها الإخوان ، وقدموا خدمتكم للفقراء مع التباعد على السفر لحج النفل إلا أن تسحبكم القدرة الإلهية للسفر من غير إختيار نفوسكم . والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا حجوا وزاروا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أن يشعروا حفاة من مساجد عائشة رضي الله عنها ومن آبار الإمام علي رضي الله عنه ، وعند رؤيتهم أشجار المدينة ، أو منارات مسجده صلى الله عليه وسلم أدباً مع الله تعالى ، ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد فعل مثل ذلك من أسياننا جماعة منهم الشيخ عبد القادر الدشظوطي ، والشيخ محمد الشناوي ، والشيخ محمد المنير ، والشيخ أبو بكر الحنيدى رضي الله عنهم .

ولما نزل السلطان قايتباي إلى زيارة سيدى أحمد البدوى ، وإلى زيارة سيدى إبراهيم الدسوقي نزل عن فرسه حين رأى مقامهما ، ومشى حافياً ، حتى دخل المقام قلعوا له من رجله كذا وكذا شوكة ، فأظربا أخى أدب المذلول مع أولياء الله تعالى فضلاً عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الخلق على الإطلاق .

ولما زار الشيخ عمر التبتى رحمه الله تعالى سيدى أحمد البدوى نزل عن دابته ومشى من ناحية نفيا ، فلما زار ، ورجع ركب من عتبة مقام سيدى أحمد البدوى فقالوا له : فى ذلك ، فقال : إن سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه خرج ، فتلقانا من نفيا ، وهو ماش ، فلم أكن أركب ، وهو ماش ، فلما زرفاه خرج معنا إلى عتبة المقام ، وأقسم علينا بالركوب من العتبة ، فلم يسمعنا مخالفته انتهى .

وسمعت سيدى على الخواص يقول :

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل رسله كل سنة يتلقون القادمين من الحجاج من آبار الإمام علي رضي الله عنه معهم الخلع ، فيخلعون على كل إنسان بحسب مقامه ، ويسر صلى الله عليه وسلم غاية السرور ، فإذا وقفوا بين يديه .

أمدّهم بالامداد اللّايقة بهم ، وربما هابه بعض الفقراء أن يقف بين يديه
صلى الله عليه وسلم . فيرسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم التّأذنه ، ويعدّه
أكثر من يحضر عنده بلا كثير هيبة .

ولما حج سيدى عبد القادر الدشطورى رحمه الله تعالى ما شياحا فيا لم
يدخل حرم المدينة ، وإنما وضع خده على عتبة باب السلام مدة إقامة الحاج
حتى رحلوا ، ولم يدخل المسجد هكذا أخبرنى به شيخنا الشيخ أمين الدين
إمام جامع الغفرى وكان قد حج معه فى تلك السنه .

وذكروا أن أحد أرباب القلوب سمع شخصا من خدام سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشيخ عبد
القادر واضع خده على باب السلام ، فأذن له يدخل فتمال صلى الله عليه وسلم :
هو أقرب عندنا من وقت وهو منطى بالذنوب .

فاعلموا ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أنهم لا يدعون أحدا من الأكابر العلماء
والأمراء يمشى في زفة ختان أو زواج

تعظيما لحرقة العلماء عن مثل ذلك . وأدبا مع الأمراء ، فإن منصبهم يحمل
عن أن يمشى أحدهم مع الصغار ، والمطلبل والمزمار واللغظ ، وخلطة من
لا يصلح من الزوالق ، والعياق وأهل السخريا .

ولم يكن يمشى في الزفاف في العصر الأول إلا النساء لكن لا بأس بتهنئة
الرجال بعضهم بعضا .

وأقبح مما ذكرناه دعاء شيخ الزواجة المنقطع عن الناس ، ليحضر ذلك .
وأقبح منه غضب صاحب الزفة عليه إن لم يحضر .

وقد دعى شخص من أصحابي من غير علمي سيدي محمد البكري إلى زفة
ختان ولده فحضر ، فلما رأيت كدت أن أذوب من الحجل ، فعلم أن كل فقير
دعى أحد العلماء والصالحين ، والأمراء إلى زفة ختان ولده ، فهو قليل الأدب
جاهل بمراتب الناس والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تصد أحدهمهم للرد على أحد من
أهل الفرق الاسلاميه إلا بنص أو إجماع

فإن كل مالا نص فيه عن الشارع ، ولا أجمع عليه الأمة الأمر فيه
واسع ، ومرجه إلى الفهم ، والأفهام مختلفه ، فليس لصاحب فهم أن يقول
لثله : إرجع عن فهمك إلى فهمي ، ولو أنه خاصمه لم يرجع إليه لاعتقاده
الصواب في فهمه دون فهم غيره .

فعلم أن من خالف نصوص الشريعة أو إجماع الأمة وقواعدها ، فلا
لوم على من تصدر للرد عليه بل ذلك واجب ، وكلامنا إنما هو في مثل
انتصار الانسان لمذهبه ، وادعائه أدلة غيره من غير مخالفة القواعد كلها ،
فإرد ذلك الكلام من حيث هو بقطع النظر عن نسبته إلى قائله إلا إن ثبت
ذلك بطريق شرعي ، وإنما نهينا على ذلك ، لأننا رأينا من يتصدر للرد على
من نسب إليه ذلك الكلام ويصرح بإسمه من غير ثبوت ذلك عنه .

وكان شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله يقول كثيرا في مثل ذلك :

كل من ثبت عنه هذا الكلام ، فهو مخطيء ، ولا يقول فلان مخطيء بمجرد
عزو ذلك الكلام إليه لقلة ورع الناس في المنطق كما أوضحنا ذلك في كتاب
العمود المحمدية والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : منعهم أصحابهم من مطالعة كتب التوحيد
المغلقة خوفا عليهم أن يفهموا منها شيئا مخطئا بالتقليد

فيضاروا ويضلوا غيرهم لاسيما كتب يحيى الدين بن العربي ، وأتباعه ، وليس
مراد القوم من المريد حفظ مقالا أو كتابا ، وإنما مرادهم الإشتغال ، بالله
تعالى حتى يدوق أحراق الطريق كما ذاقها القوم ، ويصير يستشهد ذوقهم
وبمقالاتهم طالبا للاستيناس بهم لسكراة القوم ، للانفراد بالقالات في
الطريق ، وخوفا من الاسراع إلى الإنكار عليه ، حيث انفرد بخلاف ما
إذارأوا جمهور الصوفية معه فإنه يضعف إنكار المنكر ضرورة والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : التسليم لمقالات أشياخ الطريق

فإنهم كالمجتهدين فكما يسلم الفقيه الإمام مذهبه كذلك يسلم الفقير لأئمة مذهبه في علم الطريق .

وقد كان الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى لم يزل يخرج على أهل الطريق في بداية أمره ، ويطلبهم بالأدلة على أقوالهم ، حتى اجتمع بالخضر تجاه الحجر الأسود فأخذ عليه التسليم لمقالات الشيوخ ، فمن ذلك اليوم ما أنكر على أحد منهم إلا بطريق شرعي .

وأقل ما في الإنكار أن المنكر يحرم من بلوغ ذلك الأمر الذي أنكره سواء كان ذلك حالاً أو مقاماً عقوبة له على أنكاره ، ومن نظر كلام العارفين بعين الإنصاف لم يجد شيئاً ينكره عليهم لأن طريقهم محرره على الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر .

وقد حث الأشياخ كلهم على إتباع الكتاب والسنة فكيف يخالفونها هم

وقد ذكر الشيخ في افتتوحات أن جميع المحققين أجمعوا على أن الكامل منزله عن الوقوع في الشطح إذ الشطح رعونته لا تصدر من محقق .

قال : ومن أراد أن لا يضل عن طريق الحق فلا يرم ميزان الشريعة من يده عند قول وفعل واعتقاد هذا لفظه بحروفه

وقد أخبرني الثقات عن الشيخ بدر الدين بن جماعة أنه كان يقول : جميع ما وجد في كلام الشيخ محي الدين مخالف لظواهر الشريعة مدسوس عليه لأن الكامل يجب عليه بعد كلامه أن يحق الحق ، ويبطل الباطل والشيخ محي الدين كامل والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إخلاصهم الوعيد لا الوعد.

عملاً بحديث :

فمن حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير
وليس كفر عن يمينه .

قال الشيخ محي الدين ابن العربي :

وهنا دقيقة ينبغي التفطن لها وهي : أن من أساء علينا فقد أعطانا
حسناته في الآخرة في محل الحاجة ، فكيف ينبغي لنا مقابلته بالإساءة
عملاً بما توعدناه به ، ولو كشف للعبد لم يجد أحداً أحسن إليه مثل من
آسى إليه ، ومن كان هذا مشهده فمن الواجب عليه عند أهل الطريق أن
يجازيه بكل إحسان في الدنيا ، ثم لا يرى أنه كافأه على إحسانه .

ولما أراد أبو بكر الصديق أن ينفذ غضبه في مسطح شفع الله تعالى
عنده بقوله (وايعفوا وليصفحوا)^(١) الآية فقبل رضى الله عنه شفاعته
الحق جل علا ، وعفى عنه وصفح رجاء المغفرة من الله تعالى ، وترك
أبو بكر ما كان توعد به مسطحاً .

ثم إن هذا الخلق لا يصلح العمل به إلا لمن خرق يبصره الإيمان إلى
مشاهدة أحوال الدار الآخرة ، حتى صادت عنده كأنها شهادة ، وأما من
لم يخرق يبصره إلى ما ذكرناه فمن لازمه مقابلة المصائب بإساءته ، لحجابه عن
شهود الآخرة .

فاسالك يا أخى على يد شيخ صادق ، حتى تلطف كتمانك ، وترقق حجابك
وإلا فلا تشم من التخلق ، لهذا الخلق راحة انتهى .

فعلم أن كل نقير آذا من آذاه ، فقد خرج عن طريق الاستقامة الحقيقية
فإن الله تعالى ما أباح المجازاة إلا مداواة للضعفاء ، وأما الأقرباء فعرض
لهم بترك المجازاة بقوله تعالى : (فمن عفى وأصلح فأجره على الله) (١) .

على أن سبب المجازاة يشترط فيها أن تكون مثل السبب الأول ،
وتحرير المثلية عمر جداً ، لأنه يشترط أن يكون تأثير البادى ، ونسكايته
بسبب المجازاة مثل تأثير المجازى على حد سواء ،

وأيضاً فإن الحق تعالى خلع على سبب المجازاة اسم الشهية ، وأكدها
بمثليتها ففهم أهل الله تعالى أنهم إذا جازوا كانوا مثل أهل البداءة في الذنب ،
فلم يرضوا ذلك لأنفسهم هذا ما درج عليه الكل من الصالحين والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : مدح أشياخهم في كل موضع يعتقدهم الناس فيه

والسكوت عن مدحهم إذا كان هناك من ينكر عليهم خوفاً أن يقع في سبهم .

كما لا ينبغي مدح الإمام أبي بكر وعمر عند الروافض إلا إن رجع رجوعهم عن بغض الشيخين إلى محبتهما .

وهذا أمر قد أغفله غالب مريدي هذا الزمان ، فيمدحون شيخهم ، ويصفونه بالقطيع الكبري بحضرة من ينكر ذلك عليهم ، فيستخر به الحاضرون ، فاعلم ذلك ، وإياك أن تسامح أصحابك في المبالغة في مدحك إذا كثرت أتباعك فنفوك خوفاً على المملكة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: عدم الإهتمام بأمور الدنيا بقدر الضرورة :

فلا يذهبون إلى السوق مثلاً لأجل شراء جوخة ، أو صوف ، ولا يرسلون رسلهم لأجل ذلك يردونه مرات عديدة ، فإن ذلك مشعر برؤيتهم الحظ الأوفر لأنفسهم دون من يشترون منه ، وما هكذا تكون الفقراء إنما شأنهم أن تكون لهم المنه على من يشترون منه فيبيعون برخصه ، ويشترون بقال ، وكذلك لا يبالغون في حسن الهندام في التفصيل ، والحيطة والسجاف ، ولا يبالغون في نظافة الثوب ، وحسن بياض الجبة ، أو سوادها أو حمرتها بل يلبسون بحكم الاتفاق ، ويفسلون بحكم العادة ، وذلك لأن شرف الفقير ليس هو بالثياب ، والهيئة ، وإنما هو بحسن الأخلاق ، والسماح .

ويحب على فقير جعله الله تعالى قدوة للناس أن يتول بنفسه إلى دناءة الأخلاق ، وطلبه الحظ الأوفر لنفسه دون أخيه المسلم ، وكذلك لا ينبغي لفقير أن يشتري شيئاً من معارفه خوفاً أن يحاسبوه بسيف الحياء لابتية صالحة .

وقد كان الشعبي رضي الله تعالى عنه إذا قالوا له : ألا تغفل ثوبك ؟

يقول : لست قلبي في القلوب مثل ثوبي في الثياب .

فعلم أن كل فقير ذهب إلى السوق لأجل شراء شيء لنفسه ، فقد اعتنى بالدنيا ، وكذلك إذا أرسل رسوله في الصوم إلى السوق البعيد : ثم صار يرده مرات ، وكل من قال هذا لا يقدح في الفقير ، فهو

من باب حسن الظن بالفقراء ، فيجزاه الله خيراً ، وإنما الشأن مشى
الفقير على مشى سلفه في عدم المبالاة بأمور الدنيا ، فإنهم أجمعوا على أن
طعام الفقير ما وجد وليامه ماستر ، وكل من طلب فوق ذلك فقد خرج
عن الطريق .

وكان سيدى يوسف العجمى يقول :

من رأيتموه في زيه لبق ، فاعلموا أنه عن الإستقامة زلق والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حل كفتهم عن الناس منه ما أمكن .

فإن ثقل كفة الفقير ينهر الناس منه بقلوبهم ، وإن تظلموه بظواهرهم
حقروه بباطنهم ، فإذا دعاهم أحد إلى بستانه أيام المشمش أو العنب مثلاً
لا يذهبون إلا بعزة وجاعة قليلة ، وهذا خلق قد أضلّه غاب الفقراء اليوم
فربما سألوا فضل صاحب البستان في انتفراج بحضرة من يستحيل منه فلا يسمعه
إلا أن يقول : أنا في خدمتكم أي وقت طلبتم ، فيذهبون إليه بماهب ودب
فيقطعون رمانهم الأخضر ، وحصرمهم ، ويفسدون ، ويصير صاحب
البستان في غاية الحصر والندم ، وربما قالوا له : وايش تطعمنا هناك ،
فيكفونه الطيخ لهم بسيف الحياء كرها عليه في الباطن . ثم لا يفارقونه ،
حتى يقولون له قد حصل لك الخير بمجيء سيدي الشيخ ، وكل هذا خروج
عن طريق الشرع كما أوضحنا الكلام عليه في كتاب المدن الكبرى
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : ملازمة المراقبة لله تعالى إذا خرجوا من
بيوتهم لسفر أو غيره حتى يرجعوا

وذلك ليجب عليهم الله تعالى من الآفات ، ولا شك أن مراقبة الله تعالى
شديدة لما فيها من شدة الهيبة ، والتعظيم ، ولذلك كره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، للرجل أن يسافر وحده ، واستحب له السفر مع الجماعة .

وقال : واحد شيطان وإثنان شيطانان وثلاثة ركب انتهى .

فطلب لأتمته ما فيه الرحمة لهم ، فإن الإنسان إذا وقف وحده بين يدي
ملك عظيم أرعى من هيئته ضرورة ، حتى تكاد مفاصلة تنقطع ، وإذا وقف
مع غيره بين يديه خفت الهيبة عليه لأنسه بأشكاله .

ومن فوائد السفر مع الجماعة أنه إذا حصل له مرض كان واحد يخدمه ،
ودابته وآخر يبلغ خبره إلى أهله فصلى الله وسلم على معلم الخير صلى
الله عليه وسلم .

وقد ورد في بعض طرق حديث الأئمة ما يزيد ما قلناه من الهيبة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أفردته جبريل بزجه في النور أخذته
هيبة عظيمة ، فسمع صوتاً يشبه صوت أبي بكر يقول له : قف إن ربك
يصلى ، فزالت هيئته ووحشته إذلهيية من لازم المقربين ، وكل من ادعى
القرب مع الإدلال فلا ذوق له في مقام المقربين ، ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم (أنا أعرفكم بالله تعالى ، وأخوفكم منه) ، فعلم أنه لا ينبغي لأحد
المبادرة إلى الانتكار على من رآه ليس الطيلسان من الفقراء ، فربما أرخاه
على عينيه حياء من الله عز وجل .

وقد قال الإمام مالك : أول من ضرب الخبا في طريق الحج من الخلفاء
عثمان بن عفان رضي الله عنه .

فقال لأصحابه : أحجبوني عن الناس ، فإنى أستحي من نظري إليهم .

وكذلك لا ينبغي له الإنكار على من يراه يسافر وحده لأنه ربما يكون قد أمن نفسه عن الخوف من الخلق لا يخاف إلا الله تعالى بل يتربس ، فإن رآه ألقى بنفسه إلى الهلكة مع الصحو أنكر عليه ، لأن الله تعالى قد أمنه على نفسه ، فلا يتعاطى ما يضره في الدنيا والآخرة .

وكان سيدى على الخواص لا يسافر بليل ، ويقول :

أخاف أن يقع أحد من اللصوص في الإثم بسببى بضربى على غفلة لأجل أخذه ثيابى ، وعماسى ، فلم يمتنع من السفر وحده خوفاً من الخلق أن يأخذوا ثيابه لطية نفسه بها ، ولو أنهم سألوه فيها لأعطاها لهم من غير أن يرتكبوا إثماً وإنما امتنع من اللصوص ذلك خوفاً على اللصوص أن يقعوا في معصية بسبب ضربه ، فالناس على أقسام في المشى في الليل .

فمنهم من يكره ذلك حياءً من الله تعالى ومنهم من يكره ذلك : خوفاً على أخذ اللصوص ثيابه ، وضربه مثلاً ومنهم يكره ذلك : خوفاً من وقوعه في عدم حفظ ما أمنه الله تعالى عليه من جسمه من حيث كونه عبد الله تعالى لا لحظ نفسه كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن ينصحوا إخوانهم المترددين

عليهم المحترقة أن لا يأتوا إليهم إلا بعد تحصيلهم ما يقوم بعياله

ومتى أقروا أحدا على ترك حرفته لأجل حضور وردهم مثلا فقد غشوه
وخانوه والله لا يحب الخائنين .

وقد مثل الحسن البصري عن رجل يكتسب ما يقوم بعياله ، ويصلي
منفرداً ، ولو حضر صلاة الجماعة لم يف كسبه بعياله .

فقال : يكتسب ما يكفي عياله ، ويصلي منفرداً .

وهذا الخلق قد أغفله غالب التشيخين بغير حق فيقر أحدهم التاجر
أو المحترف على ترك الحرفة التي تستره ذلك اليوم ، لأجل حضور نظام
قراءة وردة مثلا ، وإذا تأخر عن حضور مجلسه ، لأجل كسبه ما يقوم
بعياله ينكدر منه ، ويصير ينظر نظر الغضب ، وكان الأولى لسيدى الشيخ
أن يفرق مسموحه أو جو إليه مثلا على جماعته الذين يطلب منهم الحضور
في قراءة وردة ، ويأكل كأحدهم فإن ذلك هو العدل ، وأما كونه يأكل
الدجاج ، واللحم الضاني ، والأرز المغفل ، والخلوى من جواليه ،
أو مسموحه أو رزقه مثلا ، وما عليه من إخوانه ، فهذا خروج
عن الطريق .

وقد رأيت من يحجر على إخوانه أن لا يغيبوا عن الوقت الفلاني لأجل
حضور الدفتر دار أو قاضى العسكر مثلا ليوم ذلك الزائد أن عنده جماعة
كثيرة ، وأنه في حمله ثقيلة من جهة كفتهم إما ليشكروه ، أو ليحسنوا
إليه زيادة على ما عنده من الرزق ، أو غير ذلك ، وما للفقير وللأمير ، حتى
يدعوه إلى حضوره لزأويته مثلا ، وإذا صدق الفقير مع الله تعالى ، صارت

الأمراء ، وغيرهم بترددون إليه من غير سؤال ، ولو أنه منعهم من زيارته .
تشوشوا .

وقد رأيت من دفن في زاويته شيخا ، وصار يذكر له كرامات
وخوارق ، ويدعوا الأمراء إلى زيارته ، لينصب عليه .

فقلت له : مالك ، ولدعاء الأمراء إلى زيارة هذا الشيخ ، ولم لاتدعهم
إلى شيخ آخر .

فقال : إنما دعوتهم ليحضروا درسي في الطريق في حجة زيارة
هذا الشيخ .

فقلت له : إن الأمراء ليس لهم وعاء يحملون فيه علمك وما رأينا
قط أحدا من الأمراء جالسا يسلك الناس في الطريق أبدا ، فما بقي في
دعائه إلى حضور الدرس ، أو الختم مثلا إلا العلة النفسية في الغالب .

وقد كان السلف الصالح يفرون من الشهرة ، وإظهار مقامهم عند أحد
من الأمراء الا لغرض شرعى ، حتى كان الفضيل بن عياض رضى الله
عنه يقول :

لو أن أحد قال لى : إن أمير المؤمنين واقف على بابك يريد الدخول .
فسويت لحيتى بيدي لحفت أن ، أكتب في جريدة المنافقين لانهى .

فليحذر الفقير عما ذكرناه من إظهار النظام ، وتعاطى أسباب الشهرة .
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة ذكرهم لله تعالى في زواياهم

وعدم الخروج إلى عمل مجلس الذكر في الجوامع المشغولة بالعبادات ،
وكثرة دخول الخلق لها كجامع الأزهر ، ونحوه كما درج عليه السلف الصالح
رضي الله عنهم .

وقد خالف بعض أهل عصرنا في ذلك ، فصار يترك زاويته ، ويذكر
المجلس يوم الجمعة في جامع الأزهر ، فحصل بذلك شرور وترافع إلى الحكام
فكتب الباشا مرسوماً لذلك الشيخ ، بأنه يذكر في الجامع على رغم أنف
أهله ، فضربوا جماعته ضرباً شديداً ، وهدموا عمامته ، وبهدلوا الخرقه ،
وما كان ينبغي له ذلك هذا مع وقوع الناس في غيبته بنحو قولهم فلان يحب
المشيخة والشهرة فجلس زماناً في زاويته ، فما وجد أحداً يعظمه ولا يعرف
مقامه فجاء إلى الجامع لتعرفه الناس وكأنه بذلك يقول اعرفوا أني شيخ
من الذاكرين لا سيما إن كان ورده في الليل وليس في زاويته أحد غيره ،
وغير جماعته فإن ذلك ربما كانت النفس تكرهه لعدم من يشكرها على
تلك العبادة .

وسمعت الشيخ شمس الدين اللقاني المالكي يقول للشيخ نور
الدين الشوني :

إني خائف عليك من تصدرك في مجلس صلاة على سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جامع الأزهر مع كثرة من يراك من الأمراء ،
والأكابر ، فربما أعجبت النفس بذلك ، فيصير تبعك هباء منثوراً .

فقال له الشيخ نور الدين : ما جلست في جامع الأزهر إلا بإشارة سيدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فسكت الشيخ شمس الدين ، ثم قال : لا يلزم من كونه أشار عليك بعمل المجلس في الجامع أن يكون عملك فيه خالصاً ، فامتحن يا أخى نفسك بما لو نقلت مجلس الجامع إلى محل مهجور ليس فيه أحد غير جماعتك ، ولا يعلم به أحد ، فإن خف عليها السهر فيه ، وانشرحت لذلك فهي مخلصه وإن إنشرحت للمجلس في جامع الأزهر أكثر فاعلم أن ذلك رياء ، فلا يلزم من كون المجلس بإشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون صاحبه مخلصاً فإن سائر الطاعات قد أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك ، فقد دخل الرياء ، كما هو معلوم من أحاديث الشريعة .

فليحذر الفقير من مثل ذلك .

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول :

ربما استحلى العبد ما هو فيه من الطاعات ، ومكث طول عمره فيها ، فتقول له : إن ذلك من علاقة إخلاصك ، ولو أنك مخلص مادام عليك هذا الخير ، فبصغى لذلك ، فيهلك ، وهو لا يشعر إذ لو فتش نفسه ، لربما وجدها مرآية خالصة في الرياء وقد أجمع العارفون على أن من علامة الرياء استحلاء العبادات لأن النفس لا تستلذ بعبادة إلا إن وافقت هواها ، ولو خلصت من الهوى ثقلت عليها ، فإن النفس من أصلها ربيعة ، فلا تكاد تخضع لربها إلا بكلفه . فمن وجد من الصالحين في نفسه كفه للطاعات ، فذلك من علامة إخلاصه ، ومن هنا قام صلى الله عليه وسلم ، حتى تورمت قدماء ثقل التكليف عليه ، واشده معرفته بظلمة الله عز وجل وكان يخفف في الصلاة رحمة بأمته لأن الوقوف بين يدي الله تعالى يقدر على تطويله .

وكان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله يقول :

استحلاء العبادة سم قاتل محبط للعمل ، ولولا شهود الضعفاء تعظيم مقامهم

عند الناس بسهر الليالى مثلاً ما استطاعوا سهر ليلة كاملة فضلاً عن مقام الصبر .

فليمتحن العبد نفسه في المجالس التي يحدثها ، فربما كانت طريقة يكتسب فيها معاشه في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب سوى العقوبة عليها كما ورد في الصحيح ، وربما كتب إسم الشيخ الذي أنشأ مجلس الذكر في ديوان المنافقين في السماء ، وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، ولم يكن عقد مجالس الذكر في الزمن الماضي إلا لكل الاشياخ الذين تطهروا من رعونات النفس دون آحاد الناس من المريدين فأعلم ذلك ، وأعمل عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم التخصيص على الفقراء بشيء من وقف
زاويتهم .

ولا يفرشون في بيوتهم شيئاً من حصر الزاوية ، ولا يقدون فيها
عصباحاً من الزيت الموقوف عليها ، ولا يتخصصون سرّاً ، ولا جهرّاً بهدية ،
ولا زكاة ، كما يفعله بعض النصابين ، فينصبون على اسم الفقراء ،
ولا يعطونهم منه إلا البعض . ولو لا هم لما أعطاه الناس مثل خمس
قناطير عدلاً ، فليكن النصاب منصفاً وإلا افتضح بين الناس والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : منع عيالهم من حضور الولائم التي يجتمع فيها من لا ينضبط على قواعد الشريعة من الرجال والنساء .

بل يضربون العود ، ويتكلمون بالكلام الذي تستحى أهل المروءات من النطق به في حق النساء ، والرجال ، كذكر الفروج ، وصورة الوقاع ، والغناء ، والرقص ؛ وغير ذلك مما يفعله المحبطون ، ومحوهم .

وقد ترك العمل بهذا الخلق كثيراً من فقراء الزمان ، وحصل لعياهم التغيير بسبب مِرَّة طبايعهم مما يسمعون في الأعراس .

كما لا ينبغي للفقير أن يمشى في زفة الحتان ، فكذلك لا ينبغي لعياله حضورهن في الأعراس المشتملة على مفاسده والمحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : تعظيم الأشراف وزيارة قبورهم

لا سيما الأقربين إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كالأنمة الإثني عشر ، وفي مصر منهم جماعة نحو السيدة نفيسة ابنة الحسن ، ابن زيد بن الحسين بن إعلیٰ أبي طالب ، ورقية ابنة الإمام علي وسكينة أخت السيد الحسين ، وزينب ابنة السيد الحسين ، ورأس الإمام زين العابدين ، ورأس الإمام زيد ، ورأس الإمام الحسين ، ووالد السيدة نفيسة وعائشة بنت الإمام جعفر الصادق وجماعة كثيرة بالقرافة والمطلوب لكل مؤمن أن يزور هؤلاء كل قليل ، لأن فيه صفة لقربه منه صلى الله عليه وسلم ، والاعتناء بزيارة هؤلاء ، كما يعتنى بزيارة الإمام الشافعي رضي الله عنه وقد من الله تعالى على زيارة هؤلاء كل ثلاثة شهور ، وجاؤني في المنام مرات ، وشكروا من فضلي .

ورأى بعض صالحى الشام الأنمة الإثني عشر ، وهم خارجون من الشام ووجوههم كالآقمار فقال لخدمهم : إلى أين ؟ فقالوا : إلى مصر نزور عبد الوهاب ، فإنه من المحبين لأهل البيت لمنتهى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كراهة إقامتهم في هذه الدار خوفاً من عدم
القيام بأداب أهل البلاء كلما تقارب الزمان :

لكثرة ما ينزل فيه من البلاء أو من الوقوع في الآثام ، فإنها دار
إبتلاء في البدن ، والمال ، وكلها مملوءة بحقوق الله تعالى ، وحقوق عباده ،
وذلك لا يطيق غالب الناس الوفاء به .

وسمعت سيدي عليا الخواصر رحمه الله يقول :

حكم هذه الدار حكم قوم جالسون في خرابة في الحر والبرد ، وفي تلك
الخرابة سائر المؤذيات من سباع ، وتماميح ، وعقارب ، وحيات ، وكلاب
عقورة ، وغير ذلك من سائر الأعداء من الأنس والجن ، وهي مسلطة على
كل عبد أقام في تلك الخرابة ، وقد أمرهم الله تعالى بقتال جميع هذه المؤذيات
ليلاً ونهاراً لا يتهنون بأكل ولا بشرب ، ولا نوم ، فأرسل لهم الحق تعالى
رسولاً يدعوهم إلى جنته في ظل ظليل ، وفرش مرفوعه وفاكهة كثيرة
لا مقطوعة ، ولا ممنوعة ، ويستريحوا من مقاتلة هذه المؤذيات ، فأبوا ،
وقالوا : لا نخرج من هذه الخرابة ، فهم مخطئون بإجماع العقلاء ، وكل من
وزن اليوم أحواله بالكتاب ، والسنة وجدها حارجة ، وما يفعله من الأعمال
الصالحة إنما هو صالح بالإسم فقط ، فهو في أوزار يكسبها ليلاً ونهاراً ،
فيجب على العبد أن يسلم لله تعالى من حيث تقديره عليه ، وله ، ويستغفره
من حيث كسبه ، كما درج عليه السلف الصالح ، ولكن يحتاج الإنسان
إلى عيتين عين ترضى بإقامة الله تعالى له في هذه الدار ولا يطلب الانتقال
منها وعين تصلب الهروب منها كل ساعة خوفاً على نفسه من إرتكاب
الأوزار والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يقرأوا من يريد الصحبة طم على حرفته التي أقامه الله تعالى فيها بطريقه الشرعي ثم يسلكونهم وهم في حرفهم .

كما أقر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة على ما هم عليه من حين دخلوا في الإسلام ، ومن هنا كان سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول :

الكامل من يسلك الناس ، وهم في حرفهم لا من يأمرهم بترك حرفتهم ، حتى يسلكهم ، فإنه ما من أمر مشروع إلا ، ويمكن العارف أن يوصل صاحبه إلى حضرة الله تعالى منه بخلاف الأمور التي لم تشرع .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المثنى الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أنهم لا يدعون أحداً من طلبة العلم إلا إن كان يكفونه في القراءة عليهم في كل علم طلبه من آلات الشريعة .

ولأنما يرغبونه فيه ويأمرونه بالإخلاص فيه فإنه لا بد من قائم بالشريعة وحفظها عن الأندراس ، كما أنه لا بد من قائم بالطريقة ، وحفظها كذلك عن الأندراس ، فالجامع بين الطريقين على وجه القيام بهما معاً عزيز في كل عصر . فذلك كان من الآداب تسليم الفقيه للصوفي طريقة ، وتسليم الصوفي كذلك للفقيه طريقة ، حتى يغلب على الفقيه من نفسه طلب الطريق ، ومادام متعشقا لزيادة العلم ، فلا يجيب إلى طريق القوم لأن مبتاها على مخالفته النفس في سائر الحظوظ . وما كل أحد يقدر على ذلك .

ومن هنا كان من كرامة سيدي أبي العباس المرسى ، التي انفرد بها عن غالب الأوليا تسليكه لجماعة من القضاة ، فقد بلغنا أنه : سلك ثلاثين قاضيا ولم يبلغنا وقوع ذلك ، لغيره .

وقد كان يقول لسيدي يافوت العرشي : ليس الشأن أن تسلك كل يوم ألفا من العوام ، وإنما الشأن أن تسلك فقيها واحدا في مائة عام انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم رؤيتهم السكّال في شيء من مقامات إسلامهم
أو إيمانهم أو إحسانهم لاسيما في هذا الزمان الذي نقصت الأمور .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول :

كان لأهل القرن الأول كمال الإيمان .

وكان لأهل القرن الثاني كمال العلم .

وكان لأهل القرن الثالث كمال العمل ، ثم أخذت الأمور كلها في النقص

بالنسبة إلى . . . هم ، كما أشار إليه حديث « ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »
انتهى .

وسمعت سيدي محمد الشناوي يقول :

من ادعى كمال مقام الإسلام في هذا الزمان ، فهو مغرور .

ورأى فقيه مرة مناما فقصه على سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى وقال

له : قد خفت أن أكون قليل الدين فقال له : يا ولدي إن هذا يشاركك فيه
ألف من الناس .

قال : وقد كان من سنة السلف الصالح أن من شرط كمال الإسلام : أن

يسلم المسلمون من لسانه : ويده .

ومن شرط المؤمن : أن يكون الغيب عنده ، كالشهادة ، كأنه يعاين

أحوال يوم القيامة .

ومن شرط المحسن : أن يعبد الله تعالى كأنه يراه على الدوام ، فأى

شخص يدعى أنه كامل في هذه المقامات الثلاثة انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم :شدة حرصهم على فعل الآداب المحمدية التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن لهم في استنباطها من الكتاب والسنة .
ولا سيما إن كان هناك من يقتدي بهم فيها .

كما أنهم يحرصون على ترك كل ماخالف السنة ، أو آداب السلف الصالح ، وذلك كأن يكبر اللقمة ، ويتبع اللحم ، أو القلقاس من حر إلى القصعة أو ينقى الرطب ، أو العنب ، أو التين ، ويدفع لغيره الرديء ونحو ذلك سواء أكان ذلك في طعامه ، أو طعام غيره ، وسواء أكان يأكل وحده ، أو حيث يراه الناس ، فيداوم على ذلك ، حتى يصير ذلك عادة له سرا ، وجهاً ، ويتأكد على الشيخ أن يتبع السلف في ذلك ، ويصغر اللقمة ، ويطول المضغ ، ويؤثر رفيقه بكل ما يراه حسناً من الفواكه ، وغيرها ، وذلك ، ليفعل معه رفيقه الآخر مثل فعله ، فيؤثره بأطيب الطعام ، والفواكه ، وربما يقتدى به جلسه ، ومن يراه في شراهة النفس كذلك ، وإن لم يكن من عاداته الشره قبل ذلك ، فيرجع تبعه سوء الأدب في ذلك على من سبق به فإن سرقة الطبايع غالية ، فإذا سرق الإنسان ما قدام جاره من اللحم سرق الآخر ما قدامه ، وإن أثره بذلك أثره الآخر .

فليحذر الفقير من مثل ذلك كل الحذر ، ويرصى كذلك جماعته ، ويحذرهم من كثرة الأكل ، وشره النفس لئلا يلوث الناس بالخرقة والمحدثه رب العالمين .

ومن أخلاقهم: الصدق في إدعاء المقامات وعدم إدعاء مقاماً لم يبلغوه .
ولا مقاماً بلغوه ولم يرزقن لهم في إظهاره .

فإن ذلك المدعى ربما يعاقب بحرمان ما ادعاه، فلا يناله بعد ذلك أبداً،
كما جرب .

وهذا الخلق قد صار عزيزاً في هذا الزمان ، حتى أن أربعة من أهل
العصر إدعوا القطبانية الكبرى فقلت لهم :

إن القطب لا يكون إلا واحد والثلاثة منكم كاذبون، وأنتم على خلاف،
وهذا كله استهزاء بالطريق ، لعدم وجود من ينكر عليهم ، فإن الصادقين
استتروا وغير الصادقين يرفع بعضهم ، لبعض ، لعلم أحدهم بأنه إذا أنكر
على أحد أنكر الآخر أحواله وأخرجه عن الدائرة .

فحكم الظاهرين بالدعوى الكاذبة الآن حكم خلبوص المغاني إذا أخرج
يابة في صورة قاض ، أو أمير ، وغير ذلك ، فيضطك للصغار عليه .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المنن الكبرى والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أنهم لا يأمرون تلامذتهم أولا إلا بما صرح به الشريعة .

فإذا عملوا بذلك أمروهم بما استنبط منها ، وهيئات أن يعمل مرید في هذا الزمان بالمنطوق به فضلا عن المفهوم ، ثم إن الأمور التي تفرعت بالفهم من الشريعة ، قد لا يعان العبد على الوفا بها بخلاف ما أمره الشرع به ، فإنه ما أمره بشيء إلا وهو تعالى يريد إعانتة عليه إلا إن سبق له الشقا .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول لنا :

اتبعوا ، ولا تبتدعوا ، فإن الوقوف على حدود ما ورد أولى من الابتداع ، ولو استحسنته العلماء ، لأن ما استحسنتوه ، قد خلع عليه اسم البدعة على كل حال انتهى والحمد لله رب العالمين :

ومن أخلاقهم : محبة العزلة في بدايتهم وكرهاتهم للعزلة في نهايتهم .

وذلك لأن المبتدئ لضعفه أدنى شيء يشغله عن الله تعالى ، ولا هكذا المنتهى ، لأنه من حين عرف الله تعالى المعرفة المطلوبة بين القوم ، صار لا يشغله عن الله تعالى شغل .

ولا يزار الخلق من حالين إما أن يكون أحدهم : أعوج ، فيجب عليه القرب منه ، حتى يقرم سوجه .

ولما مستقيماً ، فيستفيد منه العلم ، والآدب .

وإنما لم نقل لا يخلو الخلق من ثلاثة أحوال ، ونعد منها المساوى له من الأقران ، لعلمنا بأنه ليس في الوجود شيئان متساويان من كل الوجوه وما بقي إلا الزايد أو الناقص ، فتارة يشهد الإنسان نقصاً في أخيه ، فينصحه ، وتارة يشهد فيه كمالاً .

وكان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه يقول :

المخاط للناس انصاير على أذاهم أولى وأفضل من الهارب منهم ، فربما اعتزل الناس ، وظن بنفسه السلامة من الآفات والحال بخلاف ذلك بخلاف الذي لا يخلو من عدو وحاسد يظهر فيه العجز والبجر فياً سعادة من كان له جيرانا ينكرون عليه . انتهى .

فعلم بما قرناه أنه لا يقال العزلة أفضل مطلقاً ، ولا الخلطة أفضل مطلقاً وقدما أن العارف أو آخر عمره يحن إلى العزلة ، كالبداية ، حين انتهت تربيته لأصحابه ، فلا يصير له وقت يسع الناس ، كما وقع له صلى الله عليه وسلم أو آخر عمره حين نزلت عليه سورة : إذا جاء نصر الله وفتح ، خوفاً أن يكون ذلك استدراج ، فلا يزال أحدهم خائفاً ، حتى يجاوز الصراط .

ثم بتقدير أنه لم يكن استدراجا ، فهم لا يعلمون هل فعل ذلك خير لهم ، أو تركه ، ولا هل أعظام الحق تعالى ذلك بطريق الاستحقاق كما سبق به العلم ، أو بطريق الوعد ، ولأجل يدوم ذلك معهم ، حتى يموت أو يذهب ، والعقل يفرح بشيء لا يدري هل يدوم عليه أم لا بل لا يركن إلى الاعتماد على فضل ربه تعالى ، فهو دائما مفتقر إلى الله تعالى في كل نفس ، وذلك غاية الكمال والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شهودهم بيادى الرأى أن الحق تعالى حكيم عليهم وأنه
أشفق عليهم من أنفسهم .

ولذلك تركوا التدبير معه ، ولولا ذلك المشهد ، لدبروا نفوسهم
ضرورة ،

وهذا خلق قد صار غريباً فى بعض فقرات هذا الزمان لقلة اشتغالهم
برياضة نفوسهم قبل التصدر للمشيخة ، فصار أحدهم بمجرد ما يلوح له بارقة
من أحوال الطريق يتميز بها عن العوام يجلس يعمل شيخاً ، وربما راج
أمره عند الناس أكثر من الصادقين ، كما عرفت ذلك من نفسى ، فإني أعرف
جماعة يعتقدونى ، ويرجعونى على بعض العارفين الذين لا أصلح أن أكون
مريد لهم ، ويرمون على محلاتهم ، وإذا قلت لهم : إذهبوا إلى فلان خذوا
خاطرهم لا يسمعون لقولى .

فعلم أن كل من دبر مع الله تعالى ، فهو محبوب عنه بسبعين ألف حجاب
كما أوضحنا ذلك فى كتاب المنزى الكبير والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : الصبر على الجوع والعري .

ولا يأكلون ، ولا يلبسون شيئاً بالدين كما يقع فيه أولاد المشايخ الذين لم يدخلوا تحت تربية الأشياخ فيظهر أحدهم نفسه بالكرم ولا يقوم برد نفسه عن شهواتها ، فيصير يأكل ويشرب ، ويلبس ، ويضيّف الناس وينزلق إلى الأخذ . بالدين ، حتى ترتكبه ، أرباب الديون يطالبونه ، فيستخفي ، وإن قدر أن أحد اشتكاه من بيت حاكم ، ليعطيه حقه قام عليه زبانية ذلك الشيخ ، وقالوا لصاحب الحق : استع مثلك يشكى سيدي الشيخ أما تكرمه لو الده ، ونحو ذلك ، وهذا كله خروج عن الطريق .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : إياكم أن تجيبوا نفوسكم إلى كل ما اشتت مع ضيق مكاسبكم ، فإن عاقبتكم إلى حبس الدنيا ، أو حبس الآخرة انتهى .

ويؤيد ذلك قول سفيان الثوري وما لك بن دينار :

وينبغي للمؤمن أن يصبر نفسه عند الضيق ولا يجيبها إلى كل ما تشتهى ، فإن أحدا لو أجاب نفسه إلى ذلك ، لحيف عليه أن يعمل شرطيا أو مكاسا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إقامة المعاذير للناس بطريقة الشرعى تخلفا بأخلاق الله تعالى .

فقد ورد فى الصحيح : لا أحد أكثر معاذير من الله تعالى ، انتهى .

ومن عقل العاقل أن يعذر إخوانه بما يعذر به نفسه ، فإنه ليلاً ونهاراً يود ، لنفسه الخير ، ويقع فى ضد ذلك ، مع أن نفسه أحزب الأقرين إليه .

فليوطن الفقير الصادق نفسه على سماع كل ما يكره فى حق جماعته ، أو حقه من غير أن يقابل الناس بشئ من ذلك .

وقد كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول :

كثرة الإنسياط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء ، والاتقباض عنهم مكسبة للعداوة ، فكن بين المنقبض والمنبسط انتهى .

قلت : وذلك لئلا يعرض عن الناس تكبراً ، وإنما يتبسم لأحدهم عند اللقاء ، ويخاطبه يا حبيبي . فمن فعل ذلك أحبه الناس ، ولو لم يخاطبهم .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

إذا ابتليتم بصحبه من لا غنا لكم عن صحبته ، فإنا صحوه تارة ، وسالموه تارة ، وادعوا له بالصلاح تارة واسألوا الله الخلاص من صحبته على سلامة تارة ، فلا بد لكل انسان من محب ، ومن مبغض ، ولو كان فى فضل الإمام على رضى الله عنه انتهى .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله يقول :

من طلب من الناس يسكنون فى حقه كما يريد غيبة وحضوراً ، فقد

طلب المحال ، لأن ذلك لا يصح ، لأحد من الملوك فضلا عن آحاد الناس .

وكان من قول نبي الله داود عليه الصلاة والسلام : اللهم إني أعوذ من
خليل عينه ترعاني ، وقلبه يشناني ، إن رأى خيراً أخفاه ، وإن رأى شراً
أفشاه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : مشاركة المسلمين في البلاء النازل عليهم في سائر أقطار الأرض إذا بلغهم ذلك .

عملاً بمحدث الطبراني مرفوعاً : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ، وعملاً بمحدث : « المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر » .

فلا يمسى أحدهم ، ويصبح إلا ، وبدنه ذائب ، كأنه شرب رطلا من السم ، وكيف حال من يشارك سائر المعاقبين في بيوت الحكماء في سائر أقطار ، الأرض في ضرب المقارع ، والكسارات والسلاح ، والخوزقة ، والشنكة ، وتقطيع الأيدي ، وإلباس الخوذة المحيطة على رأسه ، وذير ذلك من أنواع العقوبات وهذا أمر لا يعرفه إلا من ذاقه .

وقد وقع لي أنني شاركت مرة شخصاً عوقب في بيت الوالى بوضع الخوذة المحيطة على رأسه ، قصرت أحس بدهن رأسي سائحاً لها الجمر بين الجلد ، واللحم ، حتى إنى صرت أمسح الدهن عن خدي أحسب أنه خرج إلى ظاهر الجسد . فما كنت إلا هلكت ، وشاركت مرة امرأة في الولادة لما تعمزت عليها ، فصرت أطلق ، وكان في مقعدتى قنطار حديد يريد أن يخرج فما كنت إلا أشرفت على الهلاك ، ولى في هذا الأمر وقائع كثيرة ، وهذا الأمر ما رأيت له فاعلاً بعد سيدى على الخواص رحمه الله تعالى إلا قليلاً ، وهو علامة على كمال الايمان والحمد لله الذى حصل لنا منه نصيب

وقد وقع للشيخ على مرة أنه مكث من بكرة النهار إلى المغرب لم يأتته خبر بأن أحداً في ذلك النهار فقال : الحمد لله ، فدخل عليه شخص بعد الغروب فقال : إن حمارتى ولدت ولداً بلا ذنب ، ولا آذان ، فصار يدور في البيت إلى الصباح ، ويقول . إذا وحل هذا الجحش يسحبونه من الوحل بأى شيء رضى الله تعالى عنه

وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : كل فقير أكل أو شرب
أو جامع أو ضحك ونزل البلاء بأحد من المسلمين من غير ضرورة
شرعية ، فهو ناقص الايمان ولا يقدم ما هو مفروض في حق الله تعالى ، فإن من
شرط الشيخ أن يصل إلى مقام الاحسان ، ويترقى فيه إلى مقام الإيمان ،
وقد ذكرنا في كتاب المفاهيم والآثر شروط من تحمل البلاء عن الناس ،
فراجعها والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : مساعدة الناس في بلادهم وأغريها في حفظ أمانهم
من براري وقفار وبحار ومدائن وجبال

فيطوف أحدهم بقلبه سائر أقطار الأرض في نحو ثلاث درج

ويقع لي بحمد الله تعالى أنني أطوف مداين الأرض ، وقراها بقلبي في
مقدار درجة رمل ، ولا ينبغي لأحد استبعاد ذلك لأنه أولا بإقرار الله
تعالى للعبد لا مستقلا ، وثانيا لأنه بالروح ، والأرواح لها سرعة السير ،
فربما صعدت للعرش في مقدار لحظة ، ونزلت للأرض السابعة كذلك في
مقدار لحظة .

ووقع لي مرة مثل ذلك مع الشيخ أحمد السطيج ، فبينما هو يكلمني إذ
سقطت للبهوت ، فرأيت قدمي على قحف الحوت فقال لي . فررا : أبعدت
عني قري ، وكان من أهل الكشف ، ومرة أخرى كلمني في حاجة . فرأيت
نفسى على أبواب السكينة فقال : إنزل المأثم . وادع لي

فلم أن مثل ذلك يكون للفقراء بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه
وسلم في المقيلة لما أسرى به إلى السماء ، وإن تفاوت المقام ، فإنه صعد إلى
العرش ، ونزل في لحظة ، والله على كل شيء قدير ، ويحتاج صاحب هذا
المقام إلى صفاء عظيم ، ولا يكون في قلبه تكدير بحال من الأحوال ،
وربما أعطى الله تعالى هذا المقام لبعض الفقراء من غير طواف بل يرتسم
الوجود كله في قلبه فيراه من قلبه

وايضاح ذلك أن القلب إذا انجلى صار كالمرآة الكرة ، فإذا قابلها
بالعالم العلوي ، والسفلي ارتسم كله فيها ، وإن كان جرمها صغيرا ، فالمدار على
صحة البصر ، وقرته ، أو ضعفه كما أوضحنا ذلك في كتاب المنن الكبرى
في الباب الثاني فيها

وقد ورد على شخص من أرض الحبشة . فأخبرته بالزقاق الذى فيه داره ، وبالشجرة النبق التى فى دار جاره . وبالكنيسة التى فى أطراف الزقاق ، فصدقنى على ذلك ، فعرفت صدق طوافى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : استئذانهم لأصحاب النوبة كلما خرجوا من دارهم لسفر أو غيره وكما دخلوا دارهم من سفر أو غيره

لأنهم حفاظ . الأرض بإذن الله تعالى . وحكامها ويحبون من يراعى معهم الأدب فلا يبلغ أحد منهم القلعة مثلاً في شفاعته ، حتى يستأذن أصحاب النوبة وهو على عتبة الباب الأول من القلعة أو بيت الأمير مثلاً فنراعى ذلك الأدب معهم قضيت حاجته إن شاء الله تعالى ، ورجع سالماً من الآفات

وإيضاح ذلك أنه لا يسلم بيت حاكم من سلطان أو أمير من واحد أو جماعة تكون فيه ، ويكون حكم ذلك السامان أو ذلك الأمير تبعاً لحكم أصحاب النوبة ، وهذا الأمر لا يعرفه كل فقير ، وإنما هو لأفراد من أهل الطريق بل بعضهم أنكر وجود أصحاب النوبة أصلاً ، ومن شأنهم الإطّلاع على أسرار العباد وما يفعلونه في قصور بيوتهم بإذن الله تعالى ، ويحبون من كل من مشى في دركهم أن يكونوا على طهارة ، وأن لا يكون قلبه غافلاً عن الله تعالى

وقد أخرجت مرة ربحاً وأنا ماشى في مصر العتيقة ، فناداني شخص منهم كان يحملك السدود وما كان لنا حاجة في مشيك فودركننا إلا أن نفسوا فيه فمن ذلك اليوم ما مشيت في شوارع مصر الا متوضئاً ، وإذا اضطررتي الأمر إلى إخراج ربح استأذنت صاحب الخط فيه .

ووقع لي أيضاً تجارة البيمارستان بمصر أنى أحسست تمساحاً طلب يبلعني ، وأنا ماشى ، فقامت كل شعرة في جسدي من الرعب ، فالتفت ورأيت ، فإذا بشخص من أرباب الإدراك مخلوق اللحية أحمر العينين ، فقال لي مشافهة : لا تعد تمشي في دركي غافلاً عن ذكر الله تعالى أبداً ، فقالت : سمعاً وطاعة ، ومن ذلك اليوم وأنا كلما مررت من ذلك المكان آخذ حذري من الغفلة فيه

فاعلم ذلك ، واعمل به والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : كثرة توجيه كلام الأئمة والفقهاء والصوفية وغيرهم وحمل كلامهم على أحسن الأحوال ولا يبادرون لتخطئة أحد بنير دليل صريح
وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول :

ليس الفقير من يرد كلام الناس ، وإنما الفقير من يبحث على منازع
أقوالهم ، وينظر من أين أخذوا ذلك الكلام ، وبين هل يثر ذلك في
سعادتهم ، أولا يثر هذا حظهم رضى الله تعالى عنهم والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : أن يعبدوا الله تعالى إمتثالاً لأمر الله تعالى في مجالسته
في تلك العبادة

لا رغبة في الثواب ولا خوفاً من العقاب ، السوء ، أو أجره السوء ،
فإن لم يتيسر له ذلك فليستغفر الله من حيث قصده هو ، ويسأله الصفح عنه
وقد قال الله تعالى في بعض كتبه : ومن أظلم ممن عبدني لجنتي ، أو ناري
لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلاً لأن أطاع انتهى

وهو مقام يصله المرید فی بداية الطريق والله أعلم

وليس ذلك من مقام الخواص كما يتوهمه من لم يسلك الطريق لكن
لا يخفى أن في ذلك إظهار الغنى عن فضل الله تعالى في الصورة وكذلك كان
من مقام خواص الخواص . أن يطلبوا من الله الأجر والثواب من باب
المنة ، والفضل لا بحكم الاستحقاق ، ليخرجوا بذلك عن صورة الغنى من
فضل الله ، تعالى ، ويدخل في مقام الفقر والذل ، والحاجة بين يديه عز وجل
فصورته صورة المبتدئين ، والقصد مختلف والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم طلب أحدهم مقاما عند الخلق

وإنما يطلبون المقام عند ربهم تعالى فقط سراة أكان مشهد أحدهم معيه الحق تعالى ، مع الخلق أم لا إتهاما لنفسه أن يغلب عليهم مراعاة الخلق .

فإن من طلب المقام عند الخلق فن لازمه محبة الريا له ، والتفرة من كل ما يهضم مقامه عندهم لكن يستثنى من طلب التعظيم عند الخلق ، لغرض شرعى كمن يقول لمن سأله فى قضاء حاجة عند أمير ، فكبى ، وعظمتى عند الأمير قبل أن أحضر إذا كان ذلك الأمير لا يعرف مرتبة الشافع ، فإن ذلك غرض صحيح وفعله سيدى أحمد وغيره والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : الشفقة على السلطان وولاية الأمور

فيودون أن لو كان مع أحدهم جبل من ذهب ، وساعد به السلطان على نفقة المجاهدين ، والمسافرين في التجاريد ولو عرضوا على أحدهم أن يعملوا لله مرتبا من بيت مال المسلمين أو مسموحا أو جوالا لا يقبل ذلك ويقول : مال بيت المسلمين إنما هو معد لانفاقه على ما فيه نفع للمسلمين كمن يسافر في التجاريد ، ويحمي بيضة الإسلام أو من يسلك طريق القوم ، وليس له ما يكفيه ،

وأنا بحمد الله مكنتي وليس في جمعتي أى مال إلا وجعلته في نفع المسلمين فقد اخترت أن يكون أجرى على الله تعالى

ولم أطلب من أحد الأمراء بمصر أن يجعل لى مسموحا أو جوالا أو مرتبا وقد رأيت بعض المشايخ يرفض أن يأخذ مرتبا إلى أن مات ، وهكذا كان السلف الصالح ، وأما من يطلب من الحكام أن يجعلوا له مسموحا أو جوالا مع وجدان الحرقة والكسرة ، فهو دنياوى لم يشم من طريق القوم رائحة .

وقد سمعت بعض الولاة يقول: نحن لا نعتقد إلا من يتعفف عن ما بأيدينا
وأما من يسألنا الدنيا ، فلا نعتقدده ، وسيأتي في الباب الحادى عشر أن الولاة
ما أعطوا فقيرا شيئا إلا بعد زهدهم فيه ، فكيف يليق بالفقير أن يقبل
ما زهد الولاة فيه ، ويكون أقل ورعاً منه ، فلا نقبل يده فإنه نصاب والحمد
الله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم قبول هدايا الكشاف ومشايخ العرب وكل من لا يتورع في مكسبه وعدم الأكل من ذلك

هذا إذا جاءهم بغير سؤال فكيف بمن يسأل الولاية في ذلك بنفسه ، أو قاصده تعريضا ، أو تصریحا ، وفي ردهم ذلك فوائدها عدم الركون إلى الظلمة ، فإن من قبل هداياهم ، وأكل من طعامهم ركن إليهم ضرورة ، (فوقع في التهمي) وعرض نفسه بأن تمسه النار كما قال الله تعالى «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون» وهذه الآية ، وإن كانت وردت في الكفار ، فإنها تشمل من ظلم أحدا من المسلمين ، ومنها عدم انتفاع الولاية بانفقر لأنه إذا قبل هديتهم ، صار معدودا من عائلتهم واستأ نوابه ، ولم يقبلوا له شفاعة ، لعدم استحقاقه لذلك .

وأیضا فإن باطنه قد تلطخ بطعامهم المختلط بالحرام والشبهات ، وذلك يحجب العبد عن ربه ، فلا يصير يقدر على أن يحمل شيئا من البلايا النازلة بهم إذا سألوه في ذلك .

ومنها فتح باب غيبة الناس فيه بقولهم كيف يكون هذا صالحا ، وهو يأكل طعام الظلمة ، فيقل الناس إعتقادهم في أقرانه ، ولو كانوا محظوظين من مثل ذلك .

وقد قال معروف الكرخي يوما لأصحابه : اشتبهت أن أموت ببلد غير بغداد ، فقالوا له . كيف ؟ فقال : خوفا أن لا يقبلني قبري فأفتضح ويسئ الناس ظنهم بأقراني من الفقرا .

فلم أن كل فقير أكل من طعام ظالم وقبل منه مرتبا أو معلوما ، فهو شيطان ، ولو كان له شعرة ، وعمامة ، وعذبة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : جعلهم الحظ الأوفر لكل من عاجلهم يبيع أو يشرا
أو استئجار رزقة أو معصرة أو مركب وذلك هروبا من تحمل منه
الخلق عليهم .

فإن باعوا شيئا أسقطوا عن المشتري شيئا من الثمن لاسيما إن كان
الآخر يتجر فيه ، وإن اشتروا شيئا يزيدونه عن الثمن الواقع ، ويسأحوته
به ، وإن أجر وارضقتهم يؤجرونها بأنتص الأجر ، وكذلك القول في إجارة
المعصرة ، والمركب عن الانتفاع بها لعدم الحب الذي يعصره أو لعدم
من يسافر في المركب لا يأخذون لذلك أجرة .

وقد فعلت أنا مثل ذلك في رزقتي ، ومعصرتي ، ومركبي ، ولم أجد
لذلك فاعلا من أقراني غيري إلا قليلا ؛ ولذلك لا أقبل شيئا من الأجرة
التي يدفعها المستأجر قبل الانتفاع بتلك المركب ، أو المعصرة ، أو الرزقة
مثلا لأنه ربما مات قبل انتفاعه أو مت أنا قبل ذلك ، فتقع الخصومة بين
ورثته وورثتي ، وكذلك لأضع في عيني لبن امرأة لجنينية إذا رمدت إلا
إن وزنت لها ثمن ذلك اللبن لما فيه من راحة استلاب حق الولد لاسيما
إن كانت ترضع بأجرة ، أو كان لبنها قليلا .

فعلم أن كل فقير طلب الحظ الأوفر لنفسه فهو يتجر في الدنيا دون
الآخرة ، والفقراء إنما دخلوا هذه الدار ليتجروا في أعمال الآخرة في
كل شيء يتقلبون فيه فالحمد لله رب العالمين .

ومن اخلاقهم : عدم قبول هدية على سؤلهم ربهـم في قضاء حاجة فقضيـت .

وقد أرسل بعض قضاة المساكر مالا له صورة لأدعوا الولده أيام انفصل فرددته وقلت ، لقاصده الا يخلوا إما أن يكون قد سبق في علم الله موت ولده ، فعلى أى شيء آخذ ماله ، وإما أن لا يكون سبق في علم الله موت ولده ، فما فعلت شيئا أستحق به مالا ، والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : التخلق بالشفقة والرحمة على المحترفة ووزنهم ثمن السلعة التي يشترونها منهم من قماش أو سمن أو جبن ونحو ذلك .

لا سيما إن كانت السلعة سالمة من الغش ؛ فكل ما اتفقنا بالبضاعة الجيدة كذلك ننفعه بالثمن ذلوفى ، ونزيده على ثمن سلعة الغشاش ، ولو طلب هو منا مثل ثمن سلعة الغشاش لانجيبة بل نزيده عملا بالعدل ، والانصاف .

وهذا ما درج عليه أشياخنا رضى الله عنهم فاعلم ذلك واعمل به والحمد رب العالمين .

ومن أخلاقهم : زيادة التورع في شهر رمضان على غيره من الأوقاف
فلا يفطرون فيه عند مكاس ، ولا ظالم ، ولا عند من في ماله شبهة .

وقد عملوا على حيلة في إفطاري عند مباشر من مباشرى الديوان ،
فأكلت عنده ثلاث لقم بورقة جفل فقط ، فتمت تلك الليلة ، فرأيت القيامة ،
قد قامت ، وماك من الملائكة يقول لى : استعد لمن يجاذبك على الصراط
لأجل الثلاث لقم التى أكلتها في رمضان عند فلان ، فاستيقظت مرعوبا فعالجت
نفسى أن اخرجها بالقىء من بطنى ، فلم أقدر فأنا مستغفر منها إلى
وقتي هذا

فعلم أن كل من ادعى الولاية ، وأكل عند الظلمة في رمضان ، أو
غيره . وقال : أنا بجر لانكدره الدلاء ، فهو كذاب نصابه .

وقد أجمع القرم على أن اللقمة التى للشرع عليها إعتراض تؤثر في
القطب ، فكيف بغيره والحمد رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يفرقوا ما دخل في يدهم على مستحقه من نقود وثياب وطعام وغير ذلك .

وهو خلق غريب لا يصح إلا لمن أحكم مقام الزهد في الدنيا بحيث صار ينقبض للدنيا إذا دخلت عليه وينشرح لها إذا تحولت عنه .

وقد أعطاني الله تعالى ذلك من حين كنت أمرد فلا أبق من ثيابي ، ولا طعامي ؛ ولا مالي إلا لغرض شرعي تخلقا بأخلاق الله تعالى ؛ فإن من أسمائه تعالى المانع ؛ فيمنع من بشاء من عباده بحكمة لا يبخل تعالى الله عن ذلك .

وقد دخل يدي مرة مائة دينار ذهباً ؛ وأنا صغير ففرقتها على الحاضرين ؛ ولم أبق لنفسى منها درهما واحداً مع أنه لم يكن عندي ذلك الوقت رغيف لأثمنه فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم قبول وصية أو وصى لهم بها أحد ؛ ولو كان مكسبه حلالا

وذلك لأن جميع ورثة ذلك الميت ناظرون إلى ذلك المال غالبا لاسيما إن كانت الوصية لاحد بمال عظيم نحو الثلث ، فإن الورثة يتكبدون من مثل ذلك أشد التكدر لأنهم يريدون أن يأخذونه كاملا ؛ ولا يشاركون فيه أحد .

فلأجل تلك المزاحمة الباطنة تركوا قبول الوصايا لالعة أخرى .

وقد أوصى لى قاضى اسكندرية شمس الدين بن محاسن بثلث ماله ، وكان أربعة الاف دينار ، ووصلت إلى ، فرددتها من أجل نظر ورثته إليها . ولأجل كون ذلك مال قاض لالعة أخرى .

وهذا خلق لم أجده فاعلا من أهل عصرى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا رأوا في حارتهم منكر ، وعجزوا عن رد أصحابه عنه فإنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء لهم بالتوبة .

وتحويطهم بالآيات والأذكار خوفاً أن ينزل عليهم بلاء ، وهم غافلون في لهرهم ، ولعبهم ؛ فيعم فاعل المنكر ؛ ومن سكنت عليه من أهل الحارة وقد سكن بجوارنا نساء من بنات الخطامرة ، فكنت أحورطهم بالقرآن ليلاً ينزل علينا وعليهم البلاء إلى الفجر ، حتى رحلت وقد عمل المحبطون بجانب دارنا ليلة في الخليج ؛ فسهرت أحورطهم إلى الصباح لم يأخذني نوم وذلك لما جبل الله تعالى الفقراء عليه من الشفقة ، والرحمة على جميع خلق الله تعالى .

وربما كان المحبطون ، والسامعون لا يعدون ذلك ذنباً .

وأخبرني سيدي على الخواص رحمه الله تعالى : إن الله تعالى رجلاً لا يفارقون معاني العرب ، ومواضع الظلم ، والمكوس والمعاصي يبتهلون إلى الله تعالى في عدم نزول البلاء عليهم ؛ ويقولون . يارب إنهم من جملة عبيدك قال ولولا ذلك لربما خسف الله تعالى بهم الأرض .

فيايك يا أخي والمبادرة إلى الإنكار على من تراه من الفقراء يسمع المحبطين أو حاضرا عندهم ربما كان من هؤلاء الرجال الذين يشفعون عند الله تعالى في أهل المعاصي في دار الدنيا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إقامة العذر لزوجتهم في شدة الغيرة إذا تزوجوا عليها .

ولا يطالبونهم بالصبر كما تقدم بيانه مرارا فإن في الحديث إن المرأة المغيرة لا تبصر السماء من الأرض انتهى .

وقد أبصرت عائشة يوما سورة ، ومعها إناء فيه طعام جاءت به ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت ، وكسرت به بحجر ، فطار ما فيه في الأرض ، فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمعه من الأرض في الإناء ، فاعلم ذلك ، والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : غلبة الحياء من الله تعالى ومن خلقه .

حتى يستحي أحدهم أن يظهر وجهه ولذلك يرخون على عمايمهم في جل الأوقات لأجل ذلك ولكف بصرهم فضول النظر ، ويرخون الظيلسان حياء من الله تعالى .

وتقدم أن أول من ضرب الحياء في الطريق الإمام عثمان بن عفان ، وقال لخدمته :

استروني ، فإني استحي من رؤيتهم لي .

وسمعت سيدي محمد بن عثمان رحمه الله يقول :

الفقير كالمرأة المخدرة لا تكاد تسكشف من يدها ما يكشفه غيرها من النساء .

وكان يقول :

ينبغي للفقير أن لا يغتسل إلا في ثوب خلق كما يفعل بالميت قال : ومن هنا عمل أهل الأدب لهم طوقا يستر عنقهم ، وأدمنوا لبس الخنف ، حتى لا تظهر أقدامهم ، وضيقوا الأكمام ، حتى لا يظهر عن ذراعهم شيء .

فإياك أن تعترض علي من رأيت يرخي الظيلسان وتقول . إنه ينمشيح ، فربما كان سبب ذلك الحياء كما ذكرنا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم الأكل من ضيافته الوقف الذي تحت نظرهم ولو جعل لهم ذلك .

إلا إن علموا طيبة نفس الفلاح بها وإن شكوا في ذلك تركوا الأكل منها ، وذلك لضيق حال الفلاحين في هذا الزمان ، وكثرة المغارم التي عليهم من الكشاف ومشايخ العرب ، والعصاه ، وغيرهم ، وما جعل الناس الضيافة من قديم الزمان إلا لما كانوا يجدونه من الراحة من جهة أستاذهم من مساعدتهم لبعض الخراج ، وكسوتهم ، وكسوه نساءهم ، وضيافتهم وبطبيخ الحلوى ، والأرز المنقفل ، ويمدون تلك الأيام أيام عيد ، وهذا أمر قد تودع منه مابقيت الدنيا .

ومن جملة نعم الله تعالى أن ضيافته الفلاحين لا تقيم في بادئ أبدا لو عملوها بغير علمي لاسيا الأوز ، فإنه إنما تربيته نساء الفلاحين . فيصير مذموما من وجهين كونه من كسب النساء ، وكونه بغير مقابل من الاستاذ .

وهذا خلق لم أجده فاعلا من أهل عصرى إلا القليل بل رأيت بعضهم أتاه الفلاح بالضيافة فرأى فيها أوزة صغيرة . فردها على الفلاح ، فقال : إنها وزه يتيم ، فقال : اقل لولى اليتيم يبدلها لنا . وردها إلى بلاد الريف ، فالضيافة وإن كانت حلا لآلنا من جهة شرط الواقف قلنا : ترك أخذها وترك الأكل من طعامها أولى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا كانت تحت نظرهم وقف من الأوقاف فأسكنوا بيوتهم أو زرعوا رزقة من رزقه أن يعط كل ذي حق حقه .
ومن مال الوقف .

فإن زرع في أرض الوقف وبارك الله تعالى تلك السنة في قحها مثلا ، حتى صار الخراج قليلا عادة ، فمن الورع أن يزيد في الخراج ليشارك عادة الزرع

وإن كان لهم رزقة ، وأجروها ، وهافت قحها ، وأكلته الدودة مثلا ، فمن الورع إسقاط الخراج كله ، أو بقدر ما هافت ، أو أكلت الدودة .
وقد عملت بهذا الخلق في رزقتي مرات فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا دفع لهم أحد خراج رزقتهم .

مثل ضريبة خراج السلطان زيادة على خراج الرزق عادة فمن الأدب السلطان رد ما زاده الفلاح . ولو أن الفلاح قال لهم خاطري بذلك طيب اعتقادا فيهم يقولون له : نحن خاطرنا بذلك ما هو طيب .

وقد فعلت أنا في رزقي ذلك مرات أدبا مع السلطان ، وإن كان السلطان لا يعلم مني ذلك .

فليحذر الفقير في هذا الزمان من أن يزرع في حياض الوقف الذين هو تحت نظره بأنقص من اجرة المثل ويخاصم المستحقين ، فإنه يخرج بذلك عن طريق القوم ، وعن العرف .

وكذلك الحذر من تسخير الفلاحين في حرث زرع أو حصاده مثلا تشبها بالولاية ، والملتزمين ، فإن ذلك خروج عن أدب الدين وربما قالوا لسيدى الشيخ : خاطرنا بذلك طيب ، والقراين تعاضى أنهم ما فعلوا ذلك إلا خوفا من مباشرى الشيخ أو الجابى أن يغزهم الشيخ على عمل حسابه بالمقلوب ، فيغرموه ما لا يطيق فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا أكلوا رطباً أو بسر أو تينا أو عنباً .

أن يبدأ كل واحد منهم بأكل الحامض ، أو العفن مثلاً إشاراً لبعضهم بعضاً فيفضل أطيب الفاكهة آخر أكلهم ومتى أكلوا ، وفضل خبث الفاكهة فهو دليل على أن أحداً منهم لم يشم لطريق الفقراء رايحة ، فامتحن بذلك من يدعى الفقير فإنه ربما يأكل الطيب ويعزم على غيره بفضل الخبيث ويكبحون .

وقد أكل سيدى محمد بن عثمان والشيخ محمد المنير والشيخ محمد ابن داود رطباً في الليل ، فعدوا نواغم فلم يزد واحد نظراً لكرامتهم لقبول الصدقة أو الهدية ، أو أكلهم منها إذا علموا أن هناك من جيران وأهل المهدى وجارته من هو أخرج إلى ذلك منهم وخوفاً من مخالفة السنة ، ونقص الأجر ، لأن الشارع صلى الله عليه وسلم أمره أن يبدأ بالأقرب والأحوج ، فالأحوج فكما قصد المتصدق نفعا بصدقته أو هديته ، فكذلك ينبغى لنا نفعه بإرشاده لفعل السنة ، وإلى ما فيه كمال الأجر .

ثم إذا قبلنا شيئاً بشرطه لا نقبله إلا على نية نفع ذلك الشخص أولاً ، ونجعل نفعا بحكم التبع لا بانقصد الأول .

وقد رددت بحمد الله تعالى كثيراً من الذهب والفضة خوفاً من تعد المهدى جيرانه ، أو المحاجر في جارته ، ودفعها إلى ولم أجد لذلك فاعلاً من أقرانى إلى وقتى هذا إلا القليل فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كراهتهم لإقامة شيء من محبوبات الدنيا وشهواتها في قلوبهم ،

سواء أكان ذلك المحبوب ولداً أو زوجة ، أو مالا أو طعاماً أو ثياباً ، ونحو ذلك .

ومتى أقام ذلك في قلوبهم لحظه بادروا إلى التوبة والاستغفار ، فلا يدعون شيئاً يقيم عندهم إلا بقدر تحققهم بقبول ذلك من فضل الله تعالى ، ثم يخرجونه من قلوبهم أسرع من ملح البصر .

ثم إذا بلغ أحدهم مبلغ الرجال خرج من قلبه حب كل شهوة في الدنيا ، ورأى نفسه عبداً يأكل من مال سيده ، ويلبس منه ، ويسكن داره وليس معه ملك في الدارين .

فالحمد لله الذي حققنا بذلك ، ولذلك كنت أرد الذهب والفضة إذا أعطاهما لي أحد بسهولة ، ولو أن مولانا السلطان رسم لي بألف دينار مثلاً ، فصدتها عنى شخص من الحسدة ، وحال بيني وبينها فرحت لذلك ، لأنى أغار على الحق تعالى أن أملك معه شيئاً ، ولو بقدر وقت القبول فقط ، وأرى فراغ اليد من ذلك أفضل ، وكلما جزوتى عن الدنيا ، وملايسها ، ومطاعها كلما إزددت فرحاً ، وسروراً .

وهذا خلق لم أجده فاعلاً من أقرانى إلا القليل ، وعليه درج كمل الأنبياء ، وأتباعهم ، وقد نقل الشيخ محي الدين الإجماع من أهل كل ملة ونحلة على أن فراغ اليد من الدنيا ، وإخراج ما كان بيده منها أفضل عند الله تعالى فالحمد لله رب العالمين ،

ومن أخلاقهم : إضافة أفعال العباد المذمومة إلى إبليس يبادى الرأى لا إلى
الفاعلين لتلك المعصية مثلا .

خوفا أن يقع لهم إزدراء لا أحد من الخلق ، وإيضاح ذلك أنه لا يقع
أحد في معصية الأبوسوسة إبليس بإضافة الفعل إليه أولى لأنه منديل الدار
لا تمسح فيه أوساخ النسا ، وإن كان ليس له من الأمر شيء .

وهذا خلق غريب في غالب الناس لا يكاد يوجد وأكثرهم يضيف الفعل
المذموم إلى الخلق يبادى الرأى ، فيحتقرون العصاه ، ويزدرونهم ،
ولا يكادون يقيمون لهم عذرا في الباطن والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم مبادرتهم إلى سوء الظن بأحد من المسلمين .

وكثره سترهم لعوراتهم التي شهدوا منهم وتحققوا فعل ذلك منهم جازاهم الله تعالى بنظير فعلهم ، فمن أساء الظن بأحد أساء الله به الظن ، ومن أكثر من ستر عوراتهم ستر الله غوريته والعكس بالعكس .

واعلم يا أخى أن أحد الایـل إلى مقام حسن الظن بالناس إلا إن كان باطنه مطهرا من سائر الرذائل إما بالفطرة ، وإما بالعلاج والرياضة ، وما دام فيه شيء من الرذائل فمن لازمه غالبا سوء الظن قياساً على نفسه .

وتأمل يا أخى من خلقه الله تعالى عنيذنا لاقوة له في الجماع لو رأى رجلا يكلم امرأة في طريق مثلاً لا يسيء به الظن أبداً قياساً على حاله هو بخلاف من كانت الشهوة غالبة عليه ولا يترك الزنا إلا عجزاً فإنه يظن بذلك الرجل السوء قياساً على نفسه .

فعلم أن من أدعى الإصلاح ، وأساء الظن بمسلم ، فهو لإخلال في كمال الإصلاح ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في اليهود والمحدثه رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم مطالبتهم بالوفاء بعهودهم التي يأخذونها على الناس
بسلوك الأدب معهم مثلاً لقضاء حوائجهم .

وعدم بدأتهم بالمسئال ، ونحو ذلك وإنما يطلبون منهم القيام بعهود رسله
قياماً بواجب حق الربوبية .

فإن وفاء الحق بعهود عباده إنما هي تبع لوفائهم بحقوق ربهم ، فمن أثر
القوم مثلاً على عبادة ربه ، فما وفى بعهده ، فلا يعينه الحق على الوفاء بما وعد
به الناس جزاء وفاها انتهى .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المنن ، والأخلاق فعلم أن من
أعظم أخلاق القوم مساعدتهم بحقوقهم . وعدم مساعدتهم في حقوق الله تعالى
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : محبتهم لكل شيء ينكس رؤوسهم في الدنيا ويزيل عنهم العجب والكبر .

أما في الطاعات فظاهر وأما في غيرها فيرضون بتقدير الله تعالى عليهم ، ويستخطون على نفوسهم من حيث كسبها تلك المعصية

وكان بعضهم يقول في دعائه : اللهم أغفر لي ما جنته من حيث كسبي ، وأما من حيث تقديرك علي ، فأسألك التدبير فيه ، واللطف وفي كلام ابن عطاء الله رحمه الله تعالى : معصية أوردت ذلا وانكسارا خير من طاعة أوردت عزاء واستكبارا يعني من حيث الأثر لا من حيث الأصل فافهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة شكرهم لله تعالى إذا لم يجدوا لذة في قيام الليل .
أو غيره من العبادات .

خوفاً أن يكون الباعث لهم على تلك الطاعة ما يجدونه فيها من اللذة
دون أن يكون الباعث لهم إمتثال أمر الله تعالى وبجاسته ، لأن العبادات
من حيث هي تكليف لالذة فيها إذ لا يجانسة بين العبد . وبين الله تعالى بوجه
من الوجوه

وقد كان في بني اسرائيل عابد يقال له أبرخا كان لا ينام الليل ، فأوحى
الله تعالى الى السيد داود عليه الصلاة والسلام نعم العبد أبرخا لو كان يقوم
بين يدي ربه خالصاً ، وإنما يقوم لما يجده في نفسه من الأنس لالحبة في انتهى

وأما ماورد في الآخرة من وقوع اللذة برؤية الله تعالى ، فهي لذة غير
مكيفة لا تتعقلها الان والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : الخشوع في الصلاة وقراءة القرآن لأنهم في حضرة
الله تعالى .

فلا يكاد أحد من أهل الحضرة ينطق لغلبة الهيبة عليه
فعلم أن الجهر القوي مع الحضور مع الله تعالى للأقوياء من الأولياء
بطريقه الشرعي والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شهود الريا في جميع أعمالهم ، ولا يرون أنهم أخلصوا
لله تعالى في عمل من الأعمال

وفي رسالة الشيخ رسلان الدمشقي كلك شرك خفي

وفي كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه :

إذا كان من يعمل على الوفاق لا يسلم من النفاق ، فكيف بمن يعمل
على الخلاف .

وفي كلام الفضيل ابن عياض :

متى شهدوا في أعمالهم الإخلاص إحتاج إخلصهم إلى إخلاص

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المنز الكبري والحمد لله رب
العالمين .

ومن أخلاقهم : أيضا لا يبادروا بالرقّة والرحمة على من رأوه عريانا أو جيعانا بل ينظرون أولا إلى حكمة فعل الله معه ذلك

فإنه حكيم عليم ، ثم بعد ذلك يرقون له ، ويسعون في إزالة عريه ، أو جوعه ، فإن الله تعالى أرحم بعبده من والدته والام لا تشك الدبا . بالابرة مثلا الا لمصلحة أعظم من غرز الابرة فيه

وقد مر الشيخ وياقوت العرشي على جماعة من المساكين يسألون للناس ، فبادر إلى الرقة عليهم ، فسمع قائل يقول :

لا الله أرحم بهم منك ، ولو شاء لأشبعهم ، فتب من ذلك . وتأدب مع الله تعالى انتهى

وأعلم يا أخى أنه لا بد لأهل الله تعالى من المحن ، والشدائد . ليتبين لهم صدقهم مع الله تعالى ، أو كذبهم ، فإن ثبتهم الله تعالى خرجوا ذهباً خالصاً وإلا خرجوا نحاساً

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

للرحمة حد فاذا أمره الله بذبح ضحيته ، فليقدم أمر الله تعالى على رحمتها وعدم ذبحها والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة قربهم الباطن من سيدنا رسول الله صل الله عليه وسلم في غالب أوقاتهم

فتطوى لهم المسافات بينهم وبينه نحو ذراع ، ويخاطبونه ويسألونه في الفقه والغامض من الأحاديث كما مر بيانه في أوائل هذا الكتاب

وكان بعضهم يقول :

لو احتجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه عين ما عدت نفسي من جملة المسلمين انتهى .

كل ذلك لهم من طريق الكشف لكن يجب عرض ذلك العلم الذي حصلوه من طريق كشفهم على الكتاب ، والسنة ، ولا يجوز العمل به إلا بعد عرضه عليهما ، لأنه ربما حصل للكاشف تلبس في كشفه من إبليس ، والا فالكشف الصحيح لا يأتي قط إلا موافقا للكتاب والسنة ، لأنه إخبار بالأمور على ما هي عليه في نفسه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: تعويلهم في جميع مهماتهم في الدنيا والآخرة على الله تعالى
ثم على رسوله صلى الله عليه وسلم دون بقية الخلق .

وذلك لأن الله تعالى بيده ملكوت كل شيء ، وما ثم واسطة من الخلق
أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن الأدب أن لا يسأله أن يشفع لنا عند
الله تعالى في جميع ما نطلبه من خيرى الدنيا والآخرة ، لكنه صلى الله عليه
وسلم أعلم الخلق بالآداب المتعلقة بالله تعالى ، ومثلنا جاهل بالآداب مع
بعض العبيد ، فكيف بالآداب مع رب الأرباب

وكان سيدى علي الخواص إذا كان له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاجة يسأل فيها أبو بكر الصديق يسأل له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها ، فإن لم يجبه سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فإن لم يجبه سأل الحسن
والحسين قلت : وإنما خص أبو بكر وعمر لأنهما ضجيعاه وأما الحسن
والحسين فلكونهما بضعة منه والله أعلم

وكان رضى الله عنه يتوجه بقلبه إلى أحدهم : ويعتقد أنه يسمعه ، فإن
أحد هؤلاء الصحابة أعظم من سائر أشياخ الطريق وإذا كان الشيخ يحجب
مريده وبينه وبينه سفر سنة ، فأكثر . فالإمام أبو بكر أو الحسن مثلاً أرانى
بذلك والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : إذا كان أحدهم يتردد في علوم القوم ودخل عليه فقيه لا يغفل له قرووا أنتم للفقرا إلا إن علم منه أن له إلما ما بطريق القوم .

لئلا يقرر للمريدين حرمة طريق القوم ، فيردون عليه ، فيفتضح ، أو يجادلهم بغير علم ويمزق كتبهم وعلومهم ومن أخلاقهم أن لا يقولوا لفقيه مصلح القوم إلا إن علموا بالقراين أن ذلك لا يورث عنده عجب وذلك يكون منهم خوفا عليه ورحمة به .

وقد دخل شخص على سيدى أبو العباس المرمى رحمه الله ، فصار يزاحم الشيخ في درسه ويحاول أن يجادله ويرد على الشيخ .

فقال له الشيخ : أخرج ياءمقوت ، فخرج مسلوبا من جميع ما كان معه من القرآن ، والعلم ، وصار دايرا في أزقة البلد كل من رآه يقول له : ياءمقوت أبعد عنا ، فدلله الناس على سيدى ياءمقوت العرشى ، فشفع له عند سيدى أبى العباس .

فقال : قد رددنا عليه الفاتحة والمعوذتين ليصلى بهن ، وكان قد حفظ القرآن ، وثمانية عشر كتابا في العلم ، ولم يزل مسلوبا إلى أن مات كما مر تقريره مرارا فأياك يا أخى من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: إجلال بنات أشياخهم عن أن يتزوجوهن إلا أن علم أحدهم من نفسه القدرة على القيام بحقها والعمل على مرضاتها كما مر تقريره في تزويج الأشراف .

وكما تزوج سيدى ياقوت العرش ابنة شيخه أبو العباس المرمى ياذن الشيخ له في ذلك وسؤاله له فيها مكثت عنده ثمانية عشر سنة لا يقر بإحياء من والدها ومنها ، وفارقها بالموت . وهى بكر ، وكان إذا دخل عليه أحد من الأكابر وهو يكلمها لا يقطع حديثه معها لأجله ، ويقول : إنها ابنة شيخى فلان ، فلا تؤاخذنى يا أخى ، فيحذر ، ذلك الجليس ، فعلم أن من تزوج ابنة شيخه بعد موته أو بغير سؤال من شيخه حال حياته ، فهو متهور ليس عنده راحة من الأدب مع شيخه ، فكيف يكون خليفته من بعده ، وقد تقدم فى هذا الكتاب مرار نهى الفقهاء أن يتزوجوا زوجات أشياخهم من بعدهم سواء المطلقة أو المتوفى عنها أو من كتب الشيخ كتابه عليها ، ولم يدخل بها وإن سبب النهى عن ذلك ما وقع للمريدين الذين تزوجوا زوجة شيخهم من الضرر والقتل فى المنام والنهى عن ذلك على التجربة لأعلى دليل من جهة الشارع ، وإن البعض يطلب من مريديه أن يتزوجوا زوجته من بعده ويقول : هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا أحب أن أشاركه فيها ، فليكل شيخ وجهه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شهود أحدهم أن فضل الله تعالى عليه من المال وسعة الرزق إنما هو بواسطة شيخه .

فإن كان أحدهم بخيلاً في ماله وكان شيخه لم يطعم الطعام على عادة الفقراء ، وهذا أمر يقع فيه كثير من الفقير فيرى أحدهم : الخمسة أكبر حالاً من شيخه أو أكبر منه ، وغاب عنه أنه محبوب في دائرة شيخه لا يصح له استمداد من غيرها في علم أو عمل أو رزق مادام شيخه يترقى ، فلا يتسع حال مرید إلا من اتسع حال شيخه ، ونفس الأمر ، وإنما لم يظهر للمرید ذلك ، ولا يلحق درجة ، شيخه إلا إذا حصل لشيخه سلب ، أو وقفه ، وخروج عن الطريق .

وكذلك الحكم في الشيخ الآخر مع شيخه هو محبوب في دائرته إلى أن يفتى الأمر إلى دائرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إبدأً لا من تقديمه ، ولا من تأخر عنه ، ولا يتعدى كشف ولي دائرة كتاب فقيه ، ووجهه أبداً .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان والمحدثه رب العالمين .

ومن أخلاقهم: إطعام الطعام وإفشاء السلام وسقي الماء وإغاثة الملهوف .
ولا يمتنعون من تقديم الكسرة اليابسة للضيف وإن لم يجذوا إلا الماء أسقوه
له فكل فقير ادعى أنه من أهل الطريق ، وأخل بهذه الآداب ، فهو ناقص
عند الناس ، وأما عند الله ، فقد يكون الحق تعالى جعله من أهل حضرة
الإسم المانع شفقة عليه أن يخطر في باله أن له فضلا على أحد عن عباد الله
في الدنيا والآخرة .

وقد يكون ذلك الفقير من أهل الكشف ، فلم ير لذلك الضيف عنده
وزقا قسمه الله له .

فإياك ، والمبادرة إلى الإنكار على فقير لم يطعم الضيف ، ويقول :
ما جبل ولي الله تعالى إلا على السخاء ، وحنن الخلق ، فإنه ما من عام
إلا يصح أن ينقص ، فإن السخاء راجع إلى القلب ، وكل من حق له قدم
الولاية لا يمنع أحدا من طعامه عن بخل ، ويود أن لو قسم الله للخلق على يديه
شيئا فبطعمه لهم ، فهذا سخى ، وإن لم يطعم أحدا شيئا فأفهم والحمد لله رب
العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يطلب أحدكم منزلة هي أعلا من منزلته .

وهذا هو أحد الأوجه في معنى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، الآيات .

أى لا تحدثوا نفوسكم بطلب منزله فوق منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من محاسن الآداب التي أدب الله تعالى بها الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور خصوصياته .

وكذلك يجب على المريد مع شيخه كذلك فلا يطلب منزلة فوق منزلة الشيخ ويتأدب معه في كل أمر من الأمور ويراعيه في جميع خصوصياته وعمومياته لا يرفض له طلبا ولا يتعاضم عنده في مسألة فيسيء معه المقام ، فيسيء الأدب .

كما لا يجب أحدا من المقر بين أن يشارك الحق في مسمى مقام من المقامات العلية ، وبذلك يظهر للمريد الجواهر التي في قلب شيخه على لسانه الموضع أدبه .

وحكم العكس بالعكس ، فلو أراد الشيخ أن ينطق لمن أساء معه الأدب بشيء من المعارف بل ينعقد عليه لسانه ، لعدم استحقاق المريد لذلك .

وكان سيدى على المرحضى رحمه الله يقول : من أعذب أدب المريد أن يتنى أحدهم لشيخه المقامات المالية لينالها منه بحكم الإفاضة ، وهناك يسطى الله المريد فوق ما تنى ، لشيخه مع قيامه بأدب الإرادة .

وقد كان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول : قال لى مالك رحمه

الله :

يا محمد اجعل عملك ملحا ، وعلمك دقيقاً ، وفي رواية عليك ملحا انتهى .

وقد أجمع أشياخ الطريق على أن أحداً لا ينال الرتب الرفيعة إلا بقيامه
بالآداب مع الوسائط ، فمن أساء الأدب معهم فهو بعيد من حيث يظن
القرب ، ومردود من حيث يظن القبول .

وقد بلغنا أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم لما نزل قوله تعالى :

« لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم ، وأنتم لا تشعرون » :

كانوا يتكلمون بحضرة سيدنا رسول الله عليه وسلم همساً ، وكان عمر إذا
كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفض صوته ؛ فلا يسمع أحداً كلامه ،
حتى يستفهم ، وحلف أبو بكر أن لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا كآخى السرار .

فعلم أن كل من رفع صوته على شيخه ، فقد ألقا جلاباب الحياء ، والوقار ،
والحرمة ، وكان العوفية فيما مضى كأن إذا مرض أحدهم ، وطلبوا له العرق
يطلبون من شيخه أن يحضر لزيارته ، فبمجرد ما يحضر الشيخ يعرق المريد
من هيئته وما ذلك إلا من شدة إحترام المريد لشيخه وقد حدث ذلك
للسهروردي مع عمه وشيخه .

وكان سهل بن عبد الله رحمه الله يقول في معنى قوله تعالى :

« لا تقدموا بين يدي الله ورسوله » الآيات

أى لا تخاطبوه صلى الله عليه وسلم الاستفهمين ، ولا تبدؤوه بالخطاب
ولا تجيئوه إلا على حلول الحرمة ، ولا يغفلوا له في الخطاب ولا ينادوه باسمه
يا أحمد يا محمد كما ينادى بعضكم بعضاً ، ولكن فخموه ، واحترموه ، وقولوا .

يا نبي الله يا رسول الله

وكذلك ينبغي للمريد أن يفعل مع شيخه كذلك . فيقول : يا ولي الله
أو يا مولانا ونحو ذلك ، لأنه نائب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
إرشاد الأمة إلى طريق الهدى ، وإذا سكن الوقاء قلب المريد عام اللسان
كيفية الخطاب انتهى .

وسمعت سيدى عليا الخراسانى رحمه الله يقول :

ينبغي للمريد أن يتأدب مع شيخه ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم يتأدبون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الشيخ باب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا ينصح المريد إلا بما ينصح به رسول
الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فمن اعتمد على نصيح شيخه ، فكأنه كان في
زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبل منه نصيحة ، ومن قام بواجب
أدب شيخه دخل في ثناء الله عز وجل على الصحابة بقوله تعالى « أولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » أى اختبر قلوبهم . واستخلصها كما امتحن
الذهب بالنار ، فيخرج خالصه

وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول :

بما أدب الله به الصحابة إذا كان لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاجة أنه لا يتأدوه من وراء الحجرات ، ولا يدقون عليه الباب بل يصبروا ،
حتى يخرج إليهم ، وكذلك المريد مع الشيخ لا ينبغي له أن يناديه من خلف
باب داره أو خلوته ، ليخرج إليه بل يصبر ، حتى يخرج إليه الشيخ ومع
بطى بحسب صدق المريد ،

وبلغنا عن الشيخ عبد الحليم بن مصلح رضى الله تعالى عنه أنه كان إذا
جاءه فقير زائر أو علم به قام إليه ، ويفتح له جانب الباب ، ويصافح الفقير
ويسلم عليه ولا يجلس معه بل يرجع إلى بيته أو خلوته ، وإذا جاءه أحد
من أبناء الدنيا يخرج إليه ، ويجلس معه ، ففيل له في ذلك فقال : أنالا أجلس

مع الفقير لأن رابطتنا مع الفقراء قلبية فهي سبيل الحديث بيننا . ونقنع
هذه العلاقات هذا القدر من الظاهر . وأما أبناء الدنيا ، فهم واقفون مع العادات ،
والظاهر وليس بيننا وبينهم رابطة قلبية . ومتى لم نوف لأحدهم حقه مع الظاهر
استوحش ، فلو كان هذا المريد الذي اعترض على الشيخ بقلبه صادقا ، لألحمه
الله تعالى هذا الجواب الذي أجاب به الشيخ عن نفسه ولم يحوج الشيخ إلى
جواب .

وسمعت سيدي عليا المصني رضي الله عنه يقول :

ينبغي لكل مريد إذا أشكل عليه من حال شيخه أن يتذكر قصة السيد
موسى الخضر عليهما الصلاة والسلام ، ويتأمل كيف كان الخضر يفعل أشياء
يتكرها عليه موسى . ثم إذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن إنكاره :
ومن هنا تعلم أن كل ما ينكره المريد على الشيخ إنما هو لجهله بحقيقة ما للشيخ
فيه ، فإن للشيخ في كل شيء عندها يلسان العلم والحكمة

وقد كان الجنيد رحمه الله إذا ألقى على أصحابه علما ، وأشكل على بعضهم
يقول :

فإن لم تؤمنوا لي ، فاعزلون .

وكان الشيخ عمر السهروردي رحمه الله يقول

من أدب المريد أن لا يجلس على سجادة بحضرة الشيخ الا للسجود عليها
في الصلاة ، لأن من شأن المريد التبتل للخدمة ، وفي الجاوس على السجادة
لإيماء ، إلى الاستراحة ، والتعزز ، وكذلك من أدبه أن لا يتحرك للسمع
بحضرة الشيخ إلا إن خرج عن حد التمييز ، ومن كان يهاب شيخه منعتة هيئته
عن الاسترسال في السماع ، وكذلك من أدبه مع شيخه أن لا يكتبه شيئا
من أحواله ، ولو بما يستحي منه عادة ، فإن شاء تصرّحاً وإن شاء تلميحاً ،

فإنه متى كتم المرید عن الشيخ صار على باطنه عقدة لا تنفك ، ولا يحل تلك العقد ، إلا ذكر ذلك الشيء وحكمه فيه أن يخبر شيخه بذلك الشيء فيقرر له الحكم ، والعقوبات

ويحتاج المرید إلى تحصيل مقام المحبة الصادقة للشيخ حتى يستطيع أن يمر بمرحلة ، كما يخبر الطبيب ، ومالم يحصل له مقام المحبة فإن حاله يكون الكتمان غالباً

وكان سيدى عبد الحليم بن مصلح رحمه الله تعالى يقول لمن أحب المريد :

أن لا يقدم على مشاورة شيخه على أمر ديني أو دنيوي إن تبين له من حال الشيخ أنه مستمد له ، والسماع كلامه ، فكما أن لسؤال الله تعالى الذي هو الدعاء شروط ، وأوقات ، فكذلك لسؤال الشيخ ، فإن الأدب مع الوسائل يرجع إلى الأدب مع المقاصد

وكان سيدى عبد القادر الجيلي رحمه الله يقول :

ما سألت شيخى قط عن مسألة ، حتى سألت الله تعالى أن يلهمنى الأدب مع شيخى ، والألفاظ التى تناسب خطابه ، وكثيراً ما كنت أتصدق قبل أن أناجيه رضى الله تعالى عنه ونفعنا به عملاً بقوله تعالى « إذا ناجيتم الرسول ، فقدموا بين يدي نجواكم صدقة » ، فإن الشيخ واسطة بين المرید وبين الله تعالى بحكم النيابة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى

فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : العمل على تحصيل مقام التواضع الخالص بحيث يصل أحدهم إلى موضع حد لا يصير يخطر في باله أن له حقاً على أحد من خلق الله تعالى ، ولا أنه أهل لأن يقصد لتفريج كرب أحد من الخلق بل يرى نفسه أكثر ضرراً من الثعبان أو الكلب العقور .

وكان الدقي رحمه الله يقول :

من وظيفة الشيخ وحسن أدبه مع أهل الولاية والطلب أن ينزل من من حقه ، فيما يجب له من التبجيل ، والتعظيم الذي يكون للأشياخ عادة ، ويكثر من التواضع للمريدين ليقبلوا على الاستماع لهم فيما يرشدهم إليه من الخير قال : وقد كنا في مسجد بمصر جلوساً ، فدخل أبو بكر الرقاق ، فقام عند اصطوانه يترقع ، فقلنا نصبر عن السلام عليه ، حتى يفرغ من صلاته ، فلما فرغ جاء هو إلينا فسلم علينا ، فقلنا كنا نحن أولى من الشيخ ، فقال : ما عذب الله قلبي بمثل هذا قط ولكن أخاف أن يظن بأنني أحترم وأفقد انتهى والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : إذا رأى أحدهم من بعض المريدين سوء أدب أو علم بحاله أعوجا جا بدعوى أو مداخله عجب ونحو ذلك

أن لا يصرح له بذلك بل يتكلم على الأصحاب ، ويشير الى المكروه الذى عليه من ذلك المريد ، ويكشف عن وجه المذمة لذلك الشخص على وجه الاجمال ، فيحصل لكل واحد الفائدة والمفصح من غير تصغير وجه أحد ، وذلك أقرب إلى المداراة ، وأكثر أثرا في تأليف القلوب .

وقد بلغنا أن عمر بن الخطاب شتم من أهل مجلسه ريحا ، فقال : عزمت على من أخرج هذا الريح إلا قام ، فتوضأ فقال له جرير بن عبد الله البجلي : أو نتوضأ كلنا يا أمير المؤمنين ، فقال : توضأوا كلكم ، وأعجبه ذلك من جرير لما فيه من السر لمن أخرج الريح

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

ينبغي للشيخ إذا رأى من المريدين تقصيرا في الخدمة أن يحتمله ، ويعفوا عنه ، ويحرضه على الخدمة لإخوانه مطلقا من غير عنف ، ولو تكبر ذلك التقصير من المريد في اليوم الواحد مرات

وقد ورد أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله كم أعفوا عن الخادم ؟

قال : كل يوم سبعين مرة

وأخلاق الفقرا تابعة لأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم أحق من عمل بسنته لعدم شواغلهم الدنيوية غالبا

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

ينبغي للشيخ أن يكتم سر المرید كما يكتم المرید كذلك سر شيخه ، فلا يعلم بذلك إلا ربه ، وشيخه أوربه ومریده .

وقد قالوا : أصل إذاعة الإسرار ضيق الصدر ، وأصل ضيق الصدر ضعف العقل انتهى وأيضاح ذلك أن ابن آدم فيه قوتان وكلاهما مشغوق إلى الفعل المختص به ولولا أن الله تعالى وضع في النفس حب إظهار ما عندها ما ظهرت الأسرار ، فالكمال في العقل هو من حرص على الكتمان ولذلك كان من شأن الأشياخ عدم إذاعة الإسرار رضي الله عنهم فاعلم ذلك يا أخى وأعمل به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم :

صحبة الأخيار دون الأشرار ما داموا قاصرين من بلوغ مقام الكمال .
فلذا بلغوا ذلك أمروا بصحبة الأخيار والأشرار .

وأما الأخيار فظاهر وأما الأشرار فلكي يستقيم عوجهم إذا صلبوهم .

وقد تقدم أن الله تعالى أوحى إلى السيد داود عليه الصلاة والسلام ،
لما نفر من مجالسة عصاة بني إسرائيل يا داود المستقيم لا يحتاج إليك ،
والأعوج نفرت من مجالسته ، فلم إذا أرسلت انتهى .

ولكن يحتاج من يصحب الناس في هذا الزمان إلى علم وافر وعقل
عظيم وسياسة تامة ، وإلا حصل له غاية الأذى ، وربما ظن كل من المتصاحبين
أنهما اصطحبا لله تعالى ، والحال أن ذلك لغير الله تعالى ، ولذلك قالوا :
لا يفرق بين الصحبة لعلة الجنسية إلا العلماء الغواصون على دقائق النفوس ،
فقد يفسد الإنسان بصحبه أهل الدعوى للإصلاح أكثر مما ينفسد بصحبة
أهل الفساد ، ووجه ذلك أن الإنسان يعرف فساد أهل الفساد ، فيأخذ
حذره منهم ، وأهل الإصلاح غره صلاحهم ، قال إليهم لجنسية الصلاحية ،
ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حانت بينهم ، وبين حقيقة الصحبة
لله تعالى ، واكتسب من طريقهم القتر في الطلب ، والتخلف عن بلوغ
الأرب فليتنبه الصادق ، لهذه الحقيقة ، ولهذا رجح طائفة من السلف
الصالح العزلة ، والخلوة على الصحبة ، وقالوا : إن العزلة أكثر فائدة منهم
سيدي إبراهيم بن آدم ، وداود الطائفي ، والفضيل بن عياض ، وسليمان
الخواص .

ولما قدم إبراهيم بن آدم بلد إبراهيم الخواص قالوا له :

ألا تلق إبراهيم بن آدم ؟

فقال : لأن ألقى سبعة ضارباً أحب إلي من أن ألقى إبراهيم .

قالوا : ولم !

قال : لأني إذا لقيتُه أحسن له كلامي ، وأحوالي ، وفي ذلك ما لا يخفى من الفطنة انتهى .

وهو كلام من عرف نفسه ، وأخلاقها ويؤيده حديث : يرشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاب الجبال ، ومواقع القطر يفرس بدينه من الفتن ، وفي القرآن العظيم حكاية عن السيد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : واعتزلكم وما ندعون من دون الله ، فاستطهر بالعزلة على قومه وكان أبو بكر الوراق يقول : من عهد السيد آدم صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا من اعتزل من جانب الناس كان إلى السلامة أقرب .

وسمعت سيدي علياً الخواص يقول :

قد تكون للخلطة فائدة أكثر من العزلة والخلوة ، لأن الخلطة تفتح مسام الباطن ، ويكتسب الإنسان بها القربى على حسن الخلق ، ويطلع على علم الحوادث ، والعوارض ، ومن منافعها أيضاً التعاقد والتعاون على الخير وتقوية قصور القلب ، واسترواح الأرواح بالنفس .

وفي الحديث : المؤمن كثير بأخيه ، وتأمل الأصوات إذا اجتمعت كيف تخرق الأجران وإذا انفردت كيف يقصر مداها .

وكان سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك لا يرون العزلة . ويقولان : إن الله امتن على المؤمنين بالتآلف فقال تعالى : « وألّف بين قلوبهم » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : المؤمن ألف مألوف وإن أحبكم إلى الله تعالى الذين يآلفون ويؤلفون ، فتم .

وقد سألت سيدي علياً الخواص عن : الفرق بين العزلة والخلوة ؟

فقال : الخلوة تكون عن الأغيار الذين يشتغلون عن الله تعالى ،
والعزلة تكون عن النفس ، وما تدعرا إليه .

فقلت له : فإذا الخلوة كثيرة الوجود ، والعزلة قليلة الوجود ؟

فقال : نعم لأن التباعد عن النفس عسر جداً ويفرق أيضاً بأن العزلة
ليس من لازمها الاشتغال بالله بخلاف الخلوة انتهى .

وكان سيدي محمد المنير رحمه الله تعالى يقول : إذا بعد الفقير عن الناس
خرج عن وصف كون المؤمن ألف مألوف والحال أنه أولى بمقام الألفه ،
لأنه إذا اعتزل عن الناس صفه نفسه ، واشتاق الناس إلى رؤيته ، فألفوه
أكثر من المخالط ، وأصل الائتلاف إنما هو بالأرواح لحديث « الأرواح
جنود مجتدة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف » انتهى .

فعرف مما قررناه أنه لا يقال العزلة أفضل مطلقاً والخلطة أفضل
مطلقاً وربما تكون الخلطة بهواء نفس ، والعزلة تكبراً عن الخلق .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

إذا أردت صحبة إنسان أو نفرت نفسك من صحبته ، فأنظر في أفعاله ،
وأقواله ، فإن رأيته محبوبة لله تعالى فأصحبه ، وإن رأيته مكروهة لله تعالى ،
فأجتنب صحبته إلا بنية صالحة ، لكي تحبسه بهواك . وتبغض بهواك ،
فكم ممن يزعم أنه يكره الله تعالى ؛ وإنما ذلك لحظ نفسه ، وكذلك القول
فيمن يحب .

وكان يقول : صحبة الأشرار بعضهم بعضاً أشر ما يكون لأنهم يزدادون
بها شراً وأعرضاً بسرة طبع كل واحد منهما من الآخر فأعملوا ذلك
أيها الأخوان وأعملوا عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا وجد أحد منهم في نفسه وحشة من الخلق حين
تفروا عنه .

أن يتفكر في نفسه ، فلعل ذلك بمصيبة وقع فيها كما قاله بعضهم .

وكان بشر بن الحادث رضى الله عنه يقول :

إذا قصر العبد في صلاة الله تعالى سلبه من يؤنسه فتتفر منه الأشياخ
إن كان مريداً ، وتتفر منه المريدون إن كان شيخاً .

وكان علي بن سهل رحمه الله تعالى يقول :

من أطاع الله تعالى رزقه الأنس به .

قال : ومن الأنس بالله تعالى الأنس بأوليائه رضى الله
تعالى عنهم .

وقد قال الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه :

إنى لأقصر في الصلاة فأرى ذلك في خلق حمارى ، وتخادعى ، وهوى
ما ذكرناه .

وعلاوة التنفير المحمود أن ينفر الناس عنه من غير ازدراء ولا احتقار له
بخلافهم إذا تفروا عنه على وجه الازدراء والاحتقار ، فإنه يدل على وقعه
في مذموم يسخط الله عليه ، فتبعه على ذلك قلوب المؤمنين غيره للحق
ومرافقه له .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان وأعملوا عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يرى أحدهم الفضل لأخيه على نفسه إذا أحبه
واعتقد فيه .

وقد كان أبو معاوية الأسود رضى الله تعالى عنه يقول :

كل إخواني خير مني .

قيل : وكيف ذلك ؟

قال : لأن كلامهم يرى الفضل عليه ومن فضلى على نفسه ، فهو خير
منى انتهى أى لأنه ما فضله على نفسه إلا لكونه أكثر تواضعا منه ، ورفعة
المقام عند الله تعالى بكثرة التواضع فأفهم .

وسمعت سيدى عليا المرصنى رحمه الله تعالى يقول :

قد أدخل غالب الناس بأداب الصحبة وهى كثيرة، ولكن نذكر الإخوان
منها طرفا صالحا .

فنها : أن أحدهم كان إذا وجد ثقلا من أحد من المسلمين يهتم نفسه
بالنفاق ، والكبر ، يسعى فى إزالة ذلك من باطنه .

وقد كان أبو بكر الكنانى يقول : صحبتنى شخص ، وكان على قلبى ثقيلا ،
فوهبت له شيئا بنية أن يزول ثقله من قلبى ، فلم يزل ، فخلوت به يوما
وقلت له :

ضع رجلك على خدى فأبى مغرور ، فأبى .

فقلت له : لا بد من ذلك ففعل ، فزال ما كنت أجده فى باطنى انتهى .

ولما سمع الزقى بهذه الحكاية سافر من الشام إلى الحجاز ، حتى سأل
الكنانى عن هذه الحكاية وسمعها منه .

ومنها : من تقديم كل من يعرفون فضله والتوسعة له في المجلس ،
ولإشارته بالموضع يكون ذلك لطف وسياسة لاسيما إن كان المعرض يحب
الدنيا ويهتم بأمرها كذلك ، وليس له من المشيخة إلا الدعوة فقط ، وإن
كان الواجب على من ارتكب أمرا أن ينصح غيره إذا ارتكبه فافهم .

ومنها : ترك ظهور النفس بالصلوة ، لأن حيلة الفقير على من هو فوقه
قبيحة ، وعلى من هو مثله سوء آداب ، وعلى من هو دونه عجز .

ومنها : أن لا يصحب أحدهم أحدا ، ويعزم على مفارقتها لأدنيا
ولا أخرى .

وكان بعضهم يقول : من صحب شخصا فليس له صحبة أحديعه ،
ولو كان أعلا من الأول قياما بواجب حق صحبة الأول ، فمن أجل بحق
الأول لم يفلح على يد الثاني .

وكان سيدي إبراهيم بن آدم رحمه الله تعالى يقول :

من قال لأخيه أعطني من مالك ؛ فقال : كم تريد ؟ فقام بحق الأخوة ؛
ومن دعاه أخوه إلى حاجة فقال : إني أين ؟ فقام بحق الصفة .

ومنها : ترك التكليف للضيف فإن من تكلف لضيف كره إقامته عنده ؛
وإذا كره إقامته عنده أطعمه بغير طيبة نفس فأسا في حقه ، وتسبب في
ظلمة باطنه ، ومن أطعمه ما حضر تساوى عنده إقامته وذهابه ولما ورد
أبو حفص غلي الجنييد عمل له الجنييد ألوان الاطعمه ، فأنكر ذلك عليه
أبو حفص ؛ وقال :

صيرت أصحابي كالحنايق تقدم إليهم ألوان الطعام .

فقال له : الجنييد : إنما فعلت ذلك من باب الإكرام للضيف .

فقال : شرط الإكرام أن لا يتولد منه ضرر انتهى .

ومنها : ترك مداهنة إخوانهم دون مداراتهم ، ومن الفرق بين المداهنة ،
والمداراة أن المداراة ما أردت به صلاح أخيك ، فتدأريه رجاء صلاحه ،
واحتملت منه ما تكره . والمداهنة ما قصدت به شيئاً من الهوى من طلب
حظ ، وإقامة جاه ونحو ذلك .

ومنها : أن يعزم أحدهم على أنه إن أدخلها أن لا يدخلها إلا إن دخل
أخوه المسلم ، وإن طال الزمان في الحساب ولو وصل الأمر إلى أن يقوم
بمقاسمته في حسناته يوم القيامة .

ومنها : أن يتدارك الأمر بالوعظ والعناية إذا وقع أخوه في معصية أو
فتنة ، حتى يتوب .

وقد قيل : ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته ، وتكلفت له إذا
ورد عليك خوفاً من تغير خاطره إذا لم يتكلف له .

وكان سيدي محمد المنير رحمه الله تعالى يقول :

ليس بأخيك من آثر مراده على مرادك ، وليس بأخيك من أحوجك
إلى الاعتذار له .

وكان الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه يقول :

أثقل إخواني على من يتكلف وأتحفظ منه ، وأخفهم على قلبي من أكون
معه كما أكون وحدي انتهى .

فاعلم ذلك يا أخي واعمل عليه واجتهد الله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة الاعتناء بالأدب في العبادة أكثر من اعتنائهم بها
بلا أدب .

نظير ما قال العلماء في شروط الصلاة فإن الأدب فيها شرط بصحتها
عند العارفين ، ويؤيد ما قلناه حديث ابن حبان وغيره ، وإن امرأة جاءت إلى
النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله : ما حق الزوج على زوجته ،
فقال : من حقه أن لو كان به قرحة تلجس دما وقيحا ، فاستقبلته
تليخسها ما أدت حقه .

فقالت : والذي بعثك بالحق لا أتزوج ما بقيت الدنيا انتهى .
فانظر يا أخي كيف أقرها صلى الله عليه وسلم على ترك الزوج مع
أنه من سنته صلى الله عليه وسلم فأياك وانتساهل في الأدب إن كنت من
عييد الأجر فإن الأدب في العبادة أرجح من نفس العبادة بلا أدب كما
يعرف ذلك أهل النوق .

وقد وقع لي أنه سبقتني ريح في مجلس الذكر ، فاحسست بأن عورتي
كشفت وذهبت لذة خطابي لله عز وجل ، فلهاقمت ، ونوضأت ورجعت
إلى لذة الخطاب ، ونظرت فيما فاتني من الذكر مدة الوضوء فوجدت الوضوء
أرجح منه .

فاعلم ذلك واعمل عليه تجود بركته والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حسن سياستهم للمريد المستقيم إذا حصل أنه نظر إلى جارية أو حدث .

ولا يمكن عليه الميزان الذي كان يمسكه السلف على المريد ، فإن ذلك أمر مضى حكمه ، وانتسخ .

ومن حسن السياسة أن يبينوا للمريد أنه كما يخشى ويشقى أن يعرف واحد من المخلوقين ، فكذلك يجب عليه الحياء من نظر الله إليه ويحذرون الجارية أو الحدث من أن يحميوه إلى ما يطلب ، ويبينون له أن ذلك الحب الذي بدعيه حبا شيطاني يورث كلا منهما المقت .

وقد سمعت سدي عبد الحليم ابن مصلح رضى الله تعالى عنه يقول :

من أراد أن يعرف أن محبته للحدث مثلا لله تعالى ، أو لغيره فلينظر في نفسه فإن رآها تود أنها تقبله أو تعافه لو وجد خلوة به ، أو يخطر ذلك على باله ، فليعلم أن محبته لذلك الحدث مثلا لغير الله عز وجل ، فإن من علامة المحبة لله تعالى دون حظ النفس أن لا يشتهي التمتع في جسم ذلك المحبوب ولو بالنظر ، ومتى اشتهى تعشقا أو تقيلا له أو أن يمس جلده يديه ، فهو من قوم لو ط ، ولا يخفى سخط الحق تعالى عليهم وخيف ديارهم ومستخهم .

وسمعت أيضا يقول :

لم يزل القوم سلفا وخلفا يحذرون العذاب من سكان الزوايا والربط من صحبة الأحداث ، ويقولون : أن صحبة العذاب للحدث من أشر ما يفتن الشيطان به المريدين ، فإن مخالطة النساء في الزوايا لا يمكن ولو أمكن لأمرنا المريدين بالتزويج فكان كلما تحركت شهوة النظر إلى المستحسنات نظر أحدهم إلى أمراته ، وقضى وطره لكن لما تعذر ذلك

وسوس لهم إبليس في صحبة الأحداث ، وأن يظهر أحدهم أنه يحب
الحديث لله تعالى وربما يعلم الله تعالى منه خلاف ذلك فأهلكه من حيث
لا يشعر .

وسمعه مراراً يقول ، إذا رأيتم المريد يحب القرب من مواطن التهم
كحب النساء والشباب فاتهموه في دينه ، وإذا رأيتم الشاب الصالح يحب الرجل
فظنوا به خيراً فإن "شباب يكره بالطبع من يتوهم منه الفاحشة فاعلموا ذلك
أيها الأخوان وأعملوا ولا تأخذوا من حظ نفوسكم الخبيثة وإن ادعت
نفوسكم أنها تحب حدثاً أو جارية لله تعالى بل عليكم بنفوسكم فامتنعوا
بشيخ قد طعن في السن فإن رأيتم نفوسكم لا تميل إليه فهي كاذبة أما إن رأيتم
نفوسكم تميل إلى تقبيل يده والجلوس معه فهي صادقة والافهي كاذبة
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يصفوا مقام قلوبهم .

ويصير أحدهم إذا عصا أمر قلبه عصاً الله تعالى كما كان عليه الأكابر من أهل الطريق .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول :

من بلغ مقام السكال رأى خواطره المحمودة كلها رسل من الله تعالى إليه ، ومن عصا رسل الحق تعالى فقد عصاه بيقين .

وكان سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه يقول :

بلغت إلى مقام إن عصيت قلبي غضب الله تعالى انتهى .

لكن هذا لا يسلم لسكل من أدعاه إنما يقبل عن استقام قلبه من أكل الحلال ، حتى صار يستنف التراب إن لم يجد حلالاً ، أو يطوى الشهر وأكثر .

وسمعت سيدي علياً المرصقي رضي الله تعالى عنه يقول :

لا يبلغ العبد إلى مقام استقامة القلب ويصير يعصى بمخالفة خواطره إلا أن اطمأنت نفسه ، وتمكنت في ذلك إذ الشيطان لا يياس من قبول النفس وسوسته إلا إن علم أنها اطمأنت ، ووافقت القلب ، وإلا من لازمها قبول وسوسته ، وتكديرها للقلب كلما تحركت ، ومعلوم أن القلب إذا تكدر طمع الشيطان في المرید ، لعدم النور الذي كان في قلبه يحرقه إذا قرب منه ، وما صفا قلب مرید قط إلا ، وكان قلبه محفوف بالذكر .

وكما يتقى أحدنا النار خوفاً أن تحرقه كذلك الشيطان يتقى من نور الذكر خوفاً أن يحرقه انتهى .

وسمعت الشيخ أبو السعرد الجارحي يقول : في قرله تعالى (إن الذين

آمنوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون .

اعلموا أيها الإخوان أنكم لا تتألموا صفاء الذكر والإخلاص إلا بالبعد عن المعاصي ، وبها يفتح باب ، فلا يزال العبد يتقى حتى يحصى جوارحه من كل فعل يخالف الشريعة ويتقى ما يعنيه وما لا يعنيه حتى يصير أفعاله وأقواله كلها متوافقة لا تختلف في شيء ، فلا يبقى إلا باطنه فيظهر باطنه من جميع المكاره ثم من جميع ما يخالف أقواله وأفعاله .

وهذا الاتقاء بالذكر مثله مثل الكواكب في كبد السماء ، وصار القلب بها محترقاً بزينة كواكب الذكر ، وهناك يبعد عنه الشيطان كل البعد ويبعد عن العبد الخواطر الشيطانية ، ولا يصير معه إلا خواطر نفسه ، وحينئذ يسمى في قطعها واتقانها بميزان العلم إذ منها خواطر لا تضر العبد كطالبات النفوس بحاجاتها ، ومعلوم أن حاجاتها تنقسم إلى حقوق ، وحظوظ ، وحينئذ يتعين التمييز بين الحق والحظ ، واتهام النفس بمطالبات الحظوظ .

وقد كان الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه يقول :

من لم يتم خواطره ، ويناقد نفسه في كل نفس لم يثبت في ديوان الرجال انتهى .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول :

الخواطر رسل فإن كانت من الله وجب عليك العمل بما جاءت به ، وإن كانت من النفس أو القلب أو الروح وجب عليك التفتيش قبل الإقدام على العمل بها ، ويؤيد ذلك من طريق الإشارة قوله تعالى (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أى فتثبتوا .

وكان سهل من عبد الله يقول :

المراد بالفاسق في الآية : الكذاب كما هو معروف في كتب التفسير ،

ومعلوم أن الكذب من صفات النفس لأنها على أشياء على غير حقائقها ،
فيتعين التثبت عند مخاطرها ، وإلقائها ؛ فيجعل المرید خاطر النفس نبأ يوجب
التثبت ، ولا يستغفزه الطبع ، ولا يستعجله الهوى ، فقلت لأخي أفضّل الدين
رحمه الله تعالى :

فهل السر الذي يشير إليه القوم مرتب بعد القلب أو بين الروح والقلب.

فقال : من القوم من جعله بعد القلب وقبل الروح ، فقال : نفس ، ثم قلب
ثم سر ، ثم روح ، ومنهم من جعله بعد الروح ، فقال : نفس ، ثم قلب ، ثم
روح ثم سر وقالوا : هو أعلا من الروح والقلب لأنه محل المشاهدة والحمد
لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا تصدر أحدهم لتربية المريدين

أن لا يغفل عن أمرهم بمحاسبة نفوسهم على جميع ما يقع منهم من أقوال ، وأفعال ، وخواطر ، فما كان من ذلك محموداً يأمرهم فيه بالشكر ، وما كان منه مذموماً يأمرهم فيه بالاستغفار ، ويكون ذلك على التدرج من سدرس درجة إلى درجة ثم من درجة إلى عشر ، ثم من عشر إلى عشرين ، وهكذا ، وهذه المحاسبة تحفظ الأنفاس ، وتضبط الحواس ، وتراعى الأوقات .

واعلموا أيها الإخوان أن الله تعالى ما فرق أولاً :

العبادات في الليل والنهار إلا لعله تعالى باستيلاء الغفلة على غالب العبيد كيلا يطول زمن الغفلة ، ويستعبد لهم الهوى ، وتسرقهم الدنيا ، فالصلوات الخمس كسلسلة تنجذب بها النفوس إلى مواطن العبودية ليؤدي حق الربوبية ؛ فالمرید الحاذق هو الذي يحاسب نفسه بين كل صلاتين ؛ ويسد مداخل الشيطان من الصلاة إلى الصلاة بحسن المراقبة ؛ والرعاية ؛ ولا يدخل قط في صلاة إلا بعد حل كل عقد في القلب بحسن التوبة والاستغفار لأن كل كلمة ؛ وحركة تنكون على خلاف الشرع تنسكت في القلب نكتة سوداء ؛ ويعقد عليه عقده .

وسمعت سيدي محمد بن عنان رحمه الله تعالى يقول :

لا يكمل الفقير في مقام المحاسبة لنفسه ، حتى يصير يهيء الباطن لكل صلاة صلاحاً لضبط جوارحه الظاهرة ؛ والباطنة عن الحركة التي لم يشرعها الحق جل وعلا ؛ ومن فعل ذلك أشرق في كل صلاة صلاحها نور على سائر أجزاء الوقت إلى الصلاة الأخرى ؛ فتصعد صلاته قامة منورة بنور وقته كما أن وقته يصير منوراً بنور صلاته .

وإذا وصل المرید إلى مقام المراقبة ، فلا يزال يراقب ربه عز وجل ،

حتى يصير ملاحظا للحق بقلبه في كل لحظة ، وافظه .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا عليه تفلحوا ، ويصير أحدكم يسكن
الله تعالى في جميع ما يكلم به الناس من حيث لا يشعرون أن شاء الله تعالى ،
كما كان عليه الإمام سهل بن عبد الله التستري ؛ وأضرابه والخمسة
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : زجرهم وتوبيخهم لكل مريد استحسن شيئاً من أعماله

ولا يجوز لأحد السكوت على ذلك إلا لعذر شرعي ؛ وقد أجمعوا على أن كل مريد استحسن شيئاً من أعماله وجب عليه أن يرجع إلى ابتدائه ؛ فيروض نفسه ثانياً .

وقالوا : من لم يزن نفسه بميزان الصدق فيما له وعليه فهو مبعد عن مقامات الرجال غير قابل لها .

وأصل ذلك عدم الصدق في التوبة في الأول فإنها هي الأساس الذي يبنى المريد عليه كل مقام ، فكما أن من لا أرض له فلا بناء له كذلك من لا توبة له لا حال له ولا مقام .

وسمعت سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى يقول :

لا ينبغي لشيخ إرشاد المريد إلى طريق شهود عيوب الأعمال إلا بعد الصدق في التوبة ؛ فتره يا أخي مر يدك عن القاذورات الظاهرة ؛ والباطنة ؛ ثم بين له عيوب الأعمال تكن حكيم الزمان ، وهكذا القول في كل مقام لا ينبغي لك أن تنقل مر يدك عنه ، حتى يحكم أمره فيه ؛ فإن بناء الجدار يتبع بعضه بعضاً ومتى بنا بناء محكم ثم بنا فوقه بناء محكمًا نزلزل الأعلام من المهلهل انتهى .

وسمعت سيدي محمد المنير رحمه الله تعالى يقول :

من أحكم مقام توبته حفظه الله تعالى من سائر الشوائب التي في الأعمال فهي نظير مقام الزهد يحفظ صاحبه من سائر ما يحجب عن الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة الموعود بذكرها في الخطبة وهي تشمل على نبذة صالحة بما يقاسيه أهل الله تعالى من احتمال الأذى من جميع الخلق أقول وبالله تعالى التوفيق :

من أخلاقهم: عملهم دائماً على إزالة الموانع التي تمنعهم من دخول الحضرة الإلهية فلا يصرون على مانع لحظة في ليلة أو نهار ، وسائر الذنوب موانع لكن أعظم الموانع التكبر على أحد من المسلمين ورؤية الغنا عن الله تعالى والاشتغال عنه بما أعطاه له ، وشهود العز في النفس فمن كان فيه خصلة من هذه الثلاث ، فهو ممنوع من دخول الحضرة بإجماع أولياء الله تعالى .

وفي كلام سيدي محي الدين في الفتوحات :

خصلتان إذا كاتا في عبد حرم من دخول حضرة الله تعالى مادام متخلقا بهما وهما عز النفس وشهود الغنا .

وقال الشيخ أبو المواهب الشاذلي في كتاب القانون :

حكم الملك القدوس أن لا يدخل حضرته أحد من أهل النفوس ، ويجمع ذلك كله شهود العبد في نفسه أنه دون كل جليس من المسلمين في مقام الذل ، والفقر ، وذلك هو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله عز وجل ، ولا يكفيه في ذلك أن يشهد ذلك في نفسه ظناً ، وإنما يكون ذلك يقيناً ، وكشفاً ، فإن التواضع المشهود في العامة هو أن يرى لنفسه مقاماً عالياً ثم يتنازل منه إلى الناس ، وذلك من جملة التكبر عند أهل الله تعالى فإن المراد أن يرى مقامه دون مقام الخلق أجمعين بيادى الرأى على الدوام .

فإذا ارتفع مقامه شهد حقارة نفسه في حضرة الله تعالى .

فلم أن من رأى نفسه فوق أحد عن عوام المسلمين على غير وجه حق .

فقد شرع في البعد عن الصواب ؛ ومن رأى نفسه دون أحد من المسلمين ؛ فقد شرع في ديوان الصالحين ثم انتقد إجماع العارفين على أن من كان عنده شيء من الكبر لا يصح له دخول حضرة الله أبدا ؛ ولو عبد الله تعالى في انظار عباده الثقلين وإيضاح ذلك أن أهل الحضرة على ثلاثة أصناف أنبياء وملائكة وأولياء ؛ وليس عند أحدهم شيء من الكبر بإجماع المسلمين .

وهذا الخلق قل من يتخلق به من الفقرا ؛ ولذلك منعوا من دخول حضرة الله تعالى ؛ حتى في صلاتهم ؛ وكل من لم يدخل حضرة الله تعالى ؛ فصلاته جسم بلا روح ؛ كالخشب اليابس .

وكان حمدون القصار رضى الله عنه يقول :

من رأى نفسه خيرا من فرعون فقد أظهر الكبر أى لأن خاتمته مغيبة ؛ فقد يحتم له والعياذ بالله تعالى بالكفر فيكون مثل فرعون ؛ فليس مراده الحالة الراهنة ؛ وإنما المراد النظر إلى ما يؤول إليه أمر العبد ؛ بحكم اليقين في الآخرة وذلك أمر مغيب ؛ فليغفهم .

وكان الإمام الجنيد رضى الله عنه يقول :

لا يبلغ أحد مقام التواضع الحقيقي ؛ حتى يرى نفسه أنها ليست بأهل أن تناهها رحمة الله تعالى ؛ وإنما رحمة الله تعالى لها من باب الفضل والمنة .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في أول كتاب العهود ؛ وأول الخاتمة من كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة تحملهم للبلايا الواقعة في أبدانهم وأموالهم
وأعراضهم ويرون أنهم يستحقون أعظم من ذلك :

كمن استحق النار فعوجل بالماد ثم أن إزال الحق تعالى البلياء بأصفيائه
لا يتخلوا إما أن يكون لرفع مقامهم ؛ أو اختيارا لهم ؛ ليريههم صدق نفوسهم ؛
فيشكروا أو كذبها ؛ فيستغفروا أو ابتلاهم ؛ وصبرهم ليقتدى الناس بهم ؛
أو تكفيرا لذنوبهم بالنظر لمقامهم ؛ فإنهم يعلمون أن الله تعالى عليم حكيم ؛
وأن فعلوا فعله تعالى عين الحكمة لا بالحكمة لأن لا يكون فعله تعالى
معلولا فأفهم .

واعلم يا أخى ذلك واستعد للبلاء إن ظلمت أن تكون من أهل الله تعالى
فإنه لا بد لأهل الله تعالى من البلاء شأوا أم أبوا فكان الكامل منهم يدور
عليه البلاء كما تدور الرحى على قطبها فلا ينفك يعيش هذا البلاء وليس له
بلاء آخر عاش والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إحتمال الأذى من الخلق وعدم التغير من حصول
أنبلاء لهم .

إكتفاء بعلم الله عز وجل

فإن أنكر عليهم منكر وذلك يكون في حالتين فيما إن كان محققا فالغيظ منه
لأسبيل له لأنهم مخطئون وقد كتب في دواوين السما قبل الأرض أن يتلفظ هذا به

وإن كان باطلا ، فالغيظ كذلك منه حتى لأنه لم يكتب في ديوان السماء ،
فلا عقوبة عليه ، فالعاقل لا يتغير من كل كلام قيل فيه بكل حال

وقد تحققت بذلك والله الحمد ، فلم يزل يقوم لى فى مصر كل قليل جماعة
بعد جماعة يفترون على كلاما ويشيعون أن ذلك رأوه فى مؤلفاتى ، ثم
يستفتون على العلماء فيفترون بالخط الشنيع على . وأنا بحمد الله تعالى برىء
من ذلك كله لكن قد حصل لى بذلك إدمان كثير ، فجزى الله تعالى كل من
افتترى على كذبا خيرا ، فإنى لو سجدت لله تعالى على البحر شكرا له تعالى
ما أدت شكره على ما حصل من أذانى من الإدمان فالحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : قلة ضجرهم وقلة تقلقلهم من كثرة ما يقال فيهم من الأذى .
وذلك لعلمهم كشفاً أو إيماناً أنهم في حضرة الله تعالى ، والإنسان إذا
كان في حضرة حاكم عادل لا يخفى عليه ظلم الظالم فمن لازمه قلة التكدر .
إذاً لأنه يعلم أنه يأخذ له حقه كاملاً إن كان مشهود أن له حقاً على أحد منهم
إكراماً من عبيد الله تعالى وإن كان لا يرى له حقاً على أحد منهم إكراماً لمن
هم عبيده أو إكراماً لمن هم من أمته ، فكذلك ، فابق التكدر يصح إلا لمن
كان محجوباً عن هذه المشاهدة ، وذلك حكم العوام لا حكم أهل الله تعالى

ومن المساعد لهم على قلة التكدر من ينقصهم كون أحدهم لا يطلب عند
الخلق مقاماً . فلو طلب أحدهم عند الخلق مقاماً لتكدر ضرورة من كل من
نقصه عندهم

فليمتحن الإنسان نفسه ولينظر إذا حدث أن جميع أهل بلده وأقليمه ،
رموه بالعظائم حتى نفر منه الناس هل تكون نفسه راضية بعلم الله تعالى
فاليعلم أنه صادق ، وإن رآها تغيرت ، فليعلم أنه كاذب في دعواه الصدق مع
ذلك ، فمن الأدب أن لا يرى لنفسه مقاماً عظيماً لأن ذلك مقام إبليس فإن أهل
المكان العلوى والسفلى يلعنه ، ومع ذلك فلا يتغير من لعنتهم له والحمد لله
رب العالمين

الحاتمة

اللوعود بذكرها في الخطبة

ومن أخلاقهم : بعد إدمانهم على تحمل البلياء والمحن

الشكر كلها أذا هم انسان فيشكرون الله تعالى الذى صبرهم على تحمير
أذاه ، وجعلهم لا يشتغلون بمقابله ثم يقيمون لمن أذاهم العذر فى نفوسهم
ويقولون :

ما أذانا إلا . وهو فى غفلة عن كوننا نحن ، وإياه فى حضرة الله تعالى
أو عن كوننا عبيد الله تعالى ،

أو عن كون الحق تعالى نهاء عن ذلك ،

أو عن كوننا من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
أو فعل ذلك اختباراً لنا لينظر هل نصبر على ذلك أو نتعلق منه ، فيفرح
بنا فى الأول ، ويصير يربينا فى الثانى لإخلاقنا بواجب حقه
أو مخالفتنا لأغراضه ، ونحو ذلك من المحامل الحسنة

وسياتى عن سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه : أنه كان يحزن
على موت عدوه الذى كان يؤذيه ، ويقول : مات الذى كان يحصل لنا الأجر
والخير بسببه .

وهذا خلق لم أر له فاعلاً من أقر انى إلا قليلاً ، وغالبهم لا يقيم لمن
أذاه عنوا ابداً .

فلم أنه ينبغي لكل من قام عليه قائم أن يتطلب من الله تعالى وجه
الحكمة فى ذلك ، فإن أظلمه الله تعالى عليه فذاك ، وإلا سلم لمولاه فإن الله
تعالى أعلم بمصالحه منه

ولما شفعت عند الوزير على الباشاء بمصر فقبل شفاعتى ، وكان قد شفع
قبل جماعه ، فردهم تحزب الحسدة على من كل جانب ، وكتبوا فى قصصاً بالتمجيد
ليغيروا قلب على باشاء على ، حتى لا يقبل شفاعتى بعد ذلك ، فأول ما بلغنى .

ذلك بادرت إلى شكر الله تعالى ، ورأيت أن عدم قبول شفاعتي أريح
لسرى ، وسره ، فإن من شأنه التضيق على عمال السلطان في أخذ الأموال
التي عليهم ، فلا يسهل من جماعة السلطان أن يقبل شفاعته من شفيع فيهم أن
يصبر عليهم ، ولا يضيق عليهم ولا يسع الفقير إلا أن يشفع فيصير الفقير
الباشاء في تعب فتارة يغضب الفقير على الأمير وتارة يغضب الأمير على الفقير
، فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : صبرهم على رميهم بالزور عند الملوك والأمراء .

وعلى عمل الأعداء الخيل على نفيم ، وإخراجهم من أوطانهم ، وهذا من أعظم أخلاقهم لما سياتى بيانه قريبا إن شاء الله تعالى

وقد بلغنا أن أهل الغرب قاموا على سيدى الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، ورموه بالعظائم فلما بدأ فى الرحيل من بلادهم إلى مصر كتبوا فيه مكاتبات لسلطان مصر بأنه سيقدم عليكم رجل زنديق يأخذ بقلوب الناس من حلاوة لسانه ، وقد أتلّف عندنا عقائد كثير من الناس فأخرجناه من بلادنا ، فإياكم أن تمكنوا أحدا يجتمع عليه . وإن منعموه من سكن بلادكم حصل لكم خير كثير ، فإوصل الشيخ أبو الحسن إلى اسكندرية ، حتى وجد البلد ممتلئ بذكر نقايصه ، فأرسل له سلطان مصر جماعة يجادلونه فى الدين ، فوجدوه على الكتاب ، والسنه وأعلموا السلطان بأن تلك المكاتبات إنما هى من كلام الأعداء ، والحاسدين فاعتقده السلطان غاية الإعتقاد ، ثم نزل إلى زيارته من مصر ، فتلقاء الشيخ من باب اسكندرية ، فبلغ ذلك أهل المغرب ، فكاتبوه فى حقه بكلام أقبح من الأول ، وأطعنهم جماعة من المغاربة باسكندرية ، أنهموا للسلطان أنه يعمل الكيمياء فتغير اعتقاده فيه ، فوقع أن حازندار السلطان فعل أمرا يوجب القتل تخاف من السلطان وهرب إلى الشيخ باسكندرية فدخل ذلك إلى السلطان فأرسل له السلطان يغلظ عليه ويقول له : تتلف على أصحابى وعمالى ، فقال نحن ممن يصلح ما نحن ممن يفسد ، ثم إخراج المملوك من مخبأه وقال له : خذ هذا ؛ فبال عليه فانقلب الحجر ذهباً خالصاً فقال الشيخ : خذوا ذلك للسلطان يضعه فى بيت المال فاعتذر السلطان عن ما كان منه إلى الاعتقاد ثم نزل لزيارة الشيخ وطلب منه أن يعطيه المملوك ليبول له على ما شاء من الحجارة فقال الشيخ للسلطان فاعتذر لأنه فى ذلك من الله تعالى ، ولم يزل السلطان على اعتقاد الشيخ وعرض الوظائف ، والرزق فأبى ، وقال : الذى يبول خادمه على الحجر .

فيصير ذهاباً باذن الله تعالى لا يحتاج إلى أحد من الخلق ، ثم أن الشيخ أبو الحسن سافر إلى الحجاز من ناحية القصير ، فأتى في الطريق في صحراء حميرة ، وقبره هناك ظاهر يزار ، وكذلك وقع لتلميذه الشيخ أبي العباس المرسى أن السلطان الغرب كان يعتقد كل الاعتقاد ، فوشا الفقهاء بينهما ، حتى صار ينكر عليه غاية الإنكار ، ووضع له دجاجة ميتة بين دجاج مذبوح ، وقدمها إلى الشيخ ، وقال : إن كان هذا من أولياء الله تعالى ، فهو يطلعه على الدجاجة الميتة ، فلما وضعوا السباط أشار الشيخ إلى الفقراء بأن لا أحد يأكل من ذلك الطعام ، وقال : إن مرقه نجس من الدجاجة الميتة ، وأخرجها يعود من بين المذبوحات ، فاعتقده السلطان ، ثم مازال أهل الغرب يؤذونه ، حتى جاء إلى اسكندرية ، ففقدوا له مجلس المناظرة ، فقطع علماء مصر بالجميع ، وسلك على يديه ثلاثون قاضياً وعدوا ذلك من جملة كراماته .

قلت : وقد وقع لي من الأذى نحو ذلك من جماعه معروفين في مصر ، فأخذوا من بعض المخفلين من أصحاب كتاب العمود الذي كنت ألفته ، وكتب عليه أنه الإسلام من الأئمة أهل المذاهب الأربعة ، وكتبوا أمته بعض كرايس ، ودسوا فيها كلاماً مخالف ظاهر الشريعة وسبكوه في أثناء كلامي حتى كأنهم المؤلف للكتاب ، ثم أخذوا تلك الكرايس ، ودخلوا بها الجامع الأزهر الذي هو قلعة الإسلام ، وقالوا للعلماء : أنظروا هذا الكتاب الذي ألفه فلان فوقعت فتنة عظيمة ، وبادر المنكرون إلى الإنكار ثم داروا بتلك الكرايس على أكابر مصر من الولاة ، والمباشرين ، وأنا لا أشعر ، فلما شعرت بذلك أرسلت لهم النسخة التي عليها خطوط العلماء كالشيخ ناصر الدين اللقاني ، والشيخ شهاب الدين وشيخ الإسلام الفتوحى وغيرهم من كبار العلماء والمشايع المشتهرين ففتشوها فلم يجدوا فيها شيئاً من اتهم والباطيل وانتصر لي غالب العلماء بحمد الله تعالى .

وقد حدث لي أيضاً أن أشاعوا عني أنني أدعيت الاجتهاد المطلق

وانتشر ذلك حتى صاروا نحو ثلاثين ألفا ، ثم كتبوا بذلك للسلطان سليمان بن عثمان ، فلما وصلت المكاتبات حصل رج في اصطنبول ، وكان هناك سيدى أبو اللطف ولد شيخنا فدار على الوزراء والقضاء وبرأ ساحتى عندهم ثم لم يزالوا يردوني إلى وقتى هذا ، وما بلغنى أنهم كتبوا على خد باب السلطان بقلم غليظ الشيخ عبد الوهاب سلطان البر والبحر بقصد أن السلطان يقرأ ذلك ، فيتغير ، ويسأل عنى فيؤذنى فحمانى الله تعالى عن مسح ذلك من أصحابى ثم إن السلطان أرسل لى السلام ، ومع ذلك بساطا أصلى عليه ، وأدعوا له وهو عندى الآن وحصل بذلك لأعدائى غاية الهم ، والغم ، فآله تعالى يغفر لهم آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة تحملهم للأذى في دار إقامتهم وعدم محبتهم الرحيل منها فراراً من الأذى .

حتى كان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه تعالى لا يقيم إلا في موضع الإنكار عليه ، وقد وقع لسيدى إسماعيل بمنوبة تجاه ساحل يلاق بمصر المحروسة أن أهل منبوبة أشد إنكارهم عليه فطلب الرحيل عنهم فأناخ جملة وصار يضع عليه من أمتعة البيت ، ثم قال يكفيني بخملة فقال صبي صغير هناك يا عم الجمل يحمل أكثر من ذلك ، فأخذ سيدى إسماعيل من ذلك معنى وقال الجمل يحمل ، ورد أمتعته التي كان أخذها للدار ، فبينما هو واقف إذ سمع قائلاً يقول : يا إسماعيل قد عرفت تأبى لعلنا ولو مست من القتب واستمر في تحمله . فأيده الله تعالى به وبكلام الصغير .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

إذا مات عدوه الذي كان يؤذيه :

يأليته بقى معنا كان يحصل لنا على يديه الخير

وكذلك سيدى محمد الشناوى . أخرجوه من بلده الحصة إلى محلة روح

فكان بها إلى أن مات .

وكذلك سيدى إبراهيم المتبول أخرجوه من متبول فدعى على بعضهم

يسواد الوجه ، وبعضهم بالهشكة فلم يزل البعض الأول يلدوا أولاد أخذوهم

سود والبعض الآخر الثانى يلدوا أولاد اتلوط الناس في ذكورهم ، ويزنون

يائناً ثم .

ولم يزل الأولياء على ذلك سلفاً وخلفاً تبعاً للأنبياء . في ذلك ، فامن

نبي إلا وأخرج من بلده إلى غيرها ، ومات بها لكن جميع ما نقل من ضجر

الأولياء من البلايا إنما هو في بداية أمرهم ، ثم إذا رسخوا ثبتوا للأذى ،

ورأوا الفضل لمن أذاهم عليهم ، ثم سألوا الله تعالى أن لا يؤاخذهم إذا هم

لا في الدنيا ، ولا في الآخرة ، وبعضهم يصير ينقسم كلها أذوه ، ويدعوا لهم بالمغفرة .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول :

جميع ما بلغكم من السلف من التعلق ، والرحيل من كثرة الأذى إنما ذلك كان في مبتدا أمرهم ، وأما حال نهايتهم ، فحكم من يؤذيهم حكم ناموسة قنحت على جبل تريد تزيله بنفخها انتهى ..

وسمعت مرة أخرى يقول : إنما كان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة تشريعا لأمة صلى الله عليه وسلم ، وإلا فهو صلى الله عليه وسلم ، كان يحمل أكثر مما حصل له من الأذى بل يقدر على أن يحمل أذى الثقيلين لأن بداية النبوة أكمل من نهاية الولاية فافهم .

قال : وكذلك أمره صلى الله عليه وسلم حسانا أن يناضل عنه المشركين بالهجماء إنما كان ذلك تشريعا لأمة لا عدم قدرته على تحمل أذاهم انتهى .

وسمعت مرة أخرى يقول : على الولي إذا وصل إلى مرتبة القطب أن يتحمل من البلايا ما لا يطيقه الجيال فإن بلاء أهل الأرض كله ينزل على القطب أولا ثم ينتقل إلى الذي يليه في القطبانية ، ثم إلى الأوتاد الأربعة ثم إلى الإبدال فلا يزال ينتقل من مرتبة إلى أخرى من أصحاب الدوائر والمقامات ، ثم إذا قاض شيء بعد ذلك تحمله عباد الله من خلص المؤمنين ، فربما وجد أحد ضيقا في صدره وقد يشمر أحد الناس بالقبض يازمه ، ولا يعرف سبب ذلك فهذا سببه انتهى وقد بينا ذلك في خاتمة كتاب المن الكبرى فراجعوه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تمكينهم أحداً من التماس بحبيب عنهم من رماهم
بزور أو بهتان وهو من أعظم أخلاق الرجال .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين يحلف أصحابه أن لا يجيئوا عنه أحداً
رماه بهتان من باب الانتصار له ، ويقول :

إن كنت ولا بد مجيباً فأجب من حيث أن الشارع أمرك بأن ترد عن
عرض أخيك المسلم .

قال : وذلك لأنى أزعج أنى من جملة المحبين لله تعالى ، ولا بد لكل
محب من الإمتحان بالبلايا ، حتى يعرف صدق نفسه من كذبها ، فمن راعى
محبة ربه قفى فى جنبها كل شئ يقاسيه ،

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول :

لا بد لمن يطلب أن يكون من أهل الله تعالى ، من وجود حاسد أو عدو
يؤذيه ، فإن صبر نال مقام الإمامة ، وإلا خرج نحاساً ، وتأخر قال تعالى :
« وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا » ، وقال تعالى : « ولقد كذبت رسل
من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا ، وأوذوا ، حتى أتاهم نصرنا .

قال : والنكته فى ذلك هو أن الحق تعالى لا يهطئ قط عبداً من عباده
إلى حضراته ، وهو يطلب له مقاماً عند الخلق ، فلذلك يساط الله على العبد
الاذى ، حتى يصير لا يركن إلى أحد من الخلق ، فإذا تحقق بذلك اصطفاؤه
الله تعالى ومادام يركن إليهم ويحب اعتقاده فيهم ، فهو بعيد عن مقام
الاصطفاء .

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله يقول :

جرت سنة الله تعالى فى أنبيائه وأصفياه على كثرة الأذى فى مبتدأ

أمرهم ثم تكون الدولة لهم آخرأ إن صبروا .

وقد بسطنا الكلام على من أودى من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم
في كتاب المن ، وذكرنا من قتل من الخلفاء والملوك ، والأمراء ، فراجعوه ،
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة شكرهم لله تعالى كلما نقصهم عدو أو حاسد ورماهم بالبهتان .

لعلهم بأنه ما نقصهم إلا بعد أن شهد علو مقامهم عليه ، ولولا ذلك ما أشغل نفسه بتنقيصهم لأنهم ناقصون حينئذ في ذهنه .

ثم غالب ما ينقص به الحاسد من فاقه في العلم ، والعمل والجاه مثلا أمور باطنية ، ككبر ، وعجب ، وحسد ، وحققد ، ومكر ، ومحبة رياسة ، ونحو ذلك ، لأن المعاصي الظاهرة لا تكاد تقع من العلماء ، والمشايخ إلا نادرا ، فلو أن الحاسد رماه بترك الصلاة أو بشرب الخمر لكذبه الناس ، وردوا عنهم أشد الرد ، فلما عجز عن إيصال الأذى لهم برميهم بالمعاصي الظاهرة عدل إلى رميهم بالمعاصي الباطنة لعلها تقبل في حقهم .

ثم لا ينبغي أن تسليط الناس على الأوليا بالأذى إنما هو تكفير لذنوبهم أو اختبارهم أو رفع لدراجاتهم [لأربع لهذه الأمور وأما تسليط الخلق على الأنبياء ، فإنما هو رفع درجات لهم ، وليقتدى بهم الناس في الصبر إذ ليس لهم ذنوب تسكف كما لنا ، ولا يحتاجون إلى الاختبار لعصمتهم فافهم .

وكان الإمام زين العابدين رضي الله تعالى عنه إذا انقصه أحد يقول :

اللهم إن كان صادقا فأغفر لي ، وإن كان كاذبا ، فأغفر له .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول : اللهم : أكثر حسادى واعدائى .

فقلت له : لماذا ؟

فقال : لأنهم إذا كثروا لم يكن لذلك معنى الا كنت في خير ، ولو أتى كنت في نقمة ما حسدوني .

ولكن ليس معنى ذلك عدم الإنكار على الحاسد بل لا بد من الإنكار عليه وبيان حكم الشرع فيه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : رجوعهم إلى الله تعالى بالاستغفار كلما أذام أحد
والوقوف بين يديه سبحانه وتعالى

إذا أصبح تسليط الخلق على العبد ما دام يشهد أنه بين يدي ربه أبدا
بل هو في حماية الله تعالى من الجن والإنس وغيرهم ، وإنما يقع التسليط إذا
غاب عن هذا المشهد .

وقد جربنا فما وجدنا شيئا أسرع لتسكين العبد من الاستطال بالله تعالى ،
وكثرة الاستغفار .

وقد غاب عن هذا المشهد كثير من الناس فدام الأذى عليهم فلا يزال
أحدهم يرى نفسه مظلوما ، ولا يتذكر له ذنبا .

وسمعت سيدي محمد بن عزان رحمه الله يقول :

إذا اشتغل الناس بك ، فاشتغل أنت بربك فإن يده زمام جميع الأمور
ولا تشتغل بمقابلتهم تتعب ، ثم لا يزداد الأمر شدة .

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول :

إذا بالغ أحد في إيذائك فاسكت فإنه يرجع عنك ، ولو على طول ويحجل
منك بخلاف ما إذا قابلته ، فإن الدخيره أعظم بذلك .

وقد أوحى الله تعالى إلى السيد داود عليه الصلاة والسلام : يا داود إن
طلبت نصرتي لك ، فلا تبغ على من بغى عليك ، فإني لا أقصر إلا لمن رضى
بعلني فيه ، ولا تستبط لإجابة دعائك في حق من أذاك ، فإني إنما أفعل ذلك
لأعمالك به إذا ظلمت شخصا ، ودعى عليك ، فإن طلبت سرعة لإجابة دعائك
على خصمك ، فاستعد لسرعة لإجابة دعاء خصمك عليك انتهى وفي البخاري

إن شخصا من بني اسرائيل سرق دجاجة فلما ذبحها وتغريشها نبت الريش
في جسده وحاول إزالته بكل حيلة ، فلما دعت عليه صاحبة الدجاجة سقط
الريش :

والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا أذاهم إنسان ولم يستطيعوا دفع أذاه .
أن يطلبوا النصرة لأنفسهم .

وسمعت سيدى علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول :

لا يقدح في مقام الكمال انتصارهم بأحد من الخلق لأنهم يشهدون
لانتصارهم بالخلق من جملة نصرة الله لهم من حيث أن له انفعلاً بالآله وبلا آله
قال تعالى : قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم . وقال تعالى : فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم ، الآية انتهى .

ويُرِيدُه انتصار الانبياء بأصحابهم كما قال تعالى : وإذا قال عيسى ابن مريم
للحواريين من أنصاري إلى الله ، أى مع الله . فاستعمل الواسطة من غير وقوف
معه ، حتى لا يعطل استعمالها وهو معتمد على الله تعالى لا على الخلق ، فعلم
أنه لا يقدح في كمال الولي الاستناده إلى الخلق مع غفلته عن كون نصرتهم
له من الحق ، وسيأتى انتصار سيدنا رسول الله صلى عليه وسلم بالانصار ،
وبحسان ابن ثابت قريباً إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة رحمتهم ومداواتهم لمن يرويه مقرضاً في الناس .
 فيطعمونه أحسن ما عندهم ، ويجلسونه على أوطى الفرش ، ويحلقون
 عليه أن يأكل أو يجلس كل ذلك حتى لا يقع في حقهم ، فيأثم ، وخوفاً على
 أنفسهم أن العناية تتخلف عن أحدهم ، فيصير الآخر يقع في عرض من
 يقع في عرضه .

وهذا الخلق قل من يتنبه له من الناس ، وإن وقع أنهم أكرموا المقرض
 فإن ذلك خوفاً أن يقع في عرضهم بين الناس ، فينقص مقام أحدهم
 لاختوافاً على المقرض من وقوعه في الإثم .

وقد وقع لي مع شخص من أهل الجدل أنه دخل علي ، وأنا مريض ،
 فلم أقبل له اجلس علي الطراحة ، فمزق عرضي وصار يقول : عزم علي
 عبد الوهاب عزومة محولة مع أني كنت في مرض شديد ذلك اليوم ، وكنت
 لا أقدر علي فعل شيء لدرجة الفطر في رمضان فكان يا أخى علي حذر فإن
 عندهم لساناً يروجوا به الباطل ويطلبون من الإكرام ما ليس عند الأمرا

والأكابر وقد جاءني قاضي العسكر ذات يوم وكان في أدب جم فطلبت
 منه الجلوس علي الفرش فأبى وجلس علي الحصير فانظر الفرق بين هؤلاء ،
 وأهل الدعوى من التواضع والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : كثرة محبتهم وشفقتهم على كل من أساء إليهم أكثر من محبتهم وشفقتهم على من أحسن إليهم

فإن المحب لمن أحسن إليه إنما ينظر إليه بكثرة نفعه له فلا شك ولا ريب أن من آذاك فقد تكرم عليك في الآخرة بدينه ، وبصالح أعماله ، وذلك أعظم من حطام الدنيا جميعه ، لكونه ممكنك بأخذ حسناته يوم القيامة أو من وضع سيئاتك فوق ظهره إن فنيت حسناته كما ورد

وهذا خلق غريب قل من يتخلق به من الأقران ، وقد تخلقت بذلك والله الحمد فأنما أجد في نفسي الآن كثرة المحبة ، والحنو على كل من آذاني أكثر ممن يحبني ويحسن إلي ، وصاحب هذا المشهد لا يرى أحدا من الخلق مسيئا إليه أبدا ، إنما يراهم كلهم محسنين إليه ، فمن لم يحسن إليه بالإحسان العادي ، وبالغ في إيذائه ، فهو محسن إليه بدينه ، ولا يخلو أحد من هذه الثلاثة أموره وقد كان سيدى على الخواص إذا رأى أحدا يقرض في عرض الناس يقول له :

يا ولدى أكثر من الأعمال الصالحة لتعطى منها أصحاب الحقوق يوم القيامة

وسمعتة يقول لمقراض :

لوعلت يا ولدى تحكم المظلومين في أعمال الظالمين مانمت الليل ، وكنت تصوم النهار ، وهيات أن يتحصل من أعمالك شئ يكفى الناس الذين وقعت في أعراضهم

وسمعتة مرة أخرى يقول :

لا يمكن أن يفرح بكثرة ابناء الخلق له إلا من لم يطلب له مقاما في الدنيا
لزده فيها ، وفي أهلها ، وإلا فمن لازمه غالبا التكديفاته يكون بعيدا عن أن
يخرج به انتهى والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : النظر بالرحمة على من يؤذيهم

وقد أبلغنا أن من أخلاق العارفين أنهم ينظرون بعين الرحمة والإحسان لمن أذاهم قبل من أحسن إليهم ، وذلك لينزلوا من نفسه كل حقد وحسد . . . حين يرى مقامهم عند الله

وهذا من أعظم فتوه تكون لهم في الآخرة ، فإن المحسن يشفع فيه لإحسانه ، والمسيء ربما عاقبه الله تعالى بإساءته

وكان أخى الشيخ أفضل الدين يقابل من أذاه باللسان فقط دون القلب . بقصد تخفيف العقوبة عن عدوه في الآخرة ، لعلمه بأنه إذا لم يقابله كان خصمه الله ولا يخفى شدة عذاب من خاصهم به . وكل هذا من جملة تخلق القوم بأخلاق الله تعالى صورة ، فإنه تعالى ما ذكر أنه استوى على العرش إلا بالإسم الرحمن . فعمت رحمته جميع من حواه العرش . إمارحة إيجاد ، وإمارحة إمداد . وإمارحة إمهال ، فالحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : عدم إعتاب سرهم في تدبير حيلة يقابلون بها من أذاهم
بقول أو فعل فإن كل كلام معنى مضمون

وربما أنساه الله تعالى له وقت الحاجة عقوبه له لتدبيره مع ربه تعالى :
وهذا خلق غريب وغالب الناس إذا قام عليه عدو أو حاسد يصير يسهر
يهد ، ويبني في الخيل طول ليله ، وقد حذرنا الله تعالى تحذيرا مطلقا من
الحكر بأحد من المسلمين أو من فیتنا لأحد منهم سوءا بقوله تعالى : أفأمن
الذين مكروا السیئات أن ینصف الله بهم الأرض ، الآية
وسمعت سيد علی الخواص رحمه الله تعالى يقول :

من أقبح ما يقع فيه العالم أو شيخ الزاوية مقابله بالأذى لمن يؤذيه فإنه مثله
في الأذى ، كما أشار إليه قوله تعالى : وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فسمى سيئته
المجازاة سيئة كذلك واكدها بمثلها ليتنبه العارف على ترك المقابلة ولا يفعل
فعل أهل السوء انتهى وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المنن الكبرى
في الخاتمة والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم: إذا قام عليهم قايـم يؤذيهـم أن يتظروا في السبب الذي حرك عليهم ذلك العدو لأن يؤذيهـم

فإن لم يعرفوا السبب في ذلك استغفروا الله تعالى من كل ذنب يعلمه سبحانه، وسألوا . ربهم أن يدبرهم بأحسن التدبير وأن يسامح من قام عليهم ولو بغير حق .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول :

ما قام على أحد قط قائم إلا بذنب أحدثه ، ولو غفلة ؛ وإن كشف الله عن أحدهم الحجاب وجد الخلق الذين يؤذونه في الدنيا إنما أذوه جزاء على أعماله . كالحكم في زبانية جهنم ، فإنهم على صورتهم ، فكما لا يسمي أحد من الزبانية ظلة يوم القيامة ، كذلك أهل الله تعالى لا يسمون أحدا ممن يؤذيهـم في دار الدنيا ظالما أبدا إنما يرونه كالمجبور على ما يفعله بهم لكن لا يخفى أنه لا بد مع هذا المشهد من نسبة الظلم إلى من أذاه في دار الدنيا بغير حق لأجل نسبة الفعل إليه بخلاف الزبانية لأنهم ليسوا في دار تكليف هناك فافهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: كثرة محبتهم وتعظيمهم للعالم حتى لو أنكر عليهم أمورا في الطريق .

لأن العالم ما أنكر إلا لأنه رأى أبناء هذا الطريق مخالفون لظاهر الكتاب والسنة .

فالفقيه الذي يحذر أن يكون في أمور طريقه فعل ما يخالف ظاهر الشرع والكتاب والسنة .

أما نظر في طريقة ولم يظهر منه شيء يخالف الكتاب والسنة وظاهر الشرع فإنه يحذر أن يחדش حياء هذا العالم .

ومن تأمل بعين العناية لوجد جنود الله تعالى أرسلهم إليه يحذروه مما لعله يكون سببا في مخالفة الكتاب والسنة .

فقد كان الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول :

ما أمرني فقيه بعمل إلا ووضعت في عيني وشكرت فضله ، ولو لم أكن وقعت في شيء ، فالفقيه يجتهد في الفهم ، فلا ينكر إلا ما لم يقبله فهمه ، فما أنكر إلا على قدر ما أدى إليه اجتهاده من أن ذلك الأمر الذي أنكره خارج عن الشرع .

فبإسعاد من كان مقبلا في مثل جامع الأزهر ، وجامع انعمري ، فإن الفقهاء من المجاورين فيهما لا يكادون يغادرون صغيرة ، ولا كبيرة عملها إلا أحصوها عليه ، وناقشوه فيها فلا يتكدر من مثل ذلك إلا المراهي الآحق .

ثم إن هذا الخلق لا يقدر على التخلق به إلا من تخلص من الرغوات النفسية ورزقه الله تعالى الإخلاص الكامل ، حتى صار لا يطلب له مقاماً عند أحد من الخلق .

وفي كلام سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه يقول :

ما وقف أحد مع الخلق ، وراعاهم على أعماله إلا سقط من عين رعاية الله تعالى .

وسمعت سيدي علي الخراس رحمه الله يقول :

من علامة المخلص لله تعالى أن ينشرح لمن ينكر عليه ، لأنه نبيه بذلك الأمر على أن يأخذ حذره عن الوقوع فيه ، ومن شأن العاقل أن يهرب من فعل كل شيء أنكره عليه ، فالواجب على من نبيه أخوه على نقص أن يشكر فضله على ذلك ومتى تكدر من نصحه فهو من عدم الإخلاص فإن المخلص لم يزل يخاف من أن يكتب مع الائمة المسلمين لعدم عصمته فربما تمادى على قول يخالف ظاهر الشريعة فتبعه على ذلك جماعة فإذا وعظهم في ذلك عالم أنكروا عليه واعتقدوا ذلك .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

على كل من تصدر للمشيخة بين المريدين ووضع بين يديه أمر الطريق أن يحذر من مخالفة الشريعة ، وإن وقع في مخالفتها فيجب عليه إذا نصحه عالم أن يعلم الناس بذلك ولا يصر على المخالفة فإن ذلك يؤدي إلى الخسران المبين وضياع الطريق فيرتفع فيه الشيطان .

وقد حكى القشيري رحمه الله تعالى يقول :

أن أبا عثمان المغربي كان يعتقد شيئا من الجهة فلما تاب نادى في أصحابه قد أسلمت إسلاما جديداً فرجع أصحابه كلهم عن ذلك انتهى .

فاحجب يا أخى علماء الشريعة ، وجاورهم وغالطهم تنز بهمة الطريق

المستقيم ، وأما قول سفيان الثوري وذى النون المصري والقنيل بن عياض
إياكم ومخالطة الفقهاء فإنهم إن أحببواكم مدحواكم فمخشوكم ، وإن بغضواكم
جرحواكم بما ليس فيكم وقبل ذلك منهم ومحمول على من لم يكن مشهده ما ذكرناه
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : مبادرتهم للشكر إذا نقصهم من عند الأكابر من الملوك والأمرا كما يشكرون الله تعالى إذا كبر وهم عند الأكابر ومدحهم .

بل أعظم لأن السلامة مقدمة على النغيمة ، والسلامة هي نعمة الأمرا من الفقير فإن كثرة محبته لهم تورثه الركون إليهم ، ولا يسلم أحدهم من الظلم غالباً فيصير يركن بقلبه إلى الذين ظلموا ويخالف قول ربه في قوله تعالى « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، الآية .

وقد تخلقت بهذا الخلق والله الحمد فإني لما طلعت إلى الباشاه على الوزير في شفاعته قام لي وأجلسني على كرسيه ، وكنت قد خلعت نعلي خارج فرشه فأمر بإحضاره وأخذه في يده ، فألبسه لي فيرجلي بيده وسمع بذلك الحسدة فتقطعت قلوبهم من الغيظ ، ثم شرعوا في حيلة تنفذه مني فكتبوا فيه : أني شيطان نصاب ومعنى أسماء أقرؤها على الولاية فيخضعون لي دون إرادة ، وكان الباشاه يقرأ القصة تلك وهو ساكت فلما انتهى من قراءته أخذوا يذمون في ويقدمون له أكاذيب أخرى حتى ندم على ما كان فعله معي من التعظيم والإكرام ولم يعرف حالي ، فبلغني ذلك ، فخررت لله ساجداً على تلك النعمة حيث لم يجعلني أركن إلى الأكابر أني أنشرح صدري فعلمت أني تخلفت بهذا الخلق يقيناً ولو أني لم ينشرح صدري لعرفت أني غير فتخلق بهذا الخلق ولتكدت ضرورة ، ثم إن الباشاه أرسل إلى السلام وألقاه وقال : إني أعلم أن كل صاحب نعمة محسود ، وإن العالم له عدو والشيخ له عدو ، والباشاه مثلي له عدو ، وقول العدو لا يسمع في عدوه انتهى .

فالعاقل من يجد المنقص له عند الأمرا أريح لسره عندهم من يكبره عندهم ، فالواجب عدم التكبر منه لما حصل لنا على يده من الراحة ، وإن لم يقصد هو ذلك وقد مر بسط ذلك مراراً في هذا الكتاب فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة صبرهم على أذى جارهم .

لا سيما تخصم النساء مع بعضهن فإن الأذى يطول لكثرة منهن بالباطل من غير تحقق ، ولا تحرير وربما سمع كل زوج من زوجته ، فصدقها ، وكذب خصمه ، فتتقل العداوة بين الرجال ، ويصل الأمر إلى الشكوى إلى الحكام .

فأعلم يا أخى ذلك واصبر على أذى الجار وكل من أذاك بشيء ، وقل الحمد لله الذى لم يكن ذلك أشد من هذا الأذى ، وإياك أن تشتكى الزوجة إلى زوجها ، أو الأخت إلى اختها أو أخيها ، أو الابنة إلى أبيها ، وبالعكس إلا إن كنت تعلم خروج من اشتكيت إليه عن حكم الطبع وإلا فن لازمه المجاملة عن أخيه ، أو زوجته . أو من يلو ذبه لميل كل واحد منهما إلى صاحبه بالطبع لا بحكم محبة الإيمان ، والطبع الروحاني لا سيما لنساء المجاورين في الزوايا إذا كان الأزواج في جمع واحد ، فليس شيء أنفع لهم من الصبر والمخالطة لبعضهم بعضا بجميع صور المحبة . والضبط على كل ما يسمع وتبليغه لكل أذن فليس كل ما يسمع يقال فأعلم ذلك أيها الفقير واعمل به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : (صحبة أبناء الدنيا لغير عرض دنيوى

فليزهد الفقير فى الدنيا . ليصير يصحب أهلها لغير غرض دنيوى والا
فن لازمة محبة من يجلب أبناء الدنيا اليه ، وكرهه لمن ينفرهم عنه لا سيما فى
النصف الثانى من القرن العاشر الذى تكالبت النفوس فيه على الدنيا ، وصار
كل من بيده شيء من الدنيا عدوا لكل من ليس معه شيء منها إن لم يقسمه
بينه ، وبينه فلا من معه المال يتمم مامعه . ولا السائل يرجع عنه بالأذى

وقد كان السلف الصالح اذا طلب منهم انسان الصحبة يقولون له : هل
تطيب نفسك بمقاسمتنا لك فى مالك ! فإن قال : نعم صاحبه . وان قال :
لا قالوا له : اذهب بسلام

وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المتن الكبرى فراجعوه والحمد
لله رب العالمين

ومن أخلاقهم: محبة كل من طلبوه لصحبتهم فأبى لأنه أعتقهم من تعب الصحبة وحقوقها .

فإن من حقها أن لا يميز نفسه على صاحبه في أكل ولا شرب ولا لبس . ولا محبة ، وهذا يكاد يكون مفقودا لاسيما في هذا الزمان .

ومن شروط الصحبة : أن يتفق أحداهما عيال أخيه إذا سافر بالأكل والشرب ، والنفقة ، ولا يحوجهم الى القرض من أحد .

ومن شروطها : أن يقاسمه في حسناته كما سيأتي فعلم أن كل من تكدر من لم يصحبه في هذا الزمان ، فهو من الجاهلين والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة تحميلهم هموم إخوانهم

فتجد الفقير امتنع من ابتداء أحد بهديه خوفاً عليه من تهمة أنه ينظر إلى الهدية بعين الاعتبار ، ويمتنعون من قبول هدية أحد من إخوانهم خوفاً من أن تهمة أنهم ينظرون إلى ما في أيدي الناس فهم يتحملون هموم المسلمين من غير أن يكون عندهم رغبة لأن يكون المتحملين عنه ذو أيادي عليهم

ووالله اني لادخل في هم أحد العباد فلا أتركه حتى يزول وأشعر بأن جسمي غلبه

وكثيراً لما يجتمع على هموم كثيرة فأقول : فلا تبال يا أخى ما أفاسية ، فإني أشارك الكمل في همومهم .

ثم لا يخفى عليك يا أخى أن مقام تحمل هموم الناس هو لكل أحد ، وإنما هو خاص بأفراد منهم كما مرّت الإشارة إليه ، وصاحب هذا المقام لا آخذ لقمة منه قلباً ولا جسمه ، لا يكاد يأكل ، ولا يشرب ، ولا ينام . ولا يجامع ولا يضحك ولا يدخل حماماً . ولا يلبس ثوباً نظيفاً . ولا مبخرًا حتى يزول . هم أصحابه . حكمه حكم من مات له ولد عزيز . أو صديق حميم . فإنه لا يكاد يفرغ لشيء مما ذكرناه وربما زال هم ، فاستقبله هموم آخر ، وهكذا كما بسطنا الكلام على ذلك في خاتمة كتاب المنن والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : سرورهم بكثرة من يمايتهم من حيث تحكيم الله لهم في حسناته يوم القيامة لا من حيث وقوعه في تلك الغيبة .

فإنه يحب على العارف أن يغتم لذلك من حيث أنه شيء يكرهه الله عز وجل .

وكان سيدي أفضل الدين رحمه الله يقول :

كما كثرت فلاحوا الامير كما ازداد سعة في الرزق ، وكذلك من يستغيب
الفقير هو فلاحه ، فكما يزن الفلاح المشهور الخراج من المال كذلك يزن
المستغيب للفقير خراجه من دينه ، وأعماله الصالحة يوم القيامة . فاللائق بمن
كثرت غيبة الناس فيه الفرح لا الغم إن كان يدعى مقام الإيمان ، والتصديق
بأحوال يوم القيامة . حتى كأنه رأى عين فإن من لازم من كان حاله عدم
التصديق الغم لا الفرح فأعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : عدم تصديقهم في الناس ما أشاعه عنهم البعض الآخر .

وعدم سماعهم شيئا من الإشاعة من غير ثبوت ، فإن غالب الناس اليوم يكذبون على بعضهم البعض ويرمون بعضهم بأشنع التهم فهذا يجب عدم قبوله في حق الناس وعدم السكوت عليه بل يجب النصح .

وقد كذب بعضهم في حق بعض العلماء ، حتى أخرجوه من الجامع الأزهر وأثار عليه نائرة الناس والعلماء . فسألت الذين أشاعوا عنه هذه الإشاعة إن كان عندهم دليل أو بينة على ثبوتها . فما حاروا جوابا ، وسألت الناس أكل شيء أشيع يكون صحيحا فقالوا : لا فقلت : وكذلك ينبغي الحكم في حق غيرك فليس كل شيء أشاعه الناس عن هذا الرجل يكون صحيحا فسكتوا ولم يجيروا جوابا ، وظفرتني الله على من أشاع بالحجة ، فرجع

فإن علت يا أخى ممن يقع في أغراض الناس الرجوع إليك باقامة الحجة ، فأقم عليه الحجة ، وإلا ففي المسئلة تفصيل لا يخفى على من نور الله تعالى بصيرته .

وقد وقع لي أنا هذه الاشاعة مرارا ، وأنا أعلم أنى برىء مما أضافوه إلى يقينا ، ولو لا ما عندى من الرحمة لمن وقع في عرضى بغير حق ما كنت أبرأت ذمته ، ولا رضيت بجميع أعماله الصالحة في غيبة واحدة .

فاحفظ يا أخى لسانك من الوقوع في أغراض الناس مطلقا الا بطريقة الشرعى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تبرئهم ، مما يضيقه الحسدة والأعداء إليهم من سائر النقايس إلا أن يكون فيما أضافوه إليهم حد من حدود الله تعالى .

فلم التبرئ منه دون الاعتراف به لئلا يظلم أحدهم نفسه بأقامة الحد عليها من غير موجب فافهم

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى لا يتكدر من نقصه عند أحد من الأكابر ويقول :

لا يخلوا ما نقصنى به من أن أكون وقعت فيه أم لا فإن كنت وقعت فيه ، فالغيظ منه حق ، وإن لم أكن وقعت فيه فقد قبحه فى عيى ، وحذرنى منه ، فإن من شأن البشر أن يظن كل واحد أن النقصان عنه حاجبا وبعد عن الوقوع فيه .

والفقراء لا يغضبون مطلقا فإن الله تعالى مدح السكاظمين الغيظ والعافين [عن الناس ، وهم أحق من يتخلق بذلك ، وقد رأيت فى واقعة لوحا مكتوبا فيه جميع ما احتوت عليه طينة البشرية . ورأيت جميع الصفات الحسنة ، والقيحة تغرب وتشرق فى كل إنسان من الأمة ؛ وما خرج عن حكم ذلك إلا أهل العصمة .

وقد ذكرت فى خاتمة المتن الكبرى جميع الكلام الذى كان مكتوبا فى ذلك اللوح فراجعوا الحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم شكواهم ما نزل بهم لأحد من الخلق

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « من يعتذرنى فى رجل يبلغنى أذاه فى أهلى ، فهو تشريع لضعفاء الأمة ، فإياك أن تعتمد على نصرة أحد من الخلق لك لا سيما فى هذا الزمان الذى اشتغل فيه كل انسان بنفسه ، وبتهيئة أمر معاشه ، فلا يكاد يتفرغ لتحمل هموم غيره فيه ؛ وغاية أمر غالب الناس أن يقول لمن شكى إليه هما من دين ، أو موت ولد أو عزل من وظيفه مثلا أن يقول له : لا حول ولا قوة إلا بالله الله الله الله ، فيتوجع له باللسان فقط ، أو بالقلب ساعة ، ثم ينساه ، وما هكذا كان الفقراء الذين أدركناهم إنما كان أحدهم يمكث الأيام والليالى متوجها فى إزاله ذلك الكرب الذى نزل بأخيهم لا يأكل ولا يشرب ولا ينام . ولا يضحك إلا ضرورة حتى تقتضى حاجة أخيه .

وانفقراء اليوم قلوبهم فارغة من هموم بعضهم نسأل الله اللطيف والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العفو والصفح عن جميع من جنى عليهم من هذه الأمة
المحمدية في مال أو بدن أو عرض

ولا يطالبون أحدا منهم بحق في الدارين أكراما لمن هم عبيده سبحانه
وتعالى ، ثم لمن هم من أمته صلى الله عليه وسلم لا لعله أخرى من طلب ثواب
أو غيره لأن همهم قد ارتفعت عن مثل ذلك . وأهل هذا الخلق قد صاروا
قليلًا في هذا الزمان ، ولم أر له فاعلا بعد أخى الشيخ أفضل الدين غيرى .

ولما دس الحسدة في كتي العقائد الزائفة وأشاعوها عنى فلا يعلم عدد
من استغابني في مصر وقراها الا الله تعالى ، فسأحت الكل ، وقلت : اللهم
أغفر لهم ما جنوه وإن لم أكن أعلمهم فأنت يارب تعلمهم ، فقال بعض
الإخوان : كنت صرت عن مسأحتهم حتى تنظر حالك في الآخرة ، فربما
تكون محتاجاً إلى حسنات من أغتابك ، فقلت : لو أتيت القيامة خاليا من
صائر الحسنات ما عدا الشهداءتين لأرجع عما سأحت الخلق به . فاني معتمد
على فضل الله تعالى لأعلى الأعمال ، وأستحي من الله تعالى أن أشاح عبداً
من عبيده ، وأستحي من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أشاح
أحدًا من أمته فيصير يشفع يوم القيامة ، ويحمل المربوط ، وأنا أربطه فالحمد
لله رب العالمين وقد بسطنا الكلام على ذلك في خاتمة كتاب المن فراجع
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تنقيص أحد من الناس في غيبتهم بعد موتهم كما يقع من بعض الحسده .

فيتهمون المتوفى بأنه استراحت البلاد والعياد منه ويذكرون فيه من النقايس ما يمنع مدح الناس عليه من العفو والصفح والحلم .

وعما فعله أحد الشخصين اللذين دسا في كتي ما دسا من العقائد الزائفة والخط على الأئمة الأربعة ضد ما كنت فعلته في كتي ، فأشاع موتي في جامع الأزهر ، وكتب بذلك إلى الإسكندرية ، والمحلة ، ودمياط . فأرسلت من طريق بعيدة أنظر ما سبب ذلك ، فسمع شخصا من طلبته يقول : إنما فعل شيخنا ذلك ، لينظر ماذا يقول الناس في فلان بعد موته من ذكره بالنقايس انتهى .

فحمدا لله تعالى ما ذكر الناس عنى لإخيرا ، فلا تسلم يا أخى ما حصل . لذلك الحاسد من الغم ، وقد فعلوا مثل ذلك مع الشيخ برهان الدين البقاعي . فأنشد وهو لسان حالى أيضاً :

الأرب شخص قد غدا إلى حاسدا

يرجى بماتى وهو مثلى فأتى

وباليت شعرى إن امت ما يتاله

وماذا عليه لو أطيل زمانى

نعم إثنى عما قريب لميت

ومن ذا الذى يبق على الحدثنان

كأنك بى انعى لديك وعندما

مرى فيه ضمت لها الأذنان

فلا () يبقى لديك ولا قلبى

فتنطق فى مدحى بأى معان

أى لأن حجاب المعاصره وقيام الجاه للمحسود مانع للحاسد من أن يذكر
عدوه بخير فإذا مات زال ذلك الأمر بل بعضهم تكثر الحسدة فيه الغيبه
بعد مماته أيضاً وذلك من جملة عنايه الله تعالى به لأنه إما يرفع درجاته بذلك،
وأما يكفر عنه سيئاته وأما ليقضى على ذنوبه السالفه ، فيخرج من قبره
وليس عليه ذنب ولا يخرج بذنوب أمثال الجبال .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يحث أصحابه على كثرة الأعمال
الصالحه ، ويقول لهم :

إعملوا صالحا وأكثر وايبصروا أحدكم يعطى منه أصحاب الحقوق التى
يطلب بها يوم القيامة ، ولعل بعض الناس لا يرضيه جميع أعمالكم فى غيبه
واحدة وقعت فى حقه بها انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : بعدم مساعدتهم الخلق الذين أذوهم في دار الدنيا أن يتوجهوا
بقلوبهم إلى الله تعالى ويشفعون فيهم عنده تعالى ..

لاحتيال أن لا يكون الله تعالى قبل مساعدتهم لمن اغتابهم مثلاً نصره
لأوليائه الذين أكرموا عباده لأجله ، فلا يزال أحدهم يشفع فيمن أذاه ،
حتى يلقى الله تعالى في قلبه أنه قبل شفاعته في ذلك الشخص .

ولما ساحت أهل جامع الأزهر الذين وقفوا في غيبي لمادس الحسدة
في كتب مادنوا رأى الشيخ محمد التلاوى المالكى أنى راكب على فرس عال
بسرجه مذهب ، ولجام مسكلى بالجواهر ، وأهل جامع الأزهر كأنهم يحشون
خلفى ، ورأى العالم الذى كان دس فى الكتب مادن ماسك اللجام يقودنى
فقال الشيخ محمد ، من هذا ؟ فقالوا له : هذا فلان راكب يشفع عند الله تعالى
فيمن وقع فى عرضه انتهى فالحمد لله رب العالمين ..

ومن أخلاقهم : صحة مسامحتهم لمن اغتابهم .

وصدق الذي اغتاب فيهم من المتهورين والمستزئنين فإن بعض الناس يسمعون الغيبة ويضحكون ويصدقون من افتري على الفقير ويضحكهم عليه في مجلسهم كما هو شاهد ثم بعد التصديق يعضون يحكون لكل من رأوه حاضرا معهم في المجالس ذلك الأمر ، ويقول بعضهم إنه لا يستطيع أن يدارى ذنوبه ، ويقول بعضهم والله ما كنا نظن أن فلانا يقع في هذه المعصية ويمضى يحكى ذلك الزور كأنه ثبت عند حاكم شرعى ثم يجلس أحدهم يحكى أنه متبرأ منه وأنه كان يشك فيه .

ولأنما سامح القوم من اغتابهم ومن سمع غيبة الناس فيه من ، حيث كونهم تعدوا حدود الله تعالى ، واستحقوا العقوبة بسببهم ، فلا يتمنى الفقرا أن أحدا يؤاخذ في الدنيا والآخرة بسببهم لعلو همهم ، وكثرة فتوتهم .

وهذا الخلق قد صار غريبا في هذا الزمان بل بعضهم لا يقدر ينظر من استغابه ، ولا في وجهه من صدقه ، ويود له دخول النار ، وذلك خلاف ما جبل عليه الصالحون والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم جوابهم عن أنفسهم حياء من الله تعالى .
فإنهم بين يديه على الدوام شعروا أو لم يشعروا فإن لم يكن ذلك كشفاً
كان إيماناً وفي الحديث : « أن شخصاً نال من عرض أبي بكر الصديق رضي
الله تعالى عنه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم » وأبو بكر ساكت ،
فلما أظال ذلك الشخص الكلام في عرض أبي بكر أجاب أبو بكر عن نفسه
فنهض النبي صلى الله عليه وسلم قائماً ، وقال لأبي بكر : كان ملك يجب عنك
وأنت ساكت ، فلما أجبت عن نفسك ذهب الملك ، وجاء الشيطان ، فلم
أكن لأجلس في مكان فيه الشيطان فعلم أن من شتمه إنسان بين يدي حاكم
عادل ، فلا ينبغي له الجواب عن نفسه في نفسه ، فهم يكرهون الجواب عن
أنفسهم بين يديه تعالى إلا إن ترتب على ذلك مصلحة شرعية ، ولا يقدر على
التخلق بهذا الخلق إلا من دامت مراقبته لله تعالى ولم يطلب مقاماً عند غيره
من الخلق ، وإلا ، فمن لازمه غالباً الجواب عن نفسه إذا أنقصه أحد خوفاً
أن يسقط مقامه عندهم ، أو غير ذلك .

وعلم أن من شأنهم أيضاً أن لا يمكنوا أحد إيجيب عنهم لما في ذلك من
تحمل منته عليهم وقد يخطيء في الجواب عنه ، وربما أجاب أحدهم عنهم
فقام عليه الحسدة فأقنعوه بضد إجابته ونقلوا العداوة إليه أيضاً ، فيصير من
أعداء الفقير وينضم إليهم في عداوتهم ولذلك فإن عدم الجواب أولى كما
بسطنا الكلام على ذلك في خاتمة كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شهوهم أن كل ما يؤذيهم به الناس في أعراضهم من جملة المصالح لهم في الدنيا والآخرة .

وربما كان عند أحدهم عجب يعلمه أو كبر على أحد من أخوانه، فيذكره ذلك التنقيص بزلاته السابقة ، وذلك أنفع له ممن يوجه له أحواله، ويذكره بالكمالات، فإنه يزيد عجباً وكبراً فيهلك بذلك من حيث لا يشعر .

وقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله يقول :

عدو يطلعك على عيبك بتنقيصه لك خير لك من صديق يمدحك ، ويستر عنك عيوبك .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

إياك والميل والمحبة إلا لمن لقولك يسمع ، واعلمك ينشر ، ويعمل ، فإنه ربما كان عدو لك في صورة صديق .

وفي كلام الإمام الشافعى رضى الله عنه تعالى :

لا حذر من يمدحك أكثر ممن يؤذيك لاسيما إن كان يبالغ في مدحك ، ويذكرك بما ليس ، فيك ، فإنه إذا غضب كذلك يذمك بما ليس فيك فإن من لا يتورع عن الكذب في المدح كذلك لا يتورع عن الكذب في الذم انتهى .

وسياتى إن شاء الله تعالى أن كثرة المصائب والمحن في هذه الدار بما يهون على العبد تحمل أهوال يوم القيامة ، لأن كل شيء وقع من ذلك للعبد في هذه الدار كالإدمان لتلك المصائب فإنها لا تعادل الإنسان عندما يذوب قلبه وجسمه إذا شهد أهوال يوم القيامة وعندما يتقدم له إدمان في دار الدنيا فإنه يتحقق له يوم القيامة الإقدام والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة كراحتهم وشدة زجرهم لمن ينقل إليهم أخبار الناس .
الناقصة التي يستحيون أن يواجهم بها

وإنما زجروه لأن لا يعود إليهم مرة ثانية ثم إن أحدهم يرجع بعد ذلك
على نفسه باللوم الذي تمادى ، حتى وجد الناقل له عندهم محلا لنقل أخبار
الناس ، ويقول : لو لا غفلتي عن الله تعالى ، وعدم إقبالي عليه ؛ لكنت محفوظا
من مثل ذلك فاللوم على حقيقة لا على الناقل ، ونظير ذلك ما قالوه في الزهد
في الدنيا من قولهم اللهم زهد الدنيا فينا ، ولا تجعلنا من يزهد فيها أى لأن زهدنا
فيهم ، إنما هو لعلها شدة نفوسهم منها ، فتصير الدنيا تنفر منهم بالطبع ، ولو طلبوها
ما جاءتهم بخلاف ما إذا كانوا من يزهد في الدنيا ؛ فإنهم ما زهدوا فيها ؛ حتى
جاءتهم ، ومكثت عندهم ، ورأت لها محلا في قلوبهم

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

من عقل العاقل تكذيب النمام ظاهرا ، ولو علم أنه صادق في نيمته سدا
للباب فإننا جربنا إن كل من صفى إلى النمام كثرت عليه النمامون ؛ وجمعوا له
أخبار الناس ؛ وأتوه بها ؛ وربما أشاع تلك الأخبار عن الناس ؛ حتى صدق
النمام ؛ فبلغ الناس فاشتغلوا به ؛ وأذوه ، وكثرت أعداؤه ؛ ثم يتولد من
ذلك الحقد فيعجز عن إزالته ؛ كما أوضحنا ذلك في خاتمة كتاب المنن الكبرى
والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم: أن لا يتساهلوا في سماع النسيئة من بعضهم بعضا في الزاوية
فتخرب ولو على طول

فحاشا

بل يسدون الباب أولا فأولا : بإرسالهم وراء الناقل ، والمنقول عنه ؛
وقولهم للمنقول عنه هذا نقل عنك كيت وكيت ؛ وهناك يضطر للصدق فإما
أن يقول أنا قلت فيكون هو الخصم وإما أن ينكر ؛ فيكون معه على
ذلك الناقل بالتوبيخ والزجر .

وقد كان سيدى الشيخ أبو الفتح إذا جاءه شخص وقال له : إن فلانا يقول
عندك كذا وكذا يقول : إذا سأله هل يعترف بما نقلته عنه أم لا ؛ فيخاف
الناقل ؛ فلا يعود ينقل إليه ثانيا كالأبدا

وكان يقول : هذا من باب ارتكاب أخف المفسدين

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

من طلب أن الناس لا يقولون من وراءه إلا ما يوافقهم به فقد رام المحال ؛
فإن السلطان لا يصح له ذلك انتهى

ثم إن المنقول عنه إذا جاء واعترف بما قاله التمام عنه ، وطلب الإقالة ،
فمن المعروف قبول معذرتة ، كما قال الامام الشافعى رضى الله . تعالى عنه فى
معنى حديث : ومن أتاه أخاه من فصلا من ذنب فليقبل ذلك منه ، حقا كان أو مبالا
فإن لم يفعل لم يزد على الخوض ، ثم ينشده :

إقبل معاذير من يأتيك معتذرا

إن بر عندك فيما قال أو فحرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره

وقد أجلك من يعصيك مستترا

وسمعت أخى الشيخ افضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

لا بد للانسان من محب ، ومبغض ، ولو كان فى فضل الإمام على بن
أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فالمحب لا يذكر إلا الخير ، والمبغض يذكر
العجز والبجر .

قال : ولما اختفى الإمام مالك رضى الله عنه زمن الفتنة .

قال لابن الفاسم : ماذا تسمع الناس يقولون ؟

فقال : المحب لا يذكر كرك إلا بخير وأما المبغض فخاله معلوم .

فقال الإمام مالك : الحمد لله ما زال الناس كذلك لهم محب . ومبغض ،
ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسنة كلها بالذم انتهى .

وانشدنى شيخ الإسلام زكريا الانصارى رحمه الله تعالى :

أعمل لنفسك صالحا لا تحتمل .

بظهور قيل فى الأنام وقال

فالحلق لا يرجى اجتماع قلوبهم

لا بد من عليك وقال

والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : محبتهم لأن يفدى أحدهم جميع العلماء والعاملين بنفسه ،
ويحب أن أعداءهم يضيفون إليه سائر العيوب ، والنقايس ،
ويذكرونه بسائر ما كانوا يريدون أن يستغيثوا به العلماء العاملين لكونهم
أهل المسامحة بخلاف غيرهم ، فقد لا يسمع أحدهم من استغابه لا في الدنيا ،
ولا في الآخرة .

وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول :

إنني أود أن أتحمل عن حملة القرآن ، والعلم جميع النقايس التي يرميهم
بها الأعداء إكراما لسيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكونهم حملة
شرعه ، وإذا جرحهم أحد صار تجريحهم مشخصا في قلوب العوام ، فيقل
انتفاعهم بالعلماء ، ويتجرؤو على ارتكاب تلك النقايس ، التي أضيفت إلى
العلماء رماهم بها الإعداء ، ويقول أحدهم في نفسه : إذا وقع في معصية
إن فلانا أكبر منك قدرا ، وقد وقع في مثل ذلك ، فيستعين بالذنب .

وهذا الخلق قد صار عزيزا في هذا الزمان في خواص تلامذة الأشياخ
فضلا عن غيرهم ، وقد وقع لبعض أهل عصرنا هذا أنه نسب إلى عمل
الزغل ، فسكك الوالي فتبرأ منه جميع تلامذته ، وصار أحدهم يقول : إنما كنا
أصحابه من بعيد انتهى .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول :

كل من لم يوطن نفسه على مشاركة صاحبه في بلاء نزل عليه ، وإلا ،
فلا ينبغي له أن يصحبه ، والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: عدم تكديرهم من رفع مقام أحد من أقرانهم عليهم

بل يفرحون لذلك ، ويقول أحدهم: الحمد لله الذي جعل الناس يفاضلون بيني وبين العلماء ، والصالحين ، مع أني لست بعالم ، ولا صالح ، ولولا أنهم رأوني بعين التعظيم ما فاضلوا بيني ، وبين هؤلاء ، وقد تحققت بذلك بحمد الله تعالى ، فكلما فاضلوا بيني ، وبين أحد من العلماء بادرت إلى الشكر ، وأقول في نفسي إنهم لولا رأوني قريباً من مقامهم ما فاضلوا بيني وبينهم ، ولو أنهم رأوني بعيداً عن مقامهم لم يفاضلوا بيني وبينهم ، كما لا يفاضلون بين العلماء ، وآحاد العوام . فعلم أن كل من تكدر من فاضل بينه ، وبين عالم أو صالح ، ثم رجح العالم أو الصالح عليه ، فهو لم يشم من رائحة الصدق ، والإخلاص ريحة ، ولسان حاله يشهد بأن عبادته ، وزهده ، وورعه طول عمره كان نغير الله تعالى ؛ وإنه لم يكن الباعث له على تلك الأعمال طلب رضى الله تعالى عنه ؛ وامثال أمره ؛ وإنما ذلك ليعظمه الناس ويرجعوه على أقرانه وهذه أدق من ديب النمل فليتيه شيخ النصف الثاني من القرن العاشر لمثل ذلك حتى لا يكرن في الأموات والحق تعالى ساخط عليه .

نسأل الله تعالى العافية .

وقوله في حالة مدحه أنه أقل من تراب نعال الناس رياء ونفاق أو كان من أصحاب ذلك الممدوح زال منه ذلك التواضع بقرينة تكديره من رجح أحد من أقرانه عليه .

ولربك أن تقول فلان أعلم من فلان إلا بطريق شرعى كإرشاده إلى الأعلام ليقترب الطريق على الطالب ؛ ويقيده المسائل المحررة ؛ ونحو ذلك وإلا ؛ فهي غيبة محرمة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إجلالهم للعلماء والصالحين والأمراء والأكابر عن
أن يدعواهم إلى حضور مولد عملوه .

فربما كان العالم مشغولا بالعلم ، والصالح به سلس بول ، والأمير وراء
أمور مهمة تتعلق بالمملكة ، أو بمصالح الناس ، وربما حضر أحدهم ، وصار
متقلقا في غاية الكرب ، وإذا توضحا يقاسى مشقة عظيمة من الزحمة ، وغير
ذلك مما ذكرناه في خاتمة كتاب المنى الكبرى .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى لا يجيب أحدا إلى مولد ولو كان
معدودا من مشايخ العصر لاسيما إن كان الطعام بمجموعا من حرام وشبهات ،
كالذي يستعين في عمل وليته بما يأخذه من الظلمة ، والمكاسين ، ومشايخ
العرب ، والكشاف وأعوانهم ، فإن ذلك من أقبح ما يكون .

وسمعه يقول :

لا ينبغي لفقيه أن يدعوا أحدا إلى طعامه إلا إن عمله من وجه حلال ،
ولم يرتفعه بحضور العلماء ، والأكابر على أقرانه الذين دعواهم ، فلم يحضروا
عنده ، وهذا الأمر قد حدث في فقراء هذا الزمان ، فصاروا يتفخرون
بكثرة إجماع الناس عندهم .

وقد أدركنا عدة مشايخ فإنا كان أحدهم يدعوا أحدا من الأكابر إلى مولده
قط إنما كان يخص بطعامه الفقراء ، والمساكين ، والأرامل ، والأيتام كسيدي
محمد بن عنان ، وسيدي أبي الحسن الغمري .

وأرسل شخص من أعوان الظلمة عسلا إلى مولد سيدي بن عنان فأرجع ،
وخص الوقت على شراء العسل ، وقالوا للشيخ : لا بد من طبخ الحلوى للفقراء .
فقال للنقيب : إذهب بهذه الجرار إلى الخليج وسم الله تعالى ، واملأهما عسلا .

وطيخوا الحلوا به تلك الليلة هكذا أخبرني بهذه الحكاية الشيخ محمد الزهار
رحمه الله تعالى .

فشل هؤلاء هو الذي يصلح لهم أن يعمل له ويجمع الناس على طعانه ، وأما
من يجرد الناس ، ويسلقهم بالسنة حداد إن لم يعطوه ، فلا يجوز له عمل مولد .
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : رحمتهم لعدوهم الذى يؤذيهم طول عمرهم وشفقتهم عليه
إذ أنزل به بلا :

لأنه لا يخلوا من أمرين إما أن تكون عداوته لهم بحق أم لا

فإن كانت بحق ، فهم يرون الشهادة به حق ، ودرعاً نفس .

وإن كانت بغير حق ، فهو مسكين مبتلى فى دينه . فالواجب عليهم رحمة ،
ومساحته ، والدعاء له لا الغضب ، والدعاية عليه زيادة على ما هو فيه
من المقت .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول :

لا يكمل الفقير ، حتى تكون جميع حركاته ، وسكناته مأجوراً عليها ،
ومن شئت فى عدوه ، فليس له فى ذلك أجر

وكان يقول أيضاً : لا يكمل الفقير ، حتى يصير يشهد كل فعل وقع فى الوجود
من الحق تعالى بى ادى الرأى ، ومن الخلق بحكم التبع انتهى .

وقد دخل على مرة الكاشف اسكندر ، فشكى من قاضى الخانقاه ، فمات
القاضى بعد ثلاثة أيام فجاء ، وقال :

ادع للقاضى بالرحمة .

فقلت له : إنك كنت أمس تشكوا منه

فقال : شخص أراد أن يؤذيني فما أقدره الحق تعالى على ذلك ، فكيف
أتكدر منه ، وأشمت به ، وهو لا فعل له الا بإرادة الله تعالى ، فأعجبني
اعتقاده رحمه الله تعالى ،

وتتضمن فى هذه الاخلاق أن حكم الناس الذين يؤذون العبد فى هذه الدار

حكم زبانية جهم في الآخرة من حيث أنهم مسلطون بحسب ذنوب الناس لكن الزبانية هناك ليسوا في دار تكليف بخلاف الناس الذين يؤذون العبد في هذه الدار ، فإنهم مكلفون ويلحقهم الذم بإيذائهم الناس فمن أراد أن لا يسلط الله تعالى عليه أحد بالأذى فالاستقم فيما بينه وبين الله تعالى ، ولا يكون له سريرة قط. يفتضح بها في الدنيا ، ولا في الآخرة ، وإلا فالبلاء والأذى متوجه إليه من سائر الأعداء والحاسدين ، ثم إن البلاء والأذى يعظم بعظمة الذنب ، فمن جهل المعصية أتى آتى بها ، فليتنظر لعقوبتها ، فإن كانت عظيمة ، فالذنب عظيم ، وعكسه ، ويدهفوا عن كثير قال : وما رأينا شيئاً يرد الأذى عن العبد أقوى من كثرة الاستغفار فإنه يطفىء باذن الله تعالى غضب الحق جل وعلا .

وإذا أطفىء غضب الحق تعالى ، ورضى عن العبد قل الأذى من الناس له إلا أن يكون ممن جعله الله تعالى قدوة للناس في الصبر كما بسطنا الكلام على ذلك في خاتمة كتاب المتن والحمد لله رب العالمين .

كان الإمام أبو العباس المرسى يقول : إذا ضاق الولي هلك من يؤذيه في الوقت وإذا اتسعت معرفته احتمل أذى المعتدين ، ولم يحصل لأحد منهم ضرر بسببه . وكان يقول لحوم الأولياء مسدومة ولولم يؤخذوك ، فأياك ثم إياك .

ومن أخلاقهم : مبادرتهم إلى إقامة الحجة على أنفسهم إذا ظلمهم ظالم .
ولا يقولون في حكم الله تحمل العبد وهو في أمر التقدير والله تعالى
فعال لما يريد ونحو ذلك مما يشتم فيه رאיحة إقامة الحجة على الله تعالى .

وذلك عندهم مروق من حضره الأدب .

ثم إن هذا الخلق لا يثبت فيه إلا من تحقق بمقام العبودية ذوقا لا علما
فقط ، لأن العلم قد ينحجب عن صاحبه إذا نزلت به نازلة بخلاف الذوق .

وقد أدرسنا من أصحاب الفروق لهذا المقام جماعة كسيدي الشيخ عبد
الحليم المنزلاوي ، والشيخ علي البحيري ، والشيخ شهاب الدين السبكي ،
والشيخ محمد الوصيف كان اذا نزل على أحدهم بلا بادر إلى الشكر وقال :

اللهم لك الحمد الذي لم يكن هذا البلاء أعظم من ذلك .

ووقع لسليمان بن مهران أنه لبس اثياب المبخرة للجمعة ، وخرج
للجامع ، فصبت عليه جارية من سطوح ماء تنظيف السمك ، فعمه من
رأسه إلى ذيله فقال على الفور :

الحمد لله الذي صالحنا بالماء عن النار .

وفي روايه أن الجارية صبت عليه رمادا باردا فعمته فقال :

الحمد لله من استحق النار صولح بالرماد يجب عليه الشكر انتهى .

فمثل هذا كان هذا الخلق له ذوقا ، ولولا ذلك لما قال ذلك إلا بعد تفكير .

فعلم أن إشتغال العبد بسبب من أتاه البلاء على يديه جهل منه ، لأنه
ما ظلمنا إلا بذنوبنا ، وإن كان عليه الوزر في ذلك شرعا . وهذا الأمر مما
يطول به حبس المجرم ، فيقول : حبسوني ظلما ، ولا لي شاكى ، ولا يكاد
له ذنبا يستغفر الله منه ، فيطول حبسه ، وقد علمت كثيرا من المحبوسين

كثرة استغفارهم ربهم ، وكثرة التفكر لذنوبهم التي عملوها طول عمرهم ،
فيخرج الله عنهم بسرعة ، فان الحبس خزي من الله تعالى للعبد ، ولا يكون
الخزي إلا من ذنب ، وكثيرا ما يذنب العبد ذنبا فلا يعاجله الله تعالى بالعقوبة
عليه فيظن أن الله تعالى غفره من سنين والحال أنه لم يغفره بل أخره رحمة
به وحلما عليه ، وما خرج عن هذه القاعدة الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ،
فقد حبس الله تعالى أحدهم تعظيما لأجره ورفعا لدرجاته كما وقع للسيد يوسف
عليه الصلاة والسلام . وليقتدى الناس بصبره والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : تحمل عناء المملكة على كواهلهم وحمل الناس بقلوبهم

فياياك يا أخى أن تقول هنيئاً لأهل تعالى ، فإن أحدهم يموت فى الساعة الواحدة كذا كذا مرة . فهم مستريحون فى الظاهر من أمور الدنيا متعوبون فى الباطن ، فتعبهم لا يقاومه تعب . وإن كان . ولا بد لك يا أخى من أن تتعبهم ، فاعبهم على كثرة الطاعات وأما المؤاخذات ، فاستعد بآفة تعالى من ذلك ، فإن أحدهم ربما عرقب بفعل مالا تعدده أنت ذنباً

وقد قال بعضهم :

وقع لى أنى نمت مره على جنبه فى ليلة عرفة ، فاكنت إلا هلكت من الغم الذى نزل على قلبى ، وصبرت أتمنى الموت ، فلا أجاب ، ثم نمت ، فראيت فى المنام أنى دخلت رفاقاً لا يتفذهت فيه ، ولم أهد الخروج منه ، حتى كدت أهلك ثم أتيت بإغا فيه خمر ، فشربته ونمت فى النوم ، حتى ذاب قلبى ؛ وصرت أقول فى نفسى كيف تشرب الخمر فى ليلة عرفة ؛ فما استيقظت ، وראيت أن ذلك فى المنام ، وفى عيني قطرة قال : لكنى بحمد الله تعالى فرحت بتلك المؤاخذة من حيث اعتنا الحق تعالى بتأديبى ، فإن الفقراء فى حجر تربيته الحق تعالى كالآب الشفيق ؛ والله المثل الأعلى ، وربما ضرب الوالد ولده رحمة به وشفقةً عليه ، ليرقه إلى ما هو أرقى مما هو فيه ، وربما فرك أذن ولده فركاً عنيفاً إذا رآه واقفاً عند بحر ؛ وخاف عليه من الفرق ؛ وربما شكك الأم ولدها بالإبرة ، حتى يخرج الدم منه محبة فيه لا بغضا له لتربيته بذلك فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم زيادة المحبة لكل من أنكر عليهم أو قام عليهم لاسيما العلماء .

فإنهم ما قاموا عليهم الا نصرة لظاهر الشريعة المطهرة لا لحظ النفس ، وبغضا لهم ، ومن طبق الشريعة وجبت محبته ؛ ووجب على من خرج عن ظاهرها اللوم على نفسه ، والتوبيخ لها فإن السلطان في هذه ائدار للشريعة ؛ وما كل أحد في الطريق إلا ، وصار يغار على ظاهر الشريعة أكثر من الطريقة ومن تكدر من القوم عن أنكر عليه من الشريعة العلماء ، فهو جاهل بمراذه صلى الله عليه وسلم ، فإن العلماء امناء على شرعه فقف يا أخى على ظاهر الشريعة ولا تتعدى عليها فإنه السيف القاطع بحده كل ضلال وبدعة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حمايتهم من ظهور الحسد لأقرانهم لأن الحسد فزع من
محبة الدنيا وهم قد تركوها في بداية أمرهم فلذلك امتنع في حقهم الحسد .

وهذا الخلق قل من يتخلق به الآن ، وغالب الناس يحد أقرانه إذا
أقبلت عليهم الدنيا وأهلها لاسيما الأكابر ، والأمراء وذلك دليل واضح على
أن أحدا منهم لم يدخل طريق القوم ولم يشم لها رائحة

وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول :

من أراد إقامة الجاه والعز في الدنيا والآخرة ، فليسلك الطريق الحميدة
من زهد ، وورع ، وقيام ليل ، وكف جوارح ، وغير ذلك من أخلاق الصالحين ،
فإن المحسود ما حصل له الجاه عند الملوك والأمراء إلا يعد أن تتخلق بأخلاق
القوم ، فاسلك يا أخى مسلكهم يحصل لك من الجاه والدنيا ما حصل لهم ،
وأما حسدك لهم مع عدم سلوك طريق القوم ، فلا تزداد إلا تأخيرا ، فكلما
حسدت تأخرت ، وتقدم المحسود انتهى .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول :

إن كنت ، ولا بد حاسد الفقراء ، فأحسدهم على مجالسة الله تعالى صباحا
ومساء ، في قراءة أورادهم ، فإن ذلك هو الحقيق بالحسد ، وأما مجالسة جندي
من الأمراء لهم ، واعتقادهم فيهم ، فهو أقل من أن يذكر .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في غائمة كتاب المنن ، وذكرنا فيها أن من دخل
حضرة الله زال منه الحسد جملة لأن أهلها مطهرون من ذلك ، وأن بعضهم كان
يذهب إلى أن الحسد لا يزول إلا من معصوم ، وأما غيره ، فتعطل منه صفة
الحسد دون أن تزول منه . وكذلك ذكرنا أن من علامة الحاسد أنه يكرهك ،

وينقصك ، ولا يقدر على أن يصور عليك دعوى لا في الدنيا ، ولا بين يدي
الله تعالى في الآخرة ، وغاية تصويره الدعوى عند الحاكم أن يقول : ادعى على
هذا إنه أكثر ما لامني : ويحبه الناس ويعظمونه أكثر مني ، وهذه دعوى
لا جواب لها فقال : من رأيتك كذلك فأرح نفسك من مداواته فإنه لا يرضيه
إلا زوال النعمة والمحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : عدم تكدرهم من نادى أحدهم يافاسق أو يامنافق أو
يامرأى ونحو ذلك.

بل يرون أن من ناداهم صادق في ذلك.

وقد كان مالك بن دينار إذا قيل له : يامنافق أو يامرأى يقول : يا أخى
لقد عرفت لقبى الذى نسيه أهل البصرة انتهى

فعلم أن من تكدر من قال له يافاسق ، فهو مغرور ، لأن الفسق لغة هر
الخروج يقال : فسقت التواة إذا خرجت ، ومن خرج عن السنة المحمدية
قيد شبر فى ما كله أو ملبسه أو فى شيء من أحواله ، وعباداته ، فقد صدق
عليه اسم الفسق لغة ، فأى فقير يدعى سلامته من مثل ذلك والحمد لله
رب العالمين

ومن أخلاقهم: عدم تكدرهم من ناداتهم باسمهم المجرد من الكنية واللقب
وتبادة ونحو ذلك.

لأنه هو الصدق المحض كما كان عليه السلف من الصحابة ، والتابعين ورضي
الله عنهم أجمعين بخلاف نحو تجلب الدين ، شمس الدين ، ونور الدين ؛
وسراج الدين ؛ فإنه لا يصح إلا بتأويل بعيد كأنه يريد أنه شمس دين نفسه
أو سراج دين نفسه ؛ ونحو ذلك

واعلم يا أخى أنه يستثنى من أولوية نداء الناس بأسمائهم المجردة نداء الوالد
والشيخ وإن الأدب أن لا ينادى أحدهما باسمه المجرد ؛ كما جرى عليه
السلف والخلف .

قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى :

وأول لقب وقع في الاسلام تلقب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبا بكر
الصديق يعتيق لعتاقه وجهه أى حسنه
وقال الحافظ بن حجر :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلقب أصحابه فلقب أبا بكر
بالصديق ، وعمر بالفاروق ، وعثمان بذي النورين ، وخالد بن الوليد بسيف
الله ، وحزمة بأسد الله ، وجعفر بذي الجناحين ، ولقب الأوس والحزرج
بالأنصار ، فلقب عليهم هذا اللقب ، ولقب الحسن البصري رضي الله عنه
محمد بن واسع بزين القراء . ولقب سفيان الثوري المعافى بن عمر بن ياقوتة
العلماء . ومحمد بن يوسف بعروس الزهاد . ولقبوا الإمام الشافعي بتناصر
الحديث . ولقبوا ابن سريج بالباز الأشهب انتهى

وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول :

ومن لقب من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام السيد إبراهيم لقب
بالخليل ، والسيد عيسى لقب بالمسيح . والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم نفرة أحدهم من عشرة المختنئين لأنهم أصحاب
أمراض كالصداع والضارب والجذام والبرص

وربما ذمهم أحد قاتلي بمثل مرضهم ويسمى ذلك المرض بالابنة ودواء
أن يغلى له جلود السمك القديم ، حتى تخرج خاصيته ، ثم يحقن به ثلاث مرات
فإنه يجرب للشفاء من الابنة وهو غليان في الدبر لا يسكن إلا بإدخال شيء في
الدبر ، والمراد بالمختنئين هم الذين يتكسرون تكسر النساء ، فعدم التكسر منهم
يعنى يزجرهم ونصحهم بالبعد عن ذلك ، حتى يزجروهم من مثل ذلك الفعل
ويتوبون منه .

ثم إن هذا المقام لا يقدر على التخلق به إلا من رضى بعلم الله تعالى فيه ،
ولم يطلب له مقاما عند الخلق فلم أنه لا ينبغي ذم من به ابنة فإن غيبته محرمة
إلا إذا عمل عمل قوم لوط ، وثبت ذلك عنه فإنه ملعون بنص الحديث فاعلم
ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم إصغاء أحدهم إلى قول عدو أو حاسد في عرض خصمهم .

بل يلوم أحدهم نفسه التي لم تكن دفعت ذلك الحاسد عنها . حتى لا يقدر على الوصول إليها باختيارها عن نقايص أحد ، ويقول لنفسه عليك اللوم الذي وجد المنقص للناس عندك له محلا ينقص الناس فيه .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى أول ما يتكلم عنده حاسد يقول له :

قم عني الى حاجتك لا تحملني الآثام بذكر الناس بالنقائص

وإذا عرف من الإنسان عدم الانقياد لقوله بدأه بالكلام الحلو وقال : كنت في خاطري البارحة . فإني أحبك لكونك صافي الباطن لا تذكر الناس عندي الا بغير فيلتجم ذلك الشخص ويخاف أن يغير اعتقاده فيه بما وصفه ، فيخرس في ذلك المجلس عن عيوب الناس .

وهذا الخلق قل من يتفطن له من الناس يل رأيت بعضهم يبدأ من دخل عليه بالكلام ، ويقول له : إيش معك من أخبار الناس فيذكر له العجر والبجر التي جمعها له مدة غيبته عنه ، وإن عرف أنه عازم على السكوت يقول له : هل بقى معك شيء من أخبار الناس ؟ فإن قال : لا قال له : ما أنت إلا حكيت لي ، ثم بعد ذلك يصير يحكي لكل من دخل عليه ما سمعه من ذلك الفاسق ، كأنه ثبت عنده بطريق شرعى ، ولم يتب منه صاحبه .

ومعلوم أن ذكر توارىخ الناس التي مضت وتابوا منها لا يجوز ذكرها بعد ذلك لأحد ، ومن الواجب على كل مسلم إعتقاده في أهل المعاصي إن أحدهم يتوب عقب كل ذنب ، ولا يجوز حمله على أنه مصر على ذنبه .

ثم من أقل مفسد الناقل عن الناس تواريخهم أن المنقول عنه ، ولو تاب
يصير الناس يشخصون معاصيه و عيوبه في ذهنهم ، كلما ذكروه فيريد السامع
أن يجعله ، كالذي لم يذكره أحد بسوء ، فلا يقدر بل يصير يحقره ، ويزدريه .
بباطنه لا سيما إن سمع ذلك أحد من الأمراء ، والأكابر الذين يشفع ذلك
الشخص المجرح عندهم ، فإنه يتولد منه مفسد كثيرة ، ورد شفاعاته ، فيشتد
بذلك التحريم ، فليتنبه الفقير الساذج لمثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة إقامة العذر لمن عاذاهم وأكثر من حسدهم

ويقولون إنما وقع في ذلك لضيق نفسه ، وشرائها ، وعدم قناعتها باليسير ، ولو أن الله تعالى كان وسع صدره لما وقع في حسد أحد .

ثم إنهم بعد ذلك يستغفرون الله تعالى من حيث أنه لولا وجودهم ، ووجود إظهار النعمة التي عليهم ما وقع أحد في حسدهم ، لأن من كان في نعمة لا يحسده أحد ، وكذلك يشكرون الله تعالى على نعمته التي أسبغها عليهم ، حتى وقع الحاسد في حسدهم ، وكذلك يستغفرون الله تعالى للحاسد ، فإن وجودهم سبب لوقوع الحاسد في الإثم كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى .
والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة اهتمامهم بهم عدوهم أكثر من اهتمامهم بهم صديقهم كما يتحفظون من الغيبة في عدوهم أكثر مما يتحفظون من الغيبة في صديقهم ، وكما يكرهون كل شيء يؤذي عدوهم رحمة به إلا أن يكون تطهيراً له أو كفارة لذنوبه . فإنهم يحبون له ذلك لا على وجه التشفي والشفاعة .

وكان سيدي محمد الشناوي رحمه الله تعالى يقول :

كل يوم إحتاج إلى فيه عدوى ، فهو عندي يوم عيد ، وأقول : الحمد لله الذي أحوجه إلى ، ولم يحوجني إليه ، وأذله لي بالسؤال ، ولم يذلني له ؛ وهذا الخلق لا يتخلق به إلا من ذهب رعونات نفسه . وتخلق بالرحمة على جميع العالم .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى : يحذر إخوانه أن يذكروه عند أحد من أعدائه بخير ويقول :
إن ذلك يدخل عليهم الغم ؛ وأنا لا أرضى بذلك .

وإنما كانوا يتحفظون من غيبة عدوهم أكثر من صديقهم لأن صديقهم قد يسمع لهم بحقه بخلاف العدو فربما أنه إذا بلغه عنهم شيئاً يدخل خصمه النار لأجله إذا لم يسأله يتوقف ولا يسأله فيه بخلاف الصديق ، فإنه بالضد من ذلك .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول :

لا ينبغي الفقير أن يلبس الثياب النظيفة المنيرة ، ويمر على عدوه . وكذلك لا يطبخ طعاماً في مواضع الترهات ، ويدعوا الناس إلى ذلك ؛ وكذلك لا يفرس بستاناً ؛ ولا يبنى داراً لأن ذلك كله يكدر نفس عدوه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: عدم توجه أحدهم إلى الله تعالى في هلاك أحد
من أعدائه وأن يأخذ له حقه منه

بل يكرمون عباد الله تعالى لأجل الله تعالى ، ثم إن شاء الله تعالى انتصر
لهم ؛ وإن شاء لم ينتصر لهم ، وهم راضون عنه في كل شيء . ففعله معهم ،
وهو تعالى يحب من عباده كل من كان كثير الإحتمال للأذى ؛ ولم يزل الأعداء ؛
والخساذ في كل عصر يعملون للفقير !! المكاييد ، ويحضرون لهم المهالك ؛ ويرد
الله تعالى كيدهم في نحرهم ، لأنه تعالى عليم حكيم .

وهذا الخلق قد صار عزيزا في أهل هذا الزمان ، وغالبهم يقابل العدو
بالإساءة وإن عجز عن ذلك توجه إلى الله تعالى فيه ، وذلك نقص في الفقير ،
وما افتخرت الفقرا على أقرانهم إلا بتحملهم الأذى ، وعدم مقابلة أحدهم
بنظير فعله .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول:

من تأمل نفسه في هذا الزمان بين أقرانه وجد نفسه كالماشى على جبل
البلوان بقباب ، والخلق كلهم تحته ينظرون كيف يقع ، حتى يشمتوا فيه .
انتهى .

فالحمد لله الذى جعلنا من لا يشمت فى مسلم أبدا بل نذكر محاسنهم ،
ونسكت عن مساوئهم إذا أظلمنا عليها ، كإسيأتى يافه قريبا إن شاء الله تعالى ،
ويشهد لذلك ذكرنا فى كتاب الطبقات مناقب من آذانا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تجسسهم على عيوب إخوانهم المسلمين

فإذا سمعوا شخصا يذكر كلاما اجماليا عن أحد فيه نقص له لا يصغون الى ذلك ، ولا يقولون له ايش الحكاية إلا إن كان أحدهم يقصد رد الإعداء عن عرض أخيه ، وأما قصد الإعلام بحكايته فقط ، فلا يجوز ذلك ، كما صرح به القرآن العظيم ، وهذا الخلق قل من يتنبه له الآن من الفقراء بل ربما تجسس بعضهم على أخيه ، وصار كل من دخل عليه يحكي له ، ويقول : مادريتم ايش جرى لفلان جرا له كذا وكذا ، وإن خاف من لوث أحد به قال له : لا تقل ذلك ، لأحد غنى ، فلو لا أنك عزيز عندي ما أطلعتك على ذلك ، وكلاهما قد خالف أمر الله عز وجل

وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يزجر كل من رآه من أصحابه يتجسس على أحد ويقول :

لا يحب الاطلاع على عورات الناس الا الشياطين انتهى

وقد أدركنا جماعة كثيرة من مشايخ العصر كانوا يغارون على أهل الطريق ويزجرون كل من تعرض منهم لأحد من أهلها بنقص ولو محققا ، ويقولون إن في الحديث «أقبلوا ذوى الهيات عثراتهم» قال العلماء : المراد بنوى الهيات الذين لم يشتر عنهم مخالفة انتهى

وفي الحديث أيضا ، تجافوا عن ذنب السخى ، فإن الله تعالى أخذ بيده ، كلما عثر ، ولا شك أن الفقراء كلهم استخيا كرام

ولما وقع الشيخ عبد الوهاب السبكي في المحنة . ورموه بالكفر ، وأرسلوه من الشام إلى مصر مقيدا مغلولا خرج الشيخ جمال الدين الأسنوى بعد أن تولى القضاء وكانوا قبل ذلك يستلونه ، فيأبى ، ولقاءه من نواحي الصالحية ، وسمع الدعوى عليه وحقق دمه ، وقال : والله انى لأكرمك . وأكره لك من قبلك ، وإنما فعلت ذلك صيانة لحرمة العلم انتهى

فاحم يا أخى خرقتك من النقايص جهلك . ولا نطن أنك تعلموا أقرانك
بذكرهم بالنقايص عند الناس بل أول ما يحقرونك ، ويتليثونك على من
تقصته ، وإيضاح ذلك أن من تعدى حدود الله تعالى أهانة الله تعالى ومن يهين
الله تعالى ، فإله من مكرم ، فلا يزداد المهان عند الله تعالى بتقصيه الناس إلا
هو أنا في العيون والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : سماحة نفوسهم بمقاسمة أعدائهم في أموالهم في الدنيا وحسناتهم في الآخرة فضلا عن من كان يحبهم من أصحابهم

وهذا خلق غريب في هذا الزمان ، وقد تحققنا به والله الحد ، وهو من أعظم أخلاق الرجال

فأنا بحمد الله تعالى أحب مقاسمة أعدائي لي في جميع أموالى وحسناتى على تقدير وجودها من غير توقف ، ولا رؤية منة لي عليهم ، وقد قبض الله تعالى لي جماعة معروفين في مصر لم يزلوا يذكروني بالنقايص ، ويؤذوني ، وأصبر عليهم ، ومع ذلك ، فأحبهم ، وأذكرهم بالكلمات ، وتسمح نفسي بمقاسمتهم في الحسنات لاسيما الذين دسوا في كتب العقائد الزائفة ، وأشاعوها عني ، حتى نفر غالب المعارف مني فضلا عن غيرهم . ولا أعلم الآن لهذا الخلق فاعلا في مصر غيرى إلا قليلا ؛ فأسأل الله تعالى دوامه على وإيضاح شهودى منة الأعداء على بكثرة إيدائهم لي أنهم حكموني في حسناتهم يوم القيامة أخذ منها ما شئت ، حتى كأنها من أعمالي ، وذلك أعز من الإحسان إلى بالدراهم ، والدنانير في دار الدنيا ، ثم إنهم كلما أكثر وامن إيدائي كلما سمحت نفسي لهم بالمقاسمة في حسناتى لأنهم بكثرة إيدائهم لي بالغوا في إثبات حقى عليهم ، وتحكىمي في حسناتهم ، فكما أهدوا الى حسناتهم في الآخرة كذلك من باب المعروف إهدائي لهم ؛ حسناتى ، وإن كان إهدائهم لحسناتهم كرها عليهم لأنه حيث ما حصل نفع الأثر ؛ فلا على من القصد . فكان مقاسمتى لهم في حسناتى من باب المكافأة لهم على إحسانهم

وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

لو عرض أعدائي كلهم على يوم القيامة حسناتهم بطيب نفس لم آخذ منها شيئا بل أوفرها عليهم زيادة على ما قاسموني فيه من أعمالى الصالحة لكثرة

إفلاسهم . وكثرة الحقوق عليهم . فلا أزيدهم كربا على كربهم ، وذلك لأن
الرجل هو من يكون له على الناس اليد لا من يكون يد الناس عليه . وإن
كان لأعدائي الفضل على من وجوه عديدة من حيث إنهم قد فتحوا لي بذكركم
لي بالنقايص في المجالس باب شهر ونقصي . وزوال عجيبي بعمل . وحكموني
في حسناتهم ومن إساءتي أنا عليهم أني ربما كنت سببا لمقتهم . وهتك سريرتهم
جزاء لما فعلوه معي غير ذم من الله تعالى . لعبادة . وإن لم يطلبوا منه ذلك .
كما وقع لي ذلك مع شخص معروف في مصر كان قد أكثر من ذكرى
بالنقايص . وأنا صابر عليه . فابتلاه الله تعالى . وكبسوه حال فعلها وهتك
الله تعالى عند جميع معارفه في مصر فثل هذا لو أني أعطيته جميع حسناتي
ما جبرت خلله الذي حصل له بسببي ، والله إنني لاستغفر الله تعالى في حقه
إلى وقتي هذا .

وكان على هذا التقدم جمهور السلف رضي الله تعالى عنهم كما ذكره القشيري
في رسالته ، فكان أحدهم يلوم نفسه إذا آذاه أحد ، ويقول لها : أنت
الظالمة ولو أنك وافقتيه على ما يريد منك ما آذاك .

وقد بلغنا عن ابن الخطاب شيخ سيدي محي الدين بن عربي رضي الله
عنهما أنه قال :

رأيت ربي في المنام فقلت له :

يا رب علمني شيئا آخذه عنك بلا واسطة

فقال : يا ابن الخطاب من أحسن إلى من أسى إليه ، فقد أخلص له شكرا .
ومن أسى إلى من أحسن إليه فقد بدل نعمة الله كفرا .

قال : فقلت : يا ربي حسبي اتهمني

وقد بسطنا الكلام على ذلك في أواخر الخاتمة من كتاب الفن الكبرى،
وذكرنا عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، أنه تمنى أخا في الله تعالى صادقا
يقاسمه في حاله وحسناته، فلم يجده، فراجعته، فإن فيه تقايس والحمد لله رب
العالمين .

ومن أخلاقهم : صبرهم على بعض الحسدة لهم على الدوام مدة حياتهم .
 ليعظم لهم بذلك الأجر من حيث الصبر عليهم ، ومن حيث أنهم
 يكفرونهم بنفائهم ، التي ربما حججوا عنها في قلوبهم ، فلا وجود بدائم
 من وجود منكر مبغض على الدوام فضلا من الله تعالى عليهم ، وبغضهم سلط
 الله تعالى عليه بحكم المشيئة الإلهية من ينقصه ، وينكر عليه بعد موته أيضا
 سنين عديدة ، كآبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما مع الروافض ، وكالشيخ
 محي الدين بن العربي ، وسيدى عمر بن انفارض رضي الله تعالى عنهما مع
 بعض الفقهاء كما مر في هذه الحاشية ، فيأخذ أحد هؤلاء حسنات من يحبط عليه
 بغير حق يوم اقيامة ، فإدام لهم من يحبط عليهم بعد موتهم ، فكأنهم لم
 يموتوا من حيث نقل أعمال من يحبط عليهم إلى صحابهم ، ولو كان أحدهم
 يحبط على الفقراء بحق ما نالت حسناته في صحابهم ، ولكنهم غالبا يحبطون
 على الفقراء حسدا وعدوانا ، لأن الفقراء قد خرجوا عن الاعراض النفسانية ،
 ولا يرى أحدا منهم يزاحم على وظيفة ولا تدريس علم ولا مجلس وعظ ،
 ولا يذكر أحدا بسوء ، ولا يشخ على فقير بما هو محتاج إليه ، ولا يتزوج
 لأحد طاقه ، ولا هو ينظاهر بالمعاصي الظاهرة من ترك صلاه ، وشرب
 خمر ، ونحو ذلك ، فما بقي بغضهم إلا حسدا ، وعدوانا كبغض الروافض ،
 لآبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فإن بغضهما قد توارثه خلف من الروافض
 عن ساف ، وكذلك الشيخ محي الدين بن العربي ، وسيدى عمر بن انفارض قد
 توارث الناس بغضهما من بعض فترى بعض الفقهاء يسب الشيخ محي الدين
 وأضرابه ، ولا أحد منهم أدرك زمنه ولا عرفه ، وخالطه ، ولا رصاه
 إليه ما ينسب إليه بيته

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

إن كان ولا بد للتمورين من الإنكار ، فليُنكرُوا ذلك الذي يروهم
 خلاف ظاهر الشريعة بقطع النظر عن من نسب إليه فيقول كل من ثبت عنه
 هذا الكلام ، فهو مخالف ، أو مبتدع أو كافر ، ونحو ذلك فلا يجب الإنكار

على إنسان معين إذا ثبت عنه الكلام بسند صحيح ، وهذا قل أن يوجد في هذا الزمان وحيث ينكر عليه شفقة عليه ، وعجبة فيه وخوفاً أن يكون من الأئمة المضلين بحكم اتشنى للنفس أو التعصب كما هو الغالب من أصحاب الرعونات النفسانية

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول :

ليس لمن يبغض مثل الشيخ محي الدين بن العربي ، أو سيدي عمر بن الفارض رضى الله عنهما دليل صحيح يستندون إليه ، وإنما هي نزغات شيطانية وسوس بها إليهم ، ليحصل لهم المقت ؛ وموت القلب وخراب السر انتهى

وقد ثبت عندنا من طريق صحيحة عن الشيخ عز الدين بن جماعة أنه كان يقول :

جميع ما في كتب الشيخ محي الدين بن العربي مما يخالف ظاهر الشريعة مدسوس عليه دسه الحسدة ، لينفروا الناس عن مطالعته كتبه ، وقد أوضح ذلك الشيخ محمد الدين الفيروز أباوى صاحب القاموس في اللغة . وأجاب عن الشيخ محي الدين بأحسن جواب ، وقد رأيت أنا كتاباً صنفه بعض الملاحدة : وأضافه للامام الغزالي ترويحاً ليدعهم . ورأيت على ظاهره بخط الشيخ بدو الدين كذب ، والله وإفترى من أضاف هذا إلى حجة الإسلام . فانه كله مخالف لأهل السنة والجماعة انتهى

وقد قدمنا لك يا أخى فى خطبة هذا الكتاب . وغيره ما وقع فى كتبى من الدس . ولولا أنه كان عندى النسخة الأصلية التى عليها خطوط العلماء السالمة من الدس لما برأتى أحد من ذلك . لعدم تثبت غالب الناس الآن فيما يظنون .

وسمعت شيخنا شيخ الاسلام برهان الدين بن أبي شريف رحمه الله تعالى
يقول كثيرا :

ربما يكون سبب هذا الإنكار على بعض العلماء والصالحين دقة مداركهم ،
فينبغي للمتدين المسلم لهم حيث لم يخالف نضاً صريحاً ، ولا إجماعاً لأئمة
الأقمام تختلف سلفاً ، وخلفاً فاعلم ذلك ، واحفظ لسانك والحمد لله
رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة بغضهم باطننا لأهل المعاصي ولو أحبهم
وأحسنوا إليهم .

إشارة لجناب الله تعالى على جناب أنفسهم ، ومع ذلك ، فيستغفرون
الله تعالى لهم ، ويدعون لهم بالتوبة النصوح لاسيما أنهم المعاصي المستصحية
كالمكاسين ، والذين يظلمون أناس في أموالهم أو أعراضهم .

وهذا خلق لا يقدر على العمل به إلا من إعطاء الله تعالى فرقة لا يفرق به
بين الحق والباطل ، وغالب الناس يحب كل من أحسن إليه ، أو اعتقد فيه .
ولو كان عاصيا لله تعالى ، كما أشار إليه خبر ، جبلت القلوب على حب من
أحسن إليها ، ومن هنا كره العلماء بالله تعالى قبول هدايا العصاة ، والتداوى
بإشاره كافر ، لأن صاحب الطبع يصير يحب ذلك المهدى أو ذلك الطبيب ،
إذا وافق دواؤه إتهام المرض ، ويريد أن يعاديه كما أمر الله تعالى ، فلا
يقدر ، بل يصير يحسن إليه بالود ، ويقول له كلما لقيه : فضلك علينا يا معلم .

وقد من الله تعالى على بالتخلص من حجة من يعتقدون من اليهود ،
والنصارى مع إعتقادهم في ، ولم يصدني ذلك عن عدواتهم ، وهي ورائه
لإبراهيمية ، فإن سائر الطوائف تحب سيدنا ومولانا الخليل عليه الصلاة
والسلام ، وكثيرا ما يطلبون منى كتابة الحروز لأولادهم ، والرقية لهم ،
فانعجب من ذلك غاية العجب ، لكوني مخالفا لدينهم ، ثم أقول : لعل إظهارهم
الإعتقاد في إنما هو نفاق .

وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول :

لما كن أن تمينوا بالحجة إلى كافر حين تزونه بعمل سقاية أو يحفر بيرا ،
أو يطبخ لحايدس المسلمين طعاما ، ويرسله إليهم ، أو يطب المسلمين ، ولا يأخذ
على حبه أجره ، أو يوفى ديون المسلمين ، ونحو ذلك بل دوموا على عدواتهم
تقليدا لله عز وجل في إخباره لنا بدمهم مطلقا ، وأحكموا عليهم بما حكم الله
تعالى به عليهم ، ولو لم تروا منهم أفعالا توجب الثم عليهم فإنه تعالى عم
جواظهم وظواهرهم وقد أطلق الذم عليهم أبد الأبد . ولو لم يكن
إلا التظاهر بزي الكفار والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : صحبتهم لبعض إخوانهم المسلمين من غير إجتماع
ويصير كل واحد منهما يراعى الأدب مع صاحبه كما يراعيه في حضوره ،
وهي صفة برزخية كان السلف يقدمونها على الإجتماع خوفاً من آفة الإجتماع
ويقولون كل أخ يجتمع بأخيه الآن إلا وأخذ في حسناته عند ربه تعالى ،
ويزكي نفسه بذكر محاسنها وعباداتها السرية وذلك كما فعل أويس القرني وبكر
المزني وعبد الله بن غالب وأضرابهم رضي الله عنهم .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله كثيراً ما يرسل إلى بعض إخوانه
الهدية ، ويقول له :

« مامعك إن بالإجماع بي أبد ، ويقول ربما زكي أحدنا حاله لأخيه ، فيقع
في ذنب إبليس الذي أخرج به من الجنة انتهى . »

وقد صحبت أنا جماعه من العلماء والصالحين مدة طويلة من غير إجتماع ،
وكان يحصل لي من المدد ما لم يحصل بالإجتماع ، كالشيخ شمس الدين البرهمتوشي
الحنفي ، والشيخ شمس الدين الغزي ، والشيخ سليمان الحانوتي ، والشيخ
أبي النجما السوهاجي ، وجماعه ، وكان من أشدهم مراعاة لحقوق الصفة
المذكورة الشيخ شمس الدين البرهمتوشي ، فكان يرعاني في الغيب أكثر من
الحضور ، ويشاورني عن أموره بالواسطة ، كما يشاور الولد والده ، فلما
صحبت صفة الإجتماع إزداد محبة إلى محبته الأولى ، وكذلك إزدادت أنا
الآخر فيه محبة ، ولم يحصل بيني وبينه بحمد الله تعالى تزكية نفس لا مني
ولا منه إلى وقتنا هذا نفعنا الله تعالى ببركاته والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حلهم لمن يكرهم على أنه إنما يكرهم بحق وصدق
خوفاً من تزكية نفوسهم وبرتها من العيب إذا حملهم على أنهم كرههم
بغير حق .

وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى إذا بلغه عن أحد أنه
يكرهه وينكر عليه يقول :

والله إن قلب هذا نيرا الذى أدرك نقصى الباطنى وما أنا مطوى عليه
من الفواحش ، التى أخادع بها بهارى انتهى .

وكذلك من أخلاقهم : مناقشة نفوسهم إذا كرهت أحداً من المسلمين ،
ويقولون يا نفس إن كراحتك لأخيك بغير حق ولم لاحملته على المحامل
الحسنة ، فيكون أحدهم على نفسه فيما اذا كرهها أحد ، وكرهت هى أحداً

وعلى ذلك درج السلف الصالح كلهم ، فكانوا يناقشون نفوسهم ،
ويتهمونها فى كل شيء . ادعت الصدق فيه من مقام أو حال ، ويقولون لها
هى أنى أكذب عليك فى نسبتك الريا . والنفاق مثلاً ، فما تقولين فى هذا
الغريب الذى وصفك بذلك فإنه لا يجوز لك نسبه إلى الكذب إلا بطريق
شرعى وليس معك طريق

وقد كان مالك بن دينار يقول

مكثت سنه ونفسى تنازعنى فى دعوى الإخلاص ، وأنا أقول لها
تكذبنى ، حتى مررت بإمرأه فى أزقة البصرة ، فسمعتها تقول لآخرى : إنه
أردنى أن تنظرى إلى مرأى . فهذا مالك بن دينار ، فانظرى إليه ، فقلت
لنفسى : اسمى لقبك القبيح من هذه المرأة الصالحة .

وكان يقول بعد ذلك : من أراد أن ينظر إلى مرأه ، فليُنظر إلى

وكان الفضيل من عياض رضى الله تعالى عنه يقول :

لأن أحلف مرأى أحب إلى من أن أخلف أنى لست بمراىء ، وكان يعاتب نفسه ، ويقول : كنت فى شبيبتك فاسقا عاصيا ، وصرت فى كهولتك مرأءيا منافقا والله للعاصى والفاسق أخف إثما عند الله تعالى من المرائى المنافق ، لأن العاصى ينتظر من الله تعالى المغفرة ، وكذلك المرائى ، والمنافق لأنه ذنب قل أن يشعر به صاحبه ، حتى يتوب الله تعالى عليه انتهى .
فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : ذكرهم لمناقب أقرانهم الذين يكرهونهم ويحسدونهم .
ولا يصدّم حسدهم لهم وعداوتهم عن ذكرهم بخير .

وقد كان بين الإمام عمرو بن العاص والإمام خالد بن الوليد بعض شيء .
فذكروا عمروا عند خالد يوما ، فأتى عليه خالد فقالوا : إنه يكرهك .
فقال : إن الذي كان بيننا لم يبلغ إلى ديننا انتهى .

وقد تحققت بذلك بحمد الله تعالى ، وذكرت مناقب أعدائي وحسادى
من الفقراء ، والعلماء بالنظر الى جانبهم لا إلى جانبي ، فإني لأعادي أحدا من
المسلمين لحظ نفس ، وإنما هم الذين يعادوني ، لعدم تظاهري لهم بما يوجب
العداوة من ترك صلاة ، أو شرب خمر ، أو تعاون في الناس ، أو ذكرهم
بالتقايس من ورائهم ، أو مزاحمتهم في أمور الدنيا ، ونحو ذلك هذا مع
شدة عداتهم لي ، وجعلت ذلك كالبهرمان على عذابه الحق تعالى لي ، فإن
غالب الناس لا ينشرح الآن بذكر اسم عدوه على لسانه فضلا عن أن ينشر
محاسنه .

وقد ذكرنا في كتاب المنجى جملة من أيدائهم لي ، فبعضهم سعى في إخراجي
من مصر ، وبعضهم دس في كتيبي عقايد مخالفة لأهل السنة والجماعة : وأشاعوا
عني في مصر وكثيرا مما أشرنا إليه في خطبه هذا الكتاب وبعضهم افترى
علي عند السلطان والوزير نائب مصر أمورا لا ينبغي لمؤمن أن يتلفظ بها .
وهذا الذي وقع لي طول عمرى من ثلاثة أنفس في مصر ممن يدعون العلم
والصلاح وقد درج الثلاثة إلى رحمة الله تعالى وأبرأت ذمتهم في الدنيا والآخرة ،
وإنما ذكرت ذلك ليتأنيب الإخوان في تحمل الأذى من أهل عصرهم مع
أن هؤلاء الثلاثة أنفس كانوا يكرهون بعضهم بعضه ، ولكن اجتمعوا كلهم
على لمزاحمتي لهم بالدعوى في اسم الصلاح ، والعلم لا غير ، فصنفوا إلى
الأذى على صنوف ، وسائر أهل مصر بردو سلام على
وقد بالغت في ذكر مناقب هؤلاء الثلاثة في كتاب طبقات العلماء .

والصوفية وذكرتهم بأحسن الذكر عند ما فعلوه معي إظهارا لما من الله تعالى
به على من الحلم والصفح ، والمسامحة ، وليقتدى بي الإخوان ، ولم أعلم أحدا سبقني
إلى مثل ذلك من أقراني بل المنقول عن بعضهم مقابلة الأعداء بنظير ما فعلوا ،
فالحمد لله الذي خلقنا بهذا الخلق المحمدي ، وجعلنا ممن لا يجزى بالسبئية
السبئية ، ولكن يغفروا ويصفحوا والحمد لله رب العالمين

ومن اخلاقهم : طرح نفوسهم بين يدي الله عز وجل إذا أطلعهم من طريق كشفهم على وقوعهم في شيء من المعاصي في المستقبل

وتبرئهم من حوْلهم وقوتهم ، ويصيرون يقولون في دعائهم في سجودهم وغيره اللهم ان كان ما أطلعت عليه قد حق به التقدير الإلهي ، فاسترنا فيه بين الناس ، ولا تؤاخذنا في الدنيا ، ولا في الآخرة صدقة من صدقاتك علينا ، إن لم يكن ذلك قد حق به التقدير الإلهي ، فنسألك من فضلك أن تزله من شهودنا فإنه قد كدر علينا وقتنا فإن الله تعالى ربما أجاب دعاء العبد ، وستره ، وغفر له : أو محاه من ألواح المحو والاثبات الثلاثمائة وستين لوحا وابطاح ذلك أن المخالفات بحكم التقدير الإلهي من غير ميل لشهوة أخف عقوبه عن أتاها بالميل والشهوة

وقد كان بعضهم يقول في سجوده : اللهم إنك تعلم عجزى عن رد شيء من أقدارك النافذة في فاغفر لي ما جنيته صدقة من صدقاتك على يا أرحم الراحمين إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاعلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم: عدم إنعاب أحد سره في تنميق الألفاظ في تأليفه وكثرة تحرير ألفاظه إلا بنية صالحة .

لا يمدحه الناس على ذلك، ويقولوا والله ما قصر فلان في هذا التأليف، وأعلم يا أخى أن البشر، ولو بالغ في تحرير كتابه، حتى حرره أشد تحرير، فلا بدله غالباً من نسيان شرط للسئلة في بعض الأوقات - أو إطلاق في محل التقييد قال تعالى : ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

كان الشيخ محي الدين بن العربي رضى الله عنه يقول :

وما صنفت كتاباً قط عن تدبير ، ولا اختيار إنما كنت أكتب في مؤلفي ما يلهمني الله تعالى به .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

سبب كون كلام البشر لا يسلم من الخطأ أو التحريف أو التناقض عدم البقطة الدائمة ، فلذلك كان يقع في الغفلة والسهو .

وكان سيدى أحمد الزاهد رضى الله عنه يقول :

من الأدب أن لا يطلب العبد عدم الاعتراض مطلقاً بل يهرب من مضاهاة كلام الله تعالى ما أمكن ، وحتى يجد غيره في كلامه مطعناً ، وتوريكاً وإيضاحاً بشرح أو بحاشية ، ومن ترك زيادة التتميق ، والتحرير في الألفاظ كان أبعد من الزهد والعجب والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شهودهم في نفوسهم بعد مبالغتهم في الاجتهاد في العبادة ليلا ونهارا أنهم قد استحقوا الخسف بهم لو لا عفو الله تعالى وحلمه عليهم وأنه تعالى لو خسف بهم الأرض بذنوبهم التي عملوها لكان ذلك في محله ، فانهم يعلمون أن ذنوبهم قد خرجت عن الحصر ، من نظن يا أخى أن أحدا من القوم يرى نفسه خيرا من أحد من تسمين لخاصة عليه من العبادة والزهد والورع ، وغير ذلك لأنهم يشهدون ما عليهم ، ولا يشهدون أنذى لهم إلا على وجه الشكر لله تعالى فقط .

وإنما ختمنا الكتاب بهذا الخلق العظيم لأنه محط رحال الأولين والآخرين ، فاما منهم أحد رفع حجابيه إلا ورأى أنه قد استحق الخسف به والمسوخ لصورته لسوء ما يتعاطاه من المعاصي والذنابل ، حتى كان العرى السقطى رضى الله عنه أول ما يقوم من النوم يمسح بيده على وجهه وتارة ينظر وجهه في المرأة فقيل له في ذلك فقال :

أخاف أن يكون الله تعالى قد مسح صورتي

وكان بشر الخافى رضى الله عنه يقول : ما من ولي لله تعالى إلا ، وهو يسأل العفو ، والصفح عنه ؛ وفي الحديث ، لا يدخل أحد الجنة بعمله

قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟

قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ، وأجمع العارفون كلهم على استحباب حتام جميع الأعمال بالاستغفار ، لقوله تعالى . وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون . ثم إنهم مع استغفارهم ليلا ونهارا لا يأمنون عذاب الله تعالى . فليس عند أحد طمأنينة بقبول الحق تعالى استغفارهم ، فقد يكون حال الواحد منهم مثل ما قال القائل .

إذا كان الحب قليل حظ فما حسنة إلا ذنوب

واعلم يا أحمى أن كل من نظر منا إلى كثرة إحسان الله تعالى إليه ليلاً ونهاراً أو عدم معاجلته بالعقوبة كلها عصاء خائب من الله تعالى ضرورة، وعد ذلك من الإستدراج، والله ثم والله لا اعتقد الآن أن أحداً من خلق الله تعالى أقل حياءً منى ولا أكثر ذنباً وإن ذنوب الناس كلها أقرب إلى المغفرة من ذنوبي، ومن ذاق هذا المشهد في نفسه ذاب جسمه وقلبه من شدة خجله من الله تعالى لو لم يكن إلا ما يقع من العبد من استحيائه من الناس حال معصيته دون أن يستحي من الله . فلا تسكاد ترى أحد يعصى ربه بحضرة أحد من الخلق أبداً ، ثم إنه يباهر ربه بالمعاصي ، وهو في حضرة ربه في خلوته ، فعدم استحيائه من الله تعالى أشد من ذلك الذنب، ولو أن إنساناً قال لنا: إني أخاف من الناس أكثر من خوفي من الله تعالى أو استحي منهم أكثر مما استحي من الله تعالى ، لربما كفره العلماء بذلك من حيث إلاستهانه الصور به ، وكثيراً ما أشهد ذنوبي قد رجحت على ذنوب الأولين والآخرين، فأقول في سجودي :

اللهم إن كنت تعلم إني صادق في اعترافي أن ذنوبي أرجح من ذنوب الخلق أجمعين فاعفُ لي .

وكثيراً ما أقف ساكناً خجلاً من شدة الحياء ، من الله عز وجل وأمثل نفسي أنتى واقف خلف كل عاص على وجه الأرض وأنه لعل الحق تعالى يغفر لأحد من العصاة فينا التي منه نصيب وكثيراً ما أجتنب الدعاء مع الناس خوفاً أن يرد دعاؤهم من أجلى .

وكان على هذا القدم مالك بن ينار رضى الله تعالى عنه كان لا يخرج مع الناس للاستسقاء، ويقول :

أخاف أن يمنعوا القطر لأجلى .

وكثيراً ما أنظر . الجبال الراسيات وأرى جميع ذنوب الناس كالنور

الطائر في الهوى ، وكثيراً ما أرى أن جميع البلايا التي تنزل على مصر وقراها إنما ذلك بسبب ذنوبي لا أتعقل غير ذلك ، فأهيم على الأرض كالطير المذبوح ، وأحس يدي ، كأنه ذائب من شدة النار ، والغم .

وقد درج الأكابر على هضم نفوسهم بين يدي الله عز وجل مع مبالغتهم في الطاعات ، التي لا يستطيع غيرهم العمل بها لا سيما عند خوف إنتقالهم من هذه الدار أو آخر أعمارهم ، ولكل وقت مقال يليق به وتأمل قول الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه :

إن الإشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة ، واعتقد ذلك مقلدوه .

ثم إنك لو سألت أحدهم عن مسألة في العلم ، وهو محتضر لشغل ذلك عليه بخلاف قول : لا إله إلا الله ، أو قول : استغفر الله مثلاً ، ولو أن إنساناً ترك القنوت أو التشهد الوارد في السنة ، وجعل بدله قراءة قل هو الله أحد لكان ذلك خلاف السنة مع أن قراءة قل هو الله أحد في نفسها أفضل من ذلك الذكر ، وقد قالوا : الإشتغال بالمفضول مع حضور القلب أفضل من الإشتغال بالأفضل مع الملل ، وعدم الحضور قالوا : وهذا سبب تنوع الأعمال والأوراد ، ولولا ذلك لكان الإنسان إذا تلبس بالأفضل ، فليس له النزول إلى المفضول لما كان يحصل للعبد الملل من الأفضل ، ولم يجتمع له قلب فيه كان الإشتغال بالمفضول مع حضور القلب أفضل ، وعلم بما قرأه أن خوف القوم من الله تعالى أن يخسف بهم الأرض أو يمسح صورتهم ليس هو من باب الملاق بين يدي الله تعالى ، وإنما ذلك من باب العلم ، واليقين دون التواضع . وهضم النفس ، فإن الله تعالى قد خسف الأرض بقوم كانت ذنوبهم أثق عدداً من ذنوبنا ، وأصغر حرماً منها .

وقد روى الإمام أحمد والبيهقي وابن ماجه عن رجل من كان قبلكم خرج في بردين أخضرين يخال فيهما أمر الله تعالى الأرض فأخذته ، فنهز يتجملجل

فيها إلى يوم القيامة . .

وفي البخاري عن ابن عباس مرفوعاً : بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه
إذ خسف الله تعالى به الأرض ، فمر يتجلى فيها إلى يوم القيامة ، قال ابن
عباس : وذلك بزقاق إني لهاب بمكة قال ومن رآه حين خسف به العباس رضي
الله تعالى عنه .

وروى البخاري تعليقاً ، وأبو داود ، ليكون من أمي أقواما يستحلون
الحز والحزير يمسح منهم قردة وخنازير إلى يوم القيامة . .

فانظر يا أخى إلى هذه الأمور التي خسف الله تعالى بأهلها الأرض تجد
ذنوبك أعظم منها بيقين أو مثلها فكم نظر أحدنا إلى عطفه لما لبس ثوباً
جديداً أو مضرية جديدة أو كم نظر إلى عمامته بعد أن عممها ، وكم أصلح
طياتها لا لغرض شرعى ، وكم تبختر أحدنا في مشيه ، وكم رفع نفسه على
أقرانه ، وكم بات أحدنا على محبة الدنيا التي هي رأس كل خطيئة وعلى الضحك
واللعب ، واللهر وكم وكم ومما يتأمل ، ويعتبر منه .

وقد نقل ابن الجوزي أنه وقع في أيام الخليفة المطيع لله تعالى بمصر زلزال
عظيمة ، حتى خربت عدة بلاد ، وسكن الناس الضجر ، ووردت أيضاً محاضر
شرعية أن الله تعالى خسف بأرض الرق بمائة وخمسين قرية ، وصارت كلها
فاراً وتقطعت الأرض . وخرج منها دخان ، وقذفت الأرض جميع ما فيها
حتى عظام الموتى انتهى .

ووقع ببلاد تبريز بالعجم زلزلة مات فيها تحت الهدم نحو مائة ألف
إنسان ، ولبس الناس المسوح ، وصاروا يحثرون إلى الله تعالى .

ووقع ببلاد خراسان من السماء قطعة حديد نحو مائة فنطار ، ولها دوى
أسقطت الحوامل .

وكذلك خسف الله تعالى ببعض جزاير من البحر بأهلها بنواحي عكا
في أيام الملك الظاهر أبي الفتوحات بعد أن أمطرت السماء دما سبعة أيام ،
ولم يزل يبلعنا الخسف ، والزلازل ، ببلاد ، وجبال في الروم ، والعراق إلى
عصرنا هذا .

وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول .
لايستبعد وقوع الخسف به في هذا الزمان إلا كل جاهل بمؤخذات الله
تعالى وبحكم الله تعالى .

قال : ومن إستبعد وقوع الخسف بمثله ، فليعرض على نفسه الكبائر
والصغائر ، التي جرمها العلماء ، وينظر : فإن رأى نفسه سالماً منها ، فذاك يصح
له الأمان ، وإن كان وقع في بعضها ، فقد إستحق الخسف به ، وهي كثيرة
ولكن نذكر لك منها طرفاً صالحاً ، فنقول وبالله تعالى التوفيق .
من الأمور التي نهى الشارع عنها نهيًا مغلظاً ، أو مخففاً نصاً ، أو إستنباطاً :
ترك فعل الصلاة في وقتها ، وترك الزكاة بالكلية ، أو ناقصه ، والزنا ،
واللواط ، والفرار من الزحف بشرطه ، وأكل الربا ، ومساير الحرام ،
والغش في المعاملات ، وترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر مع القدرة
عليه ، وشرب الخمر ، وإن لم يسكر ، وشرب سائر المسكرات ، وشهادة
الزور ، وقذف المحصنات ، والغلول من الأموال المشتركة بين المسلمين
كبيت المال ، والزكاة . وقتل المهاد ، وأكل أموال الناس بالباطل ، واليمين
الغفوس ، والخلف بمكة غير الإسلام كاذباً ، وإعتياد الكذب ، وتحريره ،
والقضا بغير علم ، وأكل الرشوة ، والحكم بغير ما أنزل الله . والتدليس وهو
المتحسّن على أهله ، والقيادة . وهو المستحسن على الخبيث ، وتختبئ
في الرجل ، والتذكير في المرأة وهي أن يتشبه الرجل بالمرأة . وعكسه ،
وتحليل المرأة لزوجها لحديث : لعن الله المحلل والمحلل له ، واللعب بالنرد
والأوتار ، ومما عاهد وعدم التنزه عن البول ، وترك غسل الجنابة . حتى
يخرج وقت الصلاة ، وكذلك ترك الوضوء أو النيمم ، وخلف الوعد والفجور

عند الخصاصه والمكذب في غالب الأحوال لغير غرض شرعى وكم العلم عن مستحقه ولو عدوا ، وتعليمه للدنيا أو الرياسه ، والمال ، وتعظيم دون العمل به ، وتعاطى مقدمات القتل إلا بطريق شرعى كان يصول لص على مالك ، والغيبه إلا بطريق شرعى ، وأكل الغير بغير إذنه إلا فى مخصصة والقذف ، واليمين الفاجرة وتقديم الصلاة عن وقتها ، وتأخير الصلاة عن وقتها كذلك ، وقطيعة الرحم بأن لا يصلها ، وعقوق الوالدين ، وهو مخالفتهم ما فيها طلبها من حقوقهما وعدم إكراههما ، وكذلك عقوق الخالة والعم عند بعضهم ، وأكل مال اليتيم والتطفيف فى الكيل ، والوزن ، والزرع والمرأ بالباطل والجدال بغير علم وكتبان الشهادة .

والسعاية عند السلطان ، وسائر الولاه بما يضر المسلمين وإن كان صادقا ، ومحاربة العلماء ، والصالحين وإحراق الحيوان بالنار ، ولو برغوتا ، وقلة ، ونظر الرجل إلى عورة المرأة الأجنبية لغير حاجة شرعية ، وكلها عورة عليه إلا ما استثنى كنظره إلى الوجه والكفين إذا أراد خطبتها ، ونظر وجهها للشهادة ، وموضع الفصد ، والحجامة ، ونظر البالغ إلى ما بين السرة ، والركبة من المحارم ، ومن الأمة والرجل ، ونظره إلى الأمررد بشموة ، وإلزام المسلم ، أو الذمى بما لا يلزمه من العقود ، والفسوخ ، والأقوال ، والأفعال ، وغير ذلك أو إيدأؤه بغير حق سواء أ كان بقول أو فعل ، أو سكوت ، أو ترك قليله ، وكثيره ، أو بأسبابه ، ومقدماته ، أو المساعدة على ذلك ، أو الرضى به وترك الختان بعد البلوغ ، لرجل أو امرأة ، وترك رد السلام ، والمن بما يفعله من الخير ، ولو فى نفسه ، والتكذيب للناس بغير حق ، وسماع انغيبه من غير ردها ، والتجسس على الناس ، فى حديثهم الذى يروونه عنه ، ولعن من لا يستحق اللعن ، والجلوس وسط الحلقة ، وتصديق الكاهن ، والمنجم ، ونشوز المرأة ، وأن تفضى المرأة إلى الرجل ويفضى إليها ، ثم ينشر سرها وعكسه ، وسؤال المرأة زوجها الطلاق من غير ما باش

وتغيير منار الارض أى علامات الطريق . واستطالة المراء فى عرض أخيه المسلم ، والنباحة على الميت ، ولطم الحدود ، وشق الجيوب ، والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة والظمن فى أنساب الناس ، وتبرى الإنسان من نسبه ، أو من والده وأن يتولى غير مواليه ، وهجر المسلم فوق ثلاثة أيام بغير طريق شرعى ، وتعذيب الحيوان بغير موجب وخصى عبد مطلقاً وتعذيبه وتكليفه بالخدمة الشاقة وغيرها بغير حق ظلماً وبغيا وإن يشير الشخص إلى أخيه بحديدة أو سلاح والغدر بالأمير والقيام عليه بالسيف ، وتكفير المسلم بغير حق .

وعدم الإنكار على المرأة إذا وصلت شعرها أو وشمّت يدها . أو حددت معالم جسمها ، أو نشرت وجهها أى جردته ، حتى يحمر والحقوا به أقصى القضاة إلا بتأويل ، وتلبع عورات الناس ؛ وإذاتهم بغير ما اكتسبوا وترك الإنكار على الامرا الذين يلبسون الحرير ، ويستعملون أواني الذهب ، والنقضة فى أكل أو شرب أو إدهان ، أو اكتحال ، وغير ذلك . ومحبة الإنسان أن يتمثل له الناس قياما ، وهو جالس ، وسوء الجوار ، حتى يشكوا جاره منه ، وتسبب الإنسان فى سب والديه ، وإن لم يقع سب ، ومساينة الإمام فى الركوع ، أو السجود ، والمرور بين يدي المصلّى إذا كان بينه وبينه سترة ، وعدم الإنكار على العبد إذا أبى من سيده فضلا عن إيوائه عنده ، والسكوت على من يستحل مكة أو المدينة النبوية . أو يحدث فيها حدثا ، والشفاعة فى تعطيل حد من حدود الله تعالى ، وإحداث فى الدين ما ليس منه ، وسوء العشرة للمملوك ، وعدم الإحسان فى ربه . والتطفيف فى الكيل ، أو الوزن ، وإفساد المرأة على زوجها . أو عبد على سيده ، وسوء الظن بعباد الله تعالى ، ووضء المرأة فى غيرها . وعدم إنكار المساحقة للنساء ، والمعاخدة للرجال . واتخاذ قبور مساجد ، وإيقاد نارج عليها ، والطواف بها كالسكبة ، واستلامها والصلاة إليها ، والكلمة التى

تعظم مفسدتها ، وينتشر ضررها ، ولا يلقي صاحبها لها بالاً ، والمخاصمة بالباطل مع علمه بأنه على باطل ، وبيع العبد بعد عتقه ، واستعمال العامل ، وعدم إعطائه الأجرة بعد استيفاء العمل ، وبغض الأنصار ، والحيلة على إسقاط ما أوجب الله تعالى وإباحة ما حرم الله تعالى ، والتكذب وتخطي رقاب الناس يوم الجمعة ، والكلام بغير عذر شرعي ، والإمام يخطب والتغوط مستقبل القبلة ، أو مستديرها في الصحراء ، والقبلة للصائم إن حركت شهوته ، والوصال في الصوم على الأرجح ، والاستعانة بيده ، أو يد أجنبية مثلاً ، ومباشرة الأجنبية من غير جماع ، ووطئ الرجعية قبل الرجعة ، والخلو بالأجنبية . وعدم الإنكار على المرأة إذا سافرت بغير زواج ، ولا محرم ، ولا نسوة ثقة ، والخطبة على خطبة أخيه إلا أن يأذن له ، وعدم الإنكار على من يتلقى الركبان ، أو على الحاضر إذا باع لبادي ، والاحتكار والزيادة في السلعة لا لرغبة في شرائها بل يخدع غيره ، وبيع المعيب قبل بيانه ، وعدم الإنكار على من باع عبداً مسلماً لكافر . أو باعه مصحفاً ، أو كتب علم شرعي ، وكشف العورة في الخلو لغير حاجة ، واتخاذ الكلب الذي لا يحل اقتناؤه .

قال العلماء : وتصير الصغيرة كبيرة بالإصرار عليها ، واحتقارها في عينه ، والتهاون بستر الله تعالى على صاحبها ؛ وحمله عليه ؛ أو يكون فاعلها عالماً يقتدى به ؛ وتكفر الصغار باجتناب الكبائر ؛ وبفعل الأعمال الصالحة .

قال بعضهم : ويتحقق الإصرار بأن يدخل على صاحب الذنب وقت صلاة أخرى ؛ ولم يقب ، فهذه جملة من المعاصي ؛ التي نهى الشارع عنها كل مكاتب ذكرناها لك غير مبينين الصغائر من الكبائر ؛ وإن كان الشارع صلى الله عليه وسلم قد بين فالنرم كل ذلك أدبا مع الشارع صلى الله عليه وسلم ، وخوفاً عليك يا أخى أن تفعل الذنب إذا قيل إنه غير كبير ومقصودنا سد الباب وعدم

التمرّض لهذه الذنوب فإن كل واحد منه يوجب أن الله تعالى يؤاخذ عليه بما شاء من العقوبات من خسف ومسح أو مرض شديد .

ولا تنس يا أخى كباير الباطن فإن من كان فى قلبه مرض منها لم يلق الله تعالى بقلب سليم ؛ وذلك كالنفاق ؛ بأن يتظاهر بالتوبة ؛ وهو مضر على الذنب مثلا ؛ والكبر ؛ والفخر ؛ والخيلاء ؛ وسوء الظن ؛ والحسد والغلى والحققد والبغى والرياء والتخل وحب السمعة والإعراض عن الأخلاق الحميدة رازدرا المسلمين ؛ والخوض فيما لا ينبغى الخوض فيه مثل الخوض فى ذات الله تعالى ؛ وانطمع فيما فى أيدي الناس والنظر إلى الأغنياء بعين التعظيم زيادة على الفقراء ولاستهزاء بالفقراء أربالمعرة إذا كانوا أهله ، والحرص على المال والتنافس فى الدنيا والمباهاة بها والتزين المخلوقين بما نهى الشرع عنه أو المداهنة ، وحب المدح بما لا يفعله ، أو لا يقصده من الطاعات ، والاشتغال بعيوب الخلق فى المجالس ، ونسيان الإنسان عيبه هو ، ونسيان نعمة الله تعالى عليه ، حتى لا يكاد يشكره إلا قليلا ، وترك الخير لدين الله تعالى ، وعجب الإنسان بحسن عباداته ، وعقله ، وقلة شكر الله تعالى ؛ والاشمئزاز من تقدير الله تعالى ، من حيث القضا لا المقضى ؛ وظنه فى الله تعالى أنه لا يغفره واتباع الأهواء المضلة عن طريق الله تعالى ، والإعراض عما يرضى الله تعالى والكرد عنه ، والخداع لله تعالى مطلقا ، أو لخلقه بغير طريق شرعى ، وحب الحياة الدنيا وزينتها لغير غرض شرعى صحيح وعدم قبول الحق من الناصح ، ولو عدوا له ، وفرح العبد بالمعاصى والطمأنينة إلى الإقامة فى الدنيا ، ونسيان ذكر الله تعالى والدار الآخرة . وغضب الإنسان لحظ نفسه وانتصاره لها بالباطل ، وهو أن حقوق الله تعالى على قلبه وسخريته من عباد الله تعالى ، واحتقاره لهم بغير طريق شرعى ، ونحو ذلك . فقد أجمع القسوم على أن الحق تعالى يذم صاحب هذه المعاصى أكثر مما يذم صاحب المعاصى الظاهرة ، كالغصب والسرقة ، وشرب الخمر ، والزنا ، وذلك لعظم مفسدتها ومع ذلك فقد أصبحت هيئة على

الناس في النصف الثاني من القرن العاشر حتى لا يكاد أحدهم يستغفر منها
فاعرض يا أخى هذه المعاصي على نفسك وإخوانك .

وإن الله تعالى لو خسف بأهل الأرض كأنهم يسبب ذنوبه واحد لما كان
ذلك غريباً .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

والله لو أن ذنوبي قسمت على أهل الأرض كلهم لو سعتهم ، واستحقوا بها
الخسف والهلاك ، فكيف حال من هو حاملها وحده ، ولكن سبحانه من
رحمته سبقت غضبه انتهى .

ويؤيد ذلك أن رسول الله ﷺ صلى على امرأة بعد ما رجها في الزنا .

فقالوا : أتصلى عليها يا رسول الله وقد زنت .

فقال ﷺ : لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة
لو سعتهم .

وقال أيضاً في ما عز : لقد تاب توبة لو قسمت على أهل الأرض لو سعتهم .
أى فكما أن توبة شخص واحد لو قسمت تسع أهل الأرض ، فكذلك
تكون معصيته لو قسمت على أهل الأرض قياساً على توبته .

وقد قال بعض العارفين من رحمة الله بعباده أنه إذا تصدى أحد منهم أن
لا يخلصه وحده بالبلاء بل يوزعه على الخلايق رحمة به ، ولولا ذلك لمحق الله
تعالى أثره بذنب واحد .

قال : ومن هنا قالوا :

الرحمة خاصة والبلاء عام ، فإنه إذا توزع على الناس أصاب كل واحد
نصيب ضعيف لا يكاد يحس به ، وذلك من باب ارتباط المؤمن بالمؤمن ،
وتحملة همومه كما في الحديث مرفوعاً : من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم وفي

لفظ آخر ، من لم يتم بأمر المسلمين فليس منهم ، انتهى .

وفي الحديث أيضا ، إذا كثرت الخبث عم العذاب الصالح والطالح ، انتهى .
ثم اعلم يا أخى أن شهود العبد أن كل بلا نزل على بلده أو اقليةه فإنما هو بسبب ذنوبه هو فقط ليس هو لكل فقير إنما هو لأفراد من الفقراء ، وقد أدركت من هؤلاء الأفراد جماعة كشيخنا شيخ الاسلام زكريا وسيدى على الضرير النبتى وتلميذه سيدى على البحرى وسيدى على الخواص وسيدى أفضل الدين رضى الله تعالى عنهم كما مر فى هذا الكتاب مرارا فكان كل واحد من هؤلاء إذا نزل بالمسلمين بلا يصير يبكى ويفحص فى الأرض كالطير المذبوح ، ويقول : يارب لا تؤاخذ هؤلاء الخلائق بذنوبى ، وصاحب هذا المشهد لا تصير له رأس يرفعها بين الناس لا فى الدنيا ، ولا فى الآخرة من شدة تواضعه ، ورؤيته تقايرسه .

وقد من الله تعالى على برايمه من هذا المقام ، والله الحمد ، حتى صرت لا أقدر على أحد يقوم لى ولا يقبل يدى ولا على حضور ولية يجتمع فيها الناس ، وإن جرى القدر الإلهى بحضورى أصير بين الناس أحسن بنفسى كالذى كبسوه بفاحشه أو جرسوه فى أزقة بلده ، حتى أنى تركت حضور ولايم الناس ، وموالد الأشياخ ، ولا يكاد يعذرنى فى تخلفى عن ذلك إلا من ذاق مذاقى ، وشهد مشهدى ، فلا أتقبل الآن بلا ينزل على أهل مصر ، وقرأها إلا بواسطة ذنوبى وخدعا ، وإن ذنوب الناس كلها مغفورة إثمها لنفسى ، وحسن ظنى بغيرى ، وكثيرا ما يغلى رأسى ودماغى من شدة النار ، فأصير أحسن بدهن رأسى سائلا على خدى ، وأصوت موتات . ولا يشعربى جليسى ، ومن يشهد هذا المشهد لا يستبعد وقوع الخوف به . والمسبح .

وقد قدمنا فى هذا الكتاب أن سيدى عبد العزيز عبد العزيز الدينى رحمه الله تعالى كان يقول لمن طلب منه كرامة : وهل تطلب يا ولدى كرامة .

لعبد العزيز أعظم من أن الله تعالى يمسك به الأرض ، ولا يخسفها به ، وقد استحق الخسف به من سذنين .

وتقدم أيضا في هذا المبحث أن مالك بن دينار كان لا يخرج مع الناس للاستسقاء ، ويقول : أخاف أن يمنعوا القطر بسبب خروجي معهم .

وكذلك تقدم هنالك عن سفيان الثوري رضى الله تعالى عنه أنه كان إذا مرت به سحابة وهو يملئ الحديث يسكت ويقول اصبروا حتى تمر هذه السحابة .

فإني أخاف أن يكون فيها حجارة ترجمنا بها .

وليكن ذلك آخر كتاب الاخلاق المتبوية المفاضة من الحضرة المحمدية جعله الله تعالى خالصا لوجه الكريم ، وأسأل الله تعالى من فضله وكرمه أن يديم علينا التخلق بما فيه .

حتى نلقاه ، وأن يستقر فضايحنا في الدارين ، ولا يترأخذنا بما انطوت عليه سرايرنا وأن ينبت لنا الزرع ، ويدبر لنا الضرع . وينزل علينا من بركات السماء ، ويلطف بنا في سائر حركاتنا وسكناتنا إنه ولي ذلك ، والقادر عليه آمين اللهم آمين ، ورحم الله تعالى من نظر في هذه الاخلاق ، ودعى لمثلها ، وكانها بالعفو عنه ، فإنها كلها أخلاق محمدية لا تكاد ترى منها خلقا واحدا في رسالة أحد من أهل هذا الزمان ، لما أشرنا إليه في خطبة الكتاب ، ومن تخلق بها صار من صدور أهل السنة والجماعة في عصره ، ووجب الإنقياد له ، والاقتداء به

فاياك يا أخى أن يقرم بك الحسد ، وتنجب بحجاب المعاصرة فلا تنتفع بشيء من هذا الكتاب فيفوتك خير الدارين كما يقع فيه كثير من أصحاب الأنفس الردية ، فإن نفع الانسان كله انما يكون من أهل عصره ، وأما الأموات فقد صار ظهورهم في البرزخ إلى الدنيا ووجوههم للآخرة ، وخرجوا عن

التكليف بهداية الناس ، كما هو مشاهد وقد سمعت من أحد أهل الدعاوى انه قال : ما بقى على وجه الارض الآن أحد من أهل السنة ، والجماعة فقالوا له : ولا فلان قال : ولا فلان ، فاطلعه بعض الإخوان على كرام من هذا الكتاب فرجع عن قوله بحمد الله .

وقال : إن لم يكن صاحب هذه الاخلاق سنيا فبقى على وجه الارض سنيا انتهى والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وسلم على أئمة الخاتم سيدنا ومولانا محمد وعلى سائر الأنبياء وأمرسين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين عدد ذكر الذاكرين وسهر الغافلين وكان غرأغ منه فى يوم الاثنين المبارك أول شهر محرم أول سنة عشرين وألف أحسن الله عاقبتها أمين أمين آمين .

محتويات الكتاب

فهرس الجزء الثالث

الصفحة	الموضوع
	الباب الثامن
•	في جملة أخرى من الأخلاق
	ومن أخلاقهم : عدم حكايتهم للناس أعمالهم الصالحة التي
	وقعت في أزمان مضت ولم يشعر بها أحد
٧	إلا لغرض شرعى
	في كل عصر الحذر من الاغترار بأعمال أهل
	عصرهم والاكتفاء بالعمل على صورة من غير
١١	تفتيش فيها
	أن يرشدوا إخوانهم أن لا يبادروا إلى الإنكار
١٤	على من يرويه قليل الأعمال الصالحة من النوافل
	إذا رأوا فقيها قد برع في علم الفقه ونفع الناس
١٥	بافتائه وتدريسه أن يرغبوه فيما هو فيه
	أن لا يبادر أحدهم إلى جواب من سأله عن شيء
	من أحوال الطريق من الفقهاء والمتكلمين
١٧	والأصوليين
	إذا كانوا من مشايخ الخرق التي لا ينضبط أهلها
١٩	على القانون الشرعى

ومن أخلاقهم : اتباع أخلاق شيخهم في أقواله وأفعاله وجميع
أحواله

٢٠

توصين نفوسهم على كثرة التعب والعلاج في
المريد الذي تقدمت له صحبة بالفقراء الذين لا قدم
لهم في الطريق

٢١

إذا كان أحدهم ناظر على وقف زاويته

٢٢

شدة اعتنائهم بأمر الصلاة أكثر من سائر أعمالهم

٢٣

إذا دخل أحدهم محفلا فيه أحد من رؤوس العلماء
والصوفية

٢٧

أن لا يشتغلوا بسب من وقع في شيء مما أخبر به
الشارع صلى الله عليه وسلم أنه يكون بين يدي
الساعة

٢٨

أن لا يتمثل أحدهم بقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنحو قوله صلى الله عليه وسلم أرحنا بها
يا بلال وكرايم أموالهم أو زادك الله حرصا
ولا تعد ونحو ذلك إلا بالاضور والتعظيم

٢٩

أن لا يمد أحدهم رجله في ساعة من ليل أو نهار
مع قوله دستور بالله إلا بعد أن يرى يضمها تعظيم
جناب الحق جل وعلا ولم يزل منه التعب

٣٠

أن يخادعوا من خادعهم بحيث لا يشعر بذلك
مخادعهم

٣١

الصفحة	الموسوع
	ومن أخلاقهم : الإستقامة في التوبة لأنها أسس لكل مقام يرقى
٣٣	إلته العبد حتى يموت
٣٨	صدق التوبة
	كثرة محبتهم لهم أحسوا فيهم زوال رعوناتهم
٤٢	وأغراضهم النفسانية
	إذا رأوا فقيراً يتكرم على الناس بماله وثيابه
	وطعامه وكل شيء دخل يده أن يمدحوه
٤٣	على ذلك
	محبة القرب من العلماء العاملين ولو وقع منهم بعض
٤٤	إنكار عليهم
٤٥	المواظبة على صلاة الجماعة
	أن يمدحوا كل من أحسن إلى غيرهم مع حرمانهم
٤٦	من إحسانه
	أن يكون فيهم مقام الاتحاد بينهم وبين أخوانهم
٤٧	في المال
	أن يرشدوا النقيب إلى أن ياتى باله إلى الشفقة على
٤٨	الفقراء في أمر قوتهم
	أن يقيموا نقيباً بدورز للفقراء العاجزين عن
٤٩	الكسب في الزاوية
	إذا كان طعامهم في لزاوية واحداً ومهما دخل
	الزاوية فهو بينهم أن لا يتعاطوا أسباب التخصيص
٥١	للزراعة والتجارة

- ومن أخلاقهم : كثرة امتحانهم لنفوسهم إذا ادعت الإخلاص
 ٥٣ ومحبة الخوَل
- أن يكفوا عما يستقيم عرفا تخلقا بأخلاق الله تعالى
 ٥٦
- إذا ثقل عليهم قيام الليل وترادف عليهم الكسل
 ٥٧
- أن يسروا كل عدو يكون لهم عند الأمير الذي
 ٥٨ يشفعون عنده في المظلومين
- أن يرشدوا إخوانهم إلى على أن يجعلوا كلمتهم
 متوجهة إليهم وذلك ليسهل على الفقراء قضاء
 حوائجهم على يدهم
 ٦٠
- أن يذكروا إخوانهم كل قليل بنعمة الله تعالى التي
 أسبغها عليهم
 ٦١
- إذا حجوا إن لا يخصصوا نفوسهم عن إخوانهم
 بشيء من المنافع إلا لعذر شرعي
 ٦٢
- الباب التاسع
- في جملة أخرى من الأخلاق
 ٦٧
- إذا كان في ركب الحج شخص من أقرانهم أن
 يعظموه في عين أمير الحاج
 ٦٩
- إذا مات لأحدهم والد أو ولد أن لا يكثروا من
 ذكر صفاته الحسنة وكشوفاته الصحيحة
 ٧١
- إذا اعتقدوا الباشا أو غيره من الأكابر
 ٧٢

المنفعة

الموضوع

- ومن أخلاقهم : أن يمتحنوا من أراد صحبتهم من الولاية قبل أن يدخلوا في صحبتهم ويتبعوا نفوسهم معهم ٧٣
- إظهار التقشف والرضى باليسير من الدنيا في الأمور الدنيوية والأخروية ٧٤
- معرفة زمانهم ولا يطلبون أن يبرز فيه إلا ما يشاكله ٧٨
- العمل على تحصيل مقام لتباعد عن الشيطان في حال صلاتهم وغيرها من سائر العبادات ٨٠
- التربص وعدم المبادرة إلى الإنكار على من سمعوه يقرأ القرآن بالروايات المغربية ٨١
- إذا كانوا في وليمة وفقد أحدهم نعله النعيس أن يخرج ساكتا ولا يعلم صاحب الوليمة بذلك ٨٢
- عدم قبول شيء من مال الولاية في مساعدتهم في سفر الحج ٨٣
- عدم أكلهم من فراخ الحمام الذي في أبراج الريف ٨٥
- عدم الفتور عن طلب العلم ليلا ونهاراً ٨٧
- العمل على تحصيل الجمع ثم جمع الجمع ٩٢
- عدم أخذ العهد على من يريد عان لو الدين ٩٤
- إذا طلب أحدهم علو المقام عند الله تعالى أو عند خلقه ٩٥
- أن لا يقبل أحدهم من الأمر أو غيره شيء من المال إلا لمصلحة ترجع على مصلحة الفرد ٩٦
- أن يشكروا الله تعالى على ما يرونه لأنفسهم من المنامات الرديئة ٩٩

- ومن أخلاقهم : تدريج المريدين في مقامات الإخلاص شيئاً
- بعد شيء . ٩٠١
- العمل على تحصيل مقام التواضع الكامل النسبي . .
- بحيث يصل إلى حد لا يخطر في باله أن له قدراً . .
- في الناس ٩٠٤
- إذا خزنوا قوت أهل الزاوية على عاداتهم كل سنة . .
- ثم حصل غلا مثلاً فزادت الفقرا في الزاوية في . .
- العدد فن الأدب أن يصغروا الخبز ليكثر العدد ٩٠٥
- أن يقدموا لإقامتهم لخدمة الفقرا وتعليمهم الأدب ٩٠٧
- إذا حجوا وزاروا رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
- أنهم لا يدعون أحداً من الأكاابر العلماء والأمرأ . .
- ليمشي في زفة ختان أو زواج ٩١٠
- عدم قصد أحد منهم للرت على أحد من أهل الفرق . .
- الإسلامية إلا بنص أو إجماع ٩١١
- منعهم أصحابهم من مطالعة كتب التوحيد المغلفة . .
- خوفاً عليهم أن يفهموا منها شيئاً مخطئاً بالتقليد ٩١٢
- التسليم لمقالات أشياخ الطريق ٩١٣
- لأخلافهم الوعيد لا الوعد ٩١٤
- مدح أشياخهم في كل موضع يعة تقدم الناس فيه ٩١٦
- عدم الإهتمام بأمور الدنيا بقدر الضرورة ٩١٧
- حمل كافتهم عن الناس منه ما أمكن ٩١٩
- ملازمة المراقبة لله تعالى إذا خرجوا من بيوتهم . .
- لسفر أو غيره حتى يرجعوا ٩٢٠

المصنعة	الموضوع
١٢٢	عن من أخلاقهم : أن ينصحوا إخوانهم المترددين
١٢٤	كثرة ذكرهم لله تعالى في زواياهم
	عدم التخصيص على الفقراء بشيء من وقف
١٢٧	زوايتهم
	منع عيالهم من حضور الولائم التي يجتمع فيها من
١٢٨	لا ينضبط على قواعد الشريعة من الرجال والنساء
١٢٩	تعظيم الأشراف وزيارة قبورهم
	كرهة إقامةهم في هذه الدار خوفاً من عدم القيام
١٣٠	بآداب أهل البلاء كلما تقارب الزمان
	أن يقرأوا من يريد الصحبة لهم على حرفته التي
	أقامه الله تعالى فيها بطريقة الشرعي ثم يسلكونهم
١٣١	وهم في حرفهم
	أنهم لا يبدؤن أحداً من طلبة العلم إلا أن كان
	يكفونه في القراءة عليهم في كل علم طلبه من
١٣٢	آلات الشريعة
	عدم رؤيتهم الكمال في شيء من مقامات إسلامهم
	أو إيمانهم أو إحسانهم لاسيما في هذا الزمان الذي
١٣٣	نقصت الأمور
	شدة حرصهم على فعل الآداب المحمدية حتى شرعها
	رسول الله صلى الله عليه وسلم تزمته وأذن لهم في
١٣٤	استنباطها من الكتاب والسنة

الصفحة	الموضوع
	ومن أخلاقهم : الصدق في إدعاء المقامات وعدم إدعاء مقام ما يبلغوه
١٣٥	ولا مقاماً يبلغوه ولم يؤذن لهم في إظهاره
	أنهم لا يأمرون تلامذتهم أولاً إلا بما صرحت
١٣٦	به لأشريعة
	عجبة العزلة في بدايتهم وكراحتهم للعزلة في
١٣٧	نهايتهم
	شهودهم بيادى الرأى أن الحق تعالى حكيم عليهم
١٣٩	وأنه أشفق عليهم من أنفسهم
١٤٠	أنصبر على الجوع والعري
	إقامة المعاذير للناس بطريقة الشرعى مخلقاً بأخلاق
١٤١	الله تعالى
	مشاركة المسلمين في البلا النازل عليهم في سائر
١٤٣	أقطار الأرض إذا بلغهم ذلك
	مساعدة الناس في بلادهم وغيرها في حفظ أمانتهم
١٤٥	من برارى وقفار وبحار ومدائن وجبال
	استيئذانهم لأصحاب الثوبه كلما دخلوا دارهم من
١٤٧	سفر أو غيره
	كثرة توجيه كلام الأئمة والفقهاء والصوفية وغيرهم
	وجل كلامهم على أحسن الأحوال ولا يبادرون
١٤٨	لتخطيئة أحد بغير ذنب صريح
	أن يعبدوا الله تعالى إمتثالاً لأمر الله تعالى في
١٤٩	مجالسته في تلك العبادة
١٥٠	عدم طلب أجدهم مقاماً عند الخلق

الصفحة

الموضوع

- ومن أخلاقهم : الشفقة على السلطان وولاية الأمور ١٥١
- د د عدم قبول هدايا الكشاف ومشايخ العرب وكل من ١٥٢
- لا يتورع في مكسبه وعدم الأكل من ذلك ١٥٣
- د د جعلهم الحظ الاوفر لكل من عاجلهم يبيع أو شرا ١٥٤
- أو استئجار رزقة أو معصرة أو مركب وذلك ١٥٥
- هروبا من تحمل منه الخلق عليهم ١٥٦
- د د عدم قبول هدية على سواهم ربه في قضاء حاجة ١٥٧
- فتمضيت ١٥٨
- د د التخلق بالشفقة والرحمة على المحترقة ووزنهم ١٥٩
- ثمن السلعة التي يشترونها منهم بمن قماش أو سمن ١٦٠
- أو جبن ونحو ذلك ١٦١
- د د زيادة التورع في شهر رمضان على غيره من ١٦٢
- الأوقاف ١٦٣
- د د أن يفرقوا ما دخل في يدهم على مستحقه من نفود ١٦٤
- وثياب وطعام وغير ذلك ١٦٥
- د د عدم قبول وصية أوصى لهم بها أحد ، ولو كان ١٦٦
- مكسبه جلالا ١٦٧
- د د إذا رأوا في حارتهم منكر وعجزوا عن رد ١٦٨
- أصحابه عنه فإنه يتوجهون إلى الله بالدعاء لهم ١٦٩
- بالتوبة ١٧٠
- د د إقامة العذر لزوجتهم في شدة الغيرة إذا تزوجوا ١٧١
- عليها

- ومن أخلاقهم : غلبة الحياء من الله تعالى ومن خلقه ١٦٢
- د د عدم الأكل من ضيافة الوقف الذي تحت نظرهم
- ١٦٣ ولو جعل لهم ذلك
- د د إذا كان تحت نظرهم وقف من الأوقاف فأسكنوا
- يوت، أو زرعوا رزقة من رزقة أن يعط كل ذي
- ١٦٤ حق حقه
- د د إذا دفع لهم أحد خراج رزقتهم
- ١٦٥ إذا أكلوا رطباً أو يسراً أو تيناً أو عنباً
- ١٦٦ كراهم لإقامة شيء من محبوبات الدنيا وشهواتها
- د د في قلوبهم
- ١٦٧ إضافة أفعال العباد المدمومة إلى إبليس بيادى الرأى
- ١٦٨ لا إلى الفاعلين لتلك المعصية مثلاً
- د د عدم مبادرتهم إلى سوء الظن بأحد من المسلمين
- ١٦٩ عدم مطالبهم بالوفاء بعهودهم التي يأخذونها على
- ١٧٠ الناس بسلوك الأدب معهم مثلاً لقضاء حوائجهم
- د د محبتهم لكل شيء ينشكس رؤوسهم في الدنيا ويزيل
- ١٧١ عنهم العجب والكبر
- د د كثرة شكرهم لله تعالى إذا لم يجدوا لذة في قيام الليل
- ١٧٢ أو غيره من العبادات
- د د الحشوع في الصلاة وقراءة القرآن لأنهم في
- ١٧٣ حضرة الله تعالى

- ومن أخلاقهم : شهود الريا في جميع أعمالهم ، ولا يرون أنهم
 ١٧٤ أخلصوا الله تعالى في عمل من الأعمال
- أيضاً لا يبادروا بالبرقة والرحمة على من رأوه
 عريانا أو جيعانا بل ينظرون أولا إلى حكمة فعل
 ١٧٥ الله معه ذلك
- شدة قربهم الباطن من سيدنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في غالب أوقانهم
 ١٧٦
- تعويلهم في جميع مهماتهم في الدنيا والآخرة على
 الله تعالى ثم على رسوله صلى الله عليه وسلم دون
 بقية الخلق
 ١٧٧
- إذا كان أحدهم يقرر في علوم القوم ودخل عليه
 فقيه لا يقول له قرر أو أتم للفقرا إلا إن علم منه
 أن له إلما بما بطريق القوم
 ١٧٨
- إجلال بنات أشياخهم عن أن يتزوجوهن إلا أن
 علم أحدهم من نفسه القدرة على القيام بحمتها والعمل
 على مرضاتها كما مر تقريره في تزويج الأشراف
 ١٧٩
- شهود أحدهم أن فضل الله تعالى عليه من المال
 وسعة الرزق إنما هو بواسطة شيخه
 ١٨٠
- إطعام الطعام وإفشاء السلام وسقي الماء وإغاثة
 الملهوف
 ١٨١
- أن لا يطلب أحدهم منزلة هي أعلا من منزلته
 ١٨٢

ومن أخلاقهم : إذا رأى أحدهم من بعض المريدين سوء أدب
أو علم بحاله أعرجا بدعوى أو مداخله عجب
ونحو ذلك

١٨٨

صحبة الأخبار دون الأشرار ماداموا قاصرين
من بلوغ مقام السكال فإذا بلغوا ذلك أمروا
بصحبة الأخيار والأشرار

١٩٠

إذا وجد أحد منهم فى نفسه وحشة من الخلق
حين نفروا عنه

١٩٣

أن يرى أحدهم الفضل لأخيه على نفسه إذا أحبه
واعتقد فيه

١٩٤

كثرة الاعتناء بالأدب فى العبادة أكثر من اعتنائهم
بها بلا أدب

١٩٧

حسن سياستهم للمريد المستقيم إذا حصل أنه نظر
إلى جاريه أو حدث

١٩٨

أن يهفوا مقام قلوبهم

٢٠٠

إذا تصدد أحدهم لتربية المريدين

٢٠٣

زجرهم وتوبيخهم لكل مريد استحسن شيئاً
من أعماله

٢٠٥

كثرة تحملهم للبلايا الواقعة فى أبدانهم وأموالهم
وأعراضهم ويرون أنهم يستحقون أعظم
من ذلك

٢٠٨

ومن أخلاقهم : احتمال الأذى من الخلق وعدم التغير من حصول
٢٠٩ آتلاء لهم

الخاتمة

- ٢١١ الموعود بذكرها في الخطبة
- ٢١٢ بعد إيمانهم على تحمل البلياء والمحن د د
- ٢١٤ صبرهم على رميهم بالزور عند الملوك والأمراء
- كثرة تحملهم للأذى في دار إقامتهم وعدم محبتهم د د
- ٢١٧ الرحيل منها فراراً من الأذى
- عدم تمكينهم أحداً من الناس بحبيب عنهم من د د
- رماهم بزور أو بهتان وهو من أعظم أخلاق
- الرجال
- ٢١٩ كثرة شكرهم لله تعالى كلما نقصهم عدو أو حاسد د د
- ورماهم بالبتان
- ٢٢١ رجوعهم إلى الله تعالى بالاستغفار كلما أذاهم أحد د د
- والوقوف بين يديه سبحانه وتعالى
- ٢٢٢ إذا أذاهم إنسان ولم يستطيعوا دفع أذاه د د
- كثرة رحمتهم ومداواتهم لمن يرويه مقراضاً د د
- ٢٢٣ في الناس
- كثرة محبتهم وشفقتهم على كل من أساء إليهم د د
- أكثر من محبتهم وشفقتهم على من أحسن إليهم
- ٢٢٦
- ٢٢٨ النظر بالرحمة على من يؤذيهم د د

- ومن أخلاقهم : عدم إعتاب سرهم في تدبير حيلة يقابلون بها من أذاهم
 بقول أو فعل فإن كل كلام معنى مضمون ٢٢٩
- إذا قام عليهم قاييم يؤذيههم أن ينظروا في السبب الذي
 حرك عليهم ذلك العدو لأن يؤذيههم ٢٣٠
- كثرة محبتهم وتعظيمهم للعالم حتى لو أنكر عليهم أموراً
 في الطريق ٢٣١
- مبادرتهم للشكر إذا نقصهم منقص عند الأكابر من
 الملوك والأمراء كما يشكرون الله تعالى إذا كبر وهم
 عند الأكابر ومدحهم ٢٣٤
- كثرة صبرهم على أذى جارهم ٢٣٥
- صحبة أبناء الدنيا لغير عرص دنيوى ٢٣٦
- محبة كل من طلبوه لصحبتههم فأبى لأنه أعتقهم من
 تعب الصحة وحقوقها ٢٣٧
- كثرة تحملهم هموم إخوانهم ٢٣٨
- سرورهم بكثرة من يعاتبهم من حيث تحكيم الله لهم
 في حسناته يوم انقيامة لامن حيث وقوعه في تلك
 الغيبة ٢٣٩
- عدم تصديقهم في الناس ما أشاعه عنهم البعض الآخر ٢٤٠
- عدم تبريهم ، بما يضيفه الحسدة والأعداء إليهم من
 سائر النقايص إلا أن يكذب فيها أضافوه إليهم حد من
 حدود الله تعالى ٢٤١

- ومن أخلاقهم : عدم شكواهم ما نزل بهم لأحد من الخلق ٢٤٢
- العفو والصفح عن جميع من جنى عليهم من هذه الأمة
المحمدية في مال أو بدن أو عرض ٢٤٣
- عدم تنقيص أحد من الناس في غيبتهم بعدم موتهم كما
يقع من بعض الخسدة ٢٤٤
- بعد مسامحتهم الخلق الذين أذوهم في دار الدنيا أن
يتوجهوا بقاوبهم إلى الله تعالى ويشفعون فيهم عنده
تعالى ٢٤٦
- صحة مسامحتهم لمن اغتابهم ٢٤٧
- عدم جوابهم عن أنفسهم حياء من الله تعالى ٢٤٨
- شهودهم أن كل ما يؤذيهم به الناس في أعراضهم من
جملة المنصالح لهم في الدنيا والاخرة ٢٤٩
- شدة كراهتهم وشدة زجرهم لمن ينقل إليهم أخبار
الناس الناقصة التي يستمعون أن يواجهوهم بهم ٢٥٠
- أن لا يتساهلوا في سماع الغيبة بعضهم بعضاً في الزاوية
فتخرب ولو على طول ٢٥١
- محبتهم لأن يفدى أحدهم جميع أعداء وعاصين بنفسه ٢٥٣
- عدم تكديرهم ممن رفع مقام أحد من قريته عليهم ٢٥٤
- إجلالهم للعلماء والصالحين والامراء والأكابر عن أن
يدعوهم إلى حضور مولد عملوا ٢٥٥

الموضوع	الصفحة
ومن أخلاقهم : رحمتهم لعدوهم الذى يؤذيه طول عمرهم وشفقةهم عليه اذ أنزل به بلا :	٢٥٧
مبادرتهم الى اقامة الحجة على أنفسهم اذا ظلمهم ظالم	٢٥٩
تحمل عناء انملسكة على كواهلهم وحمل الناس بقاوبهم	٢٦١
زيادة المحبة لكل من أنكر عليهم وقام عليهم لاسيا العلماء	٢٦٢
حمايتهم من ظهور الحسد لاقرائهم لان الحسد فزع من حبة الدنيا وهم قد تركوها فى بداية أمرهم فلذلك امتنع الحسد	٢٦٣
عدم تكدرهم ممن نادى أحدهم بيا فاسق أو بيا منافق أو بيا مراى ونحو ذلك	٢٦٥
عدم نفرة أحدهم من عشرة المخبئين لانهم أصحاب أمراض كالصداع والضارب والجذام والبرص	٢٦٧
عدم اصغام أحدهم الى قول عدو أو حاسد فى عرض خصمهم	٢٦٨
كثرة اقامة العذر لمن عاداهم وأكثر من حسدهم	٢٧٠
كثرة اتمامهم بهم عدوهم أكثر من اهتمامهم بهم صديقهم	٢٧١

الصفحة

موضوع

- ومن أخلاقهم : عدم توجه أحدكم الى الله تعالى في هلال أحد من أعدائه وأن يأخذ له حقه منه ٢٧٢
- عدم تجسسهم على عيوب اخوانهم المسلمين ٢٧٣
- سماحة نفوسهم بمقاسمة أعدائهم في الدنيا وحسناتهم في الآخرة فضلا عن من كان يحبهم من أصحابهم ٢٧٥
- صبرهم على بعض الحسدة لهم على الدوام مدة حياتهم ٢٧٨
- شدة بغضهم باطننا لاهل المعاصي ولو أجبرهم وأحسنوا اليهم ٢٨١
- صحبتهم لبعض اخوانهم المسلمين من غير اجتماع ٢٨٢
- حلمهم لمن يكرههم على أنه يكرههم بحسب وضد ٢٨٣
- ذكرهم لمناقب أقرانهم الذين يكرهونهم ويحسدونهم ولا يصددهم حسدهم لهم وعدائهم عن ذكرهم بخير ٢٨٥
- طرح نفوسهم بين يدي الله عز وجل إذا أصعب من طريق كشفهم على وقوعهم في شيء من المعاصي في المستقبل ٢٨٦

الصفحة

الموضوع

ومن أخلاقهم : عدم اتعاب أحد سره في تنسيق الالفاظ في تأليفه
وكثرة تحرير ألفاظه الابنية صالحة

٢٨٨

شهودهم في نفوسهم بعد مبالغتهم في الاجتهاد وفي
العبادة ليلا ونهارا أنهم قد استحقوا الخسف بهم لولا
عفو الله تعالى وحلمه عليهم

٢٨٩

محتويات الكتاب — فهرس الجزء الثالث

٣٠٣

رقم الإيداع ١٩٧٦/٤٠٣١

الترقيم الدولي ٩ - ٠٨ - ٦٧ - ٧ - ٩٧٧ - ISBN

دار التراث العربي للطباعة : ٩٣٦١٤٥